محاضرات في اللغة

القسم الاول

منهج فى دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية
ودراسة أصواتها ومفرداتها وقواعدها

دكتور عبد الرحمن ايوب

M. A. Ph. D. Lon

استاذ مساعد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
ومنتدب للتدريس بجامعة بغداد

١٩٦٦

ساعدت جامعة بغـداد فى نشر هذا الكتاب

مطبعة المعارف ـ بغـداد

١٩٦٦/٥/٢٥

كتب أخرى للمؤلف

١ ـ الجزء الفعلي في اللهجة المصرية (بالانجليزية) بحث لنيل الماجستير من جامعة لندن ١٩٤٩ .

٢ ـ النظام الفعلي في اللغة النوبية (بالانجليزية) بحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن ١٩٥٢ .

٣ ـ اللغة بين الفرد والمجتمع القاهرة ١٩٥٤

٤ ـ دراسات نقدية في النحو العربي القاهرة ١٩٥٧

٥ ـ أصوات اللغة القاهرة ١٩٦١

٦ ـ التطور اللغوي القاهرة ١٩٦٣

٧ ـ النفي في العربية ـ بحث نشر في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد ١٩٦٥ .

٨ ـ الشكل والمضمون في التعبير اللغوي ـ مقال بمجلة الاقلام ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٦٦ .

٩ ـ سيبويه والمذهب الشكلي ـ بحث نشر في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد ١٩٦٦ .

١٠ـ الشرق الادنى مجتمعه وثقافته ـ مترجم عن الانجليزية ، مشروع الالف كتاب ـ القاهرة .

١١ـ كون تيكي ـ مترجم عن الانجليزية ، مشروع الالف كتاب ـ القاهرة .

١٢ـ الاسلام والاشتراكية ـ مترجم عن الانجليزية بتكليف من وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العربية المتحدة .

كلمة للمؤلف

كان المفروض أن تشتمل هذه المحاضرات على المنهج الدراسي الذي وضعت نصب عيني اكماله في تدريس مادة فقه اللغة لطلاب كلية الشريعة بجامعة بغداد ، الى جانب عدد من الابحاث التطبيقية المتصلة بما فى هذا المنهج من مبادىء لدراسة أصوات اللغة ومفرداتها وقواعدها . ولكن ظروف الطباعة والدراسة معا قد فرضت علي أن اقتصر في القسم الاول من هذا المؤلف على المبادىء التي شملها المنهج ، وأن اخص ببقية الابحاث التطبيقية قسما آخر أرجو أن يتاح له الظهور فى المستقبل .

وقد حرصت على أن أتجنب التفاصيل النظرية فى هذه المحاضرات وأن أربط ما قد أتعرض له من أمور نظرية باللغة العربية الفصحى ولهجاتها . وفي رأيي أن علم اللغة الحديث لن يفهم حق الفهم الا في نطاق مادة لغوية من لغة من يدرسونه . ومن أجل هذا فانه من الواجب علينا أن نتطور بالمشاكل اللغوية القديمة وأن نعالجها وفق المنهج الحديث ، بدلا من أن نلجأ لترجمة كتب اللغة ترجمة تحافظ على امثلتها اللاتينية والاغريقية كما لو كانت نصوصا مقدسة . وليس ثمة من شك في الفائدة الكبرى التي تجنيها الدراسات اللغوية العربية من نقل الافكار الجديدة التي تقول بها المدرسة اللغوية المعاصرة فى اوربا وامريكا ، ولكن الامر الذى ينبغي ألا نتجاهله هو أن علينا تعريب هذه النظريات بعرضها فى نطاق المادة العربية .

وأنا حين أقدم هذا العمل المتواضع للقارىء العربي ، أرجو أن أكون قد قمت بجهد متواضع فى سبيل استعادة الثورة الفكرية الجبارة التي كانت لامتنا العربية في عصور ازدهارها .

واني في النهاية لأتقدم بالشكر الى المسؤولين في جامعة بغداد لمعونتهم الكريمة في اخراج هذا المؤلف .

بغداد : مايس (مايو) ١٩٦٦

المدخل

فقه اللغة وعلم اللغة
نشأة اللغة وماهيتها
اللغة والمجتمع
العائلات اللغوية
اللغة العربية

« فقه اللغـة وعلم اللغـة »

لابد لنا بادىء ذي بدء من ايضاح بعض اللبس الذي يحيط بعبارة « فقه اللغة » فالبعض يستعملها للاشارة الى نوع من القواميس التي تجمع المفردات على أساس دلالي ، والبعض يستعملها عنوانا للدراسات اللغوية الخاصة باللغة العربية ، والبعض الآخر يستعملها للدراسات اللغوية العامة التي يطلق عليها اسم « علم اللغة » .

هذا نوع من اللبس يجب أن يتضح ، ولكن لابد الى جانب توضيحه من معرفة مبررات وجود هذا العلم مستقلا عن علوم اللغـة الاخرى من صرف ونحو وبلاغة وعروض وقاموس . هل هذا العلم شيء آخر غير هذه العلوم اللغوية ، حتى يصح أن يستقل عنها ؟ أم هـو نوع من اعادة بعض اجزاء هذه العلوم ومن ثم فلا حاجة لنا به ؟ .

أما فيما يتعلق بالامر الاول فاننا نجد عبارة « فقه اللغة » عنوانا لبعض المؤلفات القديمة والحديثة التي لا تعدو أن تكون ـ كما أشرنا ـ مجرد قواميس دلالية مثل كتاب (فقه اللغة) للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ وكتاب « الافصاح في فقه اللغة » وهو من تأليف استاذين معاصرين[(١)] .

أما استعمال العبارة عنوانا للدراسات اللغوية العربية بمعناها العـام فمثاله كتاب « فقه اللغة » للعالم المعاصر الدكتور علي عبدالواحد وافي[(٢)] . وأخيرا شاع استعمال العبارة في الجامعات العربية لتعني مرة دراسة علم

---

(١) هما الاستاذان عبدالفتاح الصعيدي وحسن يوسف موسى .

(٢) للدكتور وافي مؤلفان أحدهما خاص بدراسة النظريات العامة للغات وقد أطلق عليه اسم «علم اللغة» وثانيهما خاص بعرض سريع للغات السامية يعقبه تفصيل لدراسة العربية وسماه « فقه اللغة » .

اللغات العام ومرة اخرى دراسة بعض الظواهر اللغوية الخاصة باللغة العربية[٣]

والحق ان جهود اللغويين القدامى كانت واسعة الافق متنوعة الاتجاهات . وكان من مظاهر هذا التنوع عدم الاقتصار على جمع مفردات اللغة فيما يسمى بالقواميس وعلى دراسة علوم القواعد العربية من نحو وصرف وبلاغة ، بل كان هناك عملان مكملان دخلا فيما بعد في نطاق ماسماه البعض بفقه اللغة وهما : ـ

أولا ـ القواميس الدلالية ، وهذه تختلف عن القواميس المألوفة لنا في أنها لا ترتب المفردات حسب حروفها الهجائية بل حسب اشتراكها في مدلول أو آخر . كأسماء الانوف « الانوف » أو « الشفاه » اذ يقرر الثعالبي ان الشفة للانسان والمنسر للجارح والمنقار للطير الخ . وان الانف للانسان والخرطوم للفيل والمخطم للبعير الخ[٤] .

وهذه المؤلفات على نوعين : ـ

[١ ـ رسائل في طوائف خاصة من الالفاظ والمعاني ككتاب أبي حنيفة في الانواء والنبات، وكتب يعقوب في النبات والاصول والفرق وكتب أبي حاتم في الازمنة والحشرت والطير ، وكتب الاصمعي في الدارات والسلاح والابل والخيل والشاء وأسماء الوحوش والنبات والشجر والنخل والكرم والمشترك اللفظي، وكتب أبي قتيبة في الرحل والمنزل واللبن، وكتب ابن دريد في صفات السرج واللجام والسحاب والغيث ؛ وكتاب الفيروزبادي في المترادف (الروض المألوف فيما له اسمان الى الوف) وكتاب ابن خاوليه

---

(٣) تدرس هذه المادة في كليات الآداب بالجامعات المصرية وتسمى « فقه اللغة » وفي كلية دار العلوم ظل هذا الاسم مستعملا حتى الخمسينيات حيث استعمل اسم « علم اللغة » الى جانبها .

(٤) انظر ص ١٦٥ ، ١٦٦ فقه اللغة للثعالبي ـ القاهرة ـ ١٩٣٨

في أسماء الاسد وأسماء الحية ، وكتاب أبي هلال العسكري في الالفاظ التي تطلق على بقايا الاشياء (المعجم في بقايا الاشياء) والكتب التى الفت في الاضداد (الالفاظ التي تطلق على الشراء وضده) لقطرب والحسن بن محمد بن الحسن الصغاني وابن السكيت وأبي بكر بن الانباري وأبي البركات ابن الانباري وعبد الله بن محمد التَوَّزي وابن الدهان وابن درستويه ، والمعجمات الفلسفية والعلمية وما اليها ككشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي والتعريفات للجرجاني والكليات لابي البقاء ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبدالله بن العسكري الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧هـ وهلم جرا ..

وهذا النوع من المعجمات كان أسبق في الظهور من النوع الآتي فقد ظهر بعض كتب منه في فاتحة العصر العباسي .

٢ ـ معجمات ترمي الى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني فترتب المعاني بطريقة خاصة وتذكر الالفاظ التي تقال للتعبير عن كل معنى فيها ، فتجد أبوابها مرتبة على نحو هذا الوضع : خلق الانسان ، الحمل والولادة ، الرضاع والفطام ، الغذاء السيء للولد ، أسنان الاولاد وتسميتها في المراحل المختلفة ، شخص الانسان وقامته وصورته ، صفات الرأس ، قلة الشعر وتفرقه في الرأس ... وهلم جرا ، وتذكر في كل باب المفردات التي تعبر عن موضوعه مرتبة ترتيبا خاصا ومبينة مدلولاتها ومواطن استعمال كل منها .

وهذا القسم من المعجمات يرجع اليه كل من يعرف معنى ما ويرغب في الوقوف على الالفاظ الموضوعة له .

ومن أشهر ما ألف من معجمات هذا القسم خمسة كتب احدها « كتاب الالفاظ »لابن السكيت (١٨٦ـ٢٤٤هـ) وهذا أقدم مؤلف من هذا النوع وثانيها « الالفاظ الكتابية » للهمذاني (المتوفى سنة ٢٣٧هـ) وثالثها

« مبادىء اللغة » للاسكافي (المتوفى سنة ٤٤١ هـ) ورابعها « فقه اللغة » للثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) في مجلد صغير واحد • وخامسها المخصص لابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٨هـ) في سبعة عشر جزءاً وهو أدقها وأحسنها تنسيقا وأكثرها استيعابا لمسائل البحث[١]]

ثانيا ـ أبحاث عامة لا صلة لها بقواعد اللغة مثل نشأة اللغة عند الانسان وهل كانت بطريق التوقيف أو الالهام وترادف الالفاظ وتضادها واقتراضها من لغات اخرى الخ • وقد الفت كتب خاصة لبعض هذه الموضوعات مثل كتاب « الاضداد » لابن الانباري وكتاب « الاضداد » للاصمعي ومثل « شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي و « المعرب من الكلام العجمي » لابي منصور الجواليقي ، كما خصصت أبواب لهذه الموضوعات في كتب « الخصائص » لابن جني ، و « المزهر » للسيوطي وسواهما • وكانت اللغة العربية بطبيعة الحال مادة المناقشة في كل هذه الابحاث •

ومثل هذه القواميس الدلالية وما قد تتضمن من هذه الابحاث اللغوية العامة تكون ما سماه علماء اللغة العرب قديما وحديثا بعلم « فقه اللغة » •

* * *

واليوم تستعمل الى جانب عبارة « فقه اللغة » عبارة اخرى هي « علم اللغة» أو لفظ «لغويات» وهما ترجمة "Linguistic Science" و "Linguistics" على التوالي •

وتسمية هذه الدراسة بعلم اللغة تسمية تتمشى مع أسماء عدد كبير

---

(١) النص منقول من « فقه اللغة » للدكتور علي عبدالواحد وافي ـ الطبعة الرابعة ١٩٥٦ ـ القاهرة ـ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٧

من الدراسات الحديثة مثل « علم الاجتماع » و « علم النفس » و « وعلم الاحياء » الخ • وهي أسماء ترجمت عن "sociology" , "psychology" , "biology" وهي تنتهي باللاصقة "logy" ومعناها باللاتينية « علم » أو « معرفة » • هذا ما يتعلق بالتسمية • أما مفهوم «علم اللغة» فهو أوسع نطاقا من المفهوم الذى استعملت له عبارة « فقه اللغة » •

و « فقه اللغة » بالمعنى الذي استعمله فيه العرب قديما وحديثا دراسة محدودة المكان والزمان • وذلك لان علماء العربية ، كانوا يركزون كل اهتمامهم على العربية الفصحى ، وهى لغه **مكان معين** ـ هو المنطقة التى كانت تسكنها قريش من جزيرة العرب ـ سادت في **زمان معين** ـ هو على وجه التقريب القرن السابق للهجرة والقرن الاول منها • وقد كان اللغويون العرب لا يرتضون النصوص التي تنقل عن بعض القبائل العربية في عصر الجاهلية وصدر الاسلام والنصوص التي تنقل عن العرب فى العصر العباسي مثلا ، أساسا لوضع قواعد اللغة الفصحى •

وهكذا كان مقياس الصواب اللغوى عند علماء اللغة العرب محدودا في نطاق هذا المكان وهذا الزمان •

أما علم اللغة الحديث فانه لا يفرق بين الظواهر اللغوية لمجرد اختلافها في الزمان أو المكان ، فما يتحدث به العراقيون اليوم أو من الف عام وما يتحدث به المصريون أو السوريون أو السودانيون ••• الخ أو تحدثوا به في الماضى ، كل هذا داخل في النطاق اللغوى الواسع الذى يسمى بالعربية •

كذلك كان علماء اللغة العرب يتحاشون جمع النصوص اللغوية التي ينطق بها جفاة الاعراب ويتحرون اختيار نصوص طبقة اجتماعية بعينها تتمثل في قبيلة أو طائفة بعينها • ولكن علم اللغة الحديث يهتم بلغة الاجلاف كما

يهتم بلغة المتمدنين • وذلك لانه يدرس النشاط الانساني الذي يسمى لغة وهو نشاط يقوم به الحضري والريفي والرفيع والوضيع على حد سواء •

وقد تعرض علماء اللغة العرب للهجات العامية لا لدراسة ظواهرها بل لتحذير المتعلمين من استعمال ما يشيع منها • أما علم اللغـة الحديث فانه يجد في اللهجات ميدانا خصبا لدراسة الظواهر اللغوية وتوزيعهـا جغرافيا في الوطن اللغـوي ، ويحاول تفسير ظاهرة لغـوية فى مكان ما بوجودها أو انعدامها في مكان آخر من الوطن اللغوي •

ومن الطبيعي أن يهتم العالم اللغوي العربي بلغته العربية • ولكن عالم اللغة الحديث لا يقف عند لغته وحدها بل انه يدرس الظاهرة ، ولتكن الاسناد مثلا ، في لغته العربية ويقارنها بنفس الظاهرة في اللغات التي تتصل بالعربية كالعبرية والسوريانية والحبشية ، فيدرك تطور الظاهرة في هـذه اللغات ، أو يقارنها بنفس الظاهرة في لغات لا صلة لها بالعربية مثل لغة الملايو أو لغـة بلاد النوبة فيرى مظهرا جـديدا للظاهرة يختلف عن مظهرها في لغته وفيما يتصل بها من لغات •

والاتجاه المعاصر في النظر الى اللغـة يتلخص في أمـرين أولهمـا النظرة العلمية الوصفية اليها ، وثانيهما اعتبار المسائل التاريخية اللغويـة دراسة لا تتأثر بالاعتبارات الوصفية ولا تؤثر فيها •

أما الامر الاول فيشمل دراسات تتعلق باللغة وان كانت في صميمها تدخل في نطاق علوم اخرى وذلك مثل دراسـة الجوانب الاجتماعيـة والنفسية للنشاط اللغوي ودراسة اللغة وعلاقتها بالواقع الخارجي ممـا يدخـل في صميم الدراسات الفلسفية • ويشمل هذا الامر أيضا دراسة اللغة ذاتهـا باعتبارها نظما صوتية وتركيبية أى من ناحيتي تركيب الالفاظ من أصوات ومقاطع ومن اصول ولواصق ••• الخ وتركيب الجمل واجزاء الجمل

من مفردات .

أما الامر الثاني وهو دراسة المسائل اللغوية من جانبها التاريخي فيشمل دراسة تاريخ أصوات اللغة وتاريخ مفرداتها وتاريخ تراكيبها النحوية .

واذا كان الامر الاول قد حظى باهتمام اللغويين العرب فان الامر الثاني لم يحظ منهم بأي انتباه وذلك فيما عدا ما ذكروه من تركيب بعض المفردات كأداة النفي « لم » وهي مركبة من « لا » و « ما » .

وتختلف الدراسات اللغوية الحديثة عن الدراسة القديمة في انها وصفية احصائية وهي بهذا تنهج منهج مختلف العلوم الحديثة كالطبيعة والفلك وبالاخص منهج العلوم الاجتماعية . وتقوم النزعة الوصفية في الدراسات الحديثة على الملاحظة وتجميع المادة وتبويبها حسب صفاتها المادية لا حسب التقسيمات العقلية التى يقترحها الباحث قبل علاج مادته .

وعلم اللغة بهذا الاعتبار كذلك ينظر للظاهرة ويثبتها احصاءً ووصفا في اللغة الفصحى ولهجاتها المختلفة مهما عظم شأنها أو قل . ثم هو لا يلجأ للتلخيص أو الاختصار رغبة في تسهيل معرفة القواعد على الدارسين بل انه يتتبع الظاهرة بكل تفاصيلها لمعرفتها في ذاتها ومحاولة الوصول الى نظرية عامة تربطها بسواها من ظواهر اللغة نفسها أو من الظواهر المماثلة لها في مختلف اللغات حتى يمكن وضع نظرية انسانية عامة تصدق على هذا النشاط الانساني المسمى لغة .

هذا اختلاف بين اللغويين القدماء والمحدثين في مجال البحث ، يوجد الى جانبه اختلاف في منهج البحث أيضا .

كان منهج اللغويين القدماء يعتمد على النقل عن العرب وعلى تطبيق بعض الاحكام المنطقية على اللغة ، فتقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف

تقسيم متأثر بالمنطق ، ونظرية الجملة متأثرة بنظرية القضية المنطقية والعلل التي يوردها النحاة دائما علل عقلية •

وعلم اللغة من وجهة نظر اخيرة علم عام يتعاون مع مختلف العلوم العامة في محاولة كشف هذا السر الضخم الذي يسمى بالانسان • فهو يقدم مكتشفاته الى عالم النفس وعالم الاجتماع والفيلسوف ليبدأ من حيث ينتهي • فنظرية الرمزية اللغوية ميدان مشترك بين علم اللغة وعلم النفس • ونظرية الظرف الاجتماعي ميدان مشترك بين علم اللغة وعلم الاجتماع • ومشكلة المعنى (semantics) ميدان مشترك بين علم اللغة والفلسفة • وكذلك الامر بالنسبة لعلم اللغة التاريخي اذ انه الى حد كبير يغطي جانبا لا تشمله نظريات التطور البيولوجي • ويدرك من يدرس تاريخ لغة من اللغات كيف تتشابه الاتجاهات التطورية اللغوية والاتجاهات التطورية البيولوجية • واذا كانت الاخيرة تدرس التطورات المادية في الحيوان والانسان فان الاولى تدرس تطورات ظاهرة هامة من ظواهر النشاط العقلي الانساني • وعلم اللغة التاريخي كذلك يخدم الدراسات التاريخية العامة ، فلم يعد مجال علم التاريخ مقتصرا على الاحداث السياسية فحسب بل لقد شمل كذلك مظاهر الحياة العامة بجانبها العقلي والمادي • وهنا يجد الباحث التاريخي في مفردات اللغة ومعانيها والتطورات التي مرت بهذه وتلك وما تكشف هذه التطورات من ملابسات اجتماعية أو نفسية ، يجد الباحث التاريخي هنا مادة لا تقل في قيمتها عما يجد في خرائب المنقبين عن الآثار ومبانيهم •

كل هذا من الجانب النظري ، ولكن لعلم اللغة الحديث جوانب تطبيقية نشير في اختصار لبعضها : ـ

١ ـ تعليم اللغة • تأثرت طرق تدريس اللغة أخيرا بالمدرسة اللغوية التحليلية المعاصرة وأخذ المربون يوصون بضرورة استعمال النماذج

التركيبية في تعليم اللغات بدلا من شرح قواعة فلسفية لا تقوم على أساس منطقي سليم ولا يكاد الطالب يدرك ما ترمي اليه ، وبدلا من التعليلات والتأملات التي يضج منها الجميع بالشكوى • وبعبارة اخرى ينادي المربون بدراسة ميكانيكية اللغة وهي دراسة لابد أن يسبقها تحليل شكلي للغة •

٢ ـ أجهزة التفكير والترجمة (computors) هنا يتعاون علم اللغة مع الهندسة الميكانيكية والالكترونية • وبفضل هذا التعاون أمكن اختراع أجهزة لترجمة نصوص كتبت بلغة ما الى لغة اخرى • والجانب الميكانيكي هنا من عمل المهندس فهو الذى يصل بين جزء الآلة الذي يتلقى اشارة ما وجزئها الذي ينتج أثرا معينا نتيجة للاشارة التي تلقاها • ولكن عالم اللغة التحليلي هو الذي يقدم للمهندس المفردات والتركيبات في اللغة الاولى ونظائرها في اللغة الثانية • وعالم اللغة هنا كصانع الطوب والمهندس كالبناء لابد من تعاونهما الكامل حتى يتم البناء •

ونحن في هذا المجال لن نتعرض لكل هذه الجوانب ولكن هدفنا الآن هو أن نبين الفرق بين الاتجاه التقليدي في الدراسات اللغوية واتجاهنا نحن • وقد نتعرض لبعض قضايا النحو أو الصرف أو القاموس ، ولكنا سنتعرض لها من ناحية المنهج لا من ناحية المادة وتفاصيلها • كما قد نتعرض لبعض القضايا الاجتماعية أو التطورية ولكنا سنتعرض لها بمقدار ما تلقي على الحقائق اللغوية من أضواء •

« نشأة اللغة عند الانسان »

شغل موضوع نشأة اللغة عند الانسان أذهان المفكرين من أقدم العصور ، فقد تعرضت الكتب السماوية لقضايا الالفاظ فنص الانجيل على أن الكلمة كانت أول ما خلق في الكون • أما القرآن فيروي قصة آدم في الجنة وكيف ميزه الله على الملائكة باللغة حيث يقول تعالى « وعلم آدم الاسماءكلها ثم عرضهم على الملائكة » • ولقد ثار جدل طويل بين مفكري الاغريق حول نشأة اللغة عند الانسان ، فقال فيثاغورس وافلاطون والرواقيون من بعد بأن اللغة قد نشأت نشأة طبيعية حيث انها استجابة للفطرة الانسانية التي تفرض عليه حاجات مادية وعقلية لابد من وجود اللغة للوفاء بها • أما ديموكريتس وارسطو والابيقوريون فيقولون بأن اللغة رموز متواضع عليها بين أبناء الجماعة الواحدة ، اذ لو كانت اللغة فطرية بالمعنى الذى يقول به افلاطون ومن معه لما اختلفت من جماعة الى اخرى كما لا يختلف المشي أو الضحك أو البكاء أو غيرها من الامور الفطرية باختلاف الجماعة • هذه هي الصعوبة التي تثار في وجه الرأي الاول • أما الرأي الثاني فليس أكثر توفيقا اذ أنه لابد من وجود وسيلة للتفاهم بين أفراد الجماعة حتى يمكنهم أن يتفقوا على الالفاظ التي يضعونها للمدلولات المختلفة • ولو وجدت هذه الوسيلة لكانت هي اللغة • أو بعبارة اخرى نجد هذا الرأي يقتضي وجود لغة يتم بها التفاهم حتى يمكن الاتفاق الاجتماعي على ابتكار الالفاظ ، أي ان وجود اللغة سابق لهذا الاتفاق وليس الاتفاق هو الوسيلة التي تبتكر بها اللغة • وعن الاغريق نقل علماء العرب هذين الرأيين وأكثروا الجدل حولهما[1] • وفي سياق

---

(١) انظر المزهر للسيوطي

تفسير الآية السابقة « وعلّم آدم الاسماء كلها » تحدث المفسرون واللغويون عن طريقة تعليم الله آدم اللغة . هل التعليم يعني التلقين أم انه يعني مجرد الالهام ، أم ان الله قد علم آدم المسميات أي عرفه بالكون وما فيه ثم ترك لملكته التي أودعها فيه ابتكار الاسماء لهذه المسميات ؟.

وتساءل من يقول بأن الله قد لقن آدم الاسماء عن اللغة التي علمها اياه فقال قوم بأنها العربية وان عصيان آدم قد جعله ينسى العربية وتكلم السريانية ولكن آدم قد تاب وتاب الله عليه فتكلم العربية من جديد .

وقال آخرون بأن الله قد علم آدم السريانية وعنها نشأت بقية اللغات الانسانية الاخرى .

ومثل هذا القول يذكرنا برأي قال به بعض الاوربيين من ان الله كان يتكلم في جنات عدن اللغة السويدية وان آدم كان يتكلم اللغة الدينماركية وان الحية التي أغرت آدم بالاثم كانت تتكلم الفرنسية(١) .

والحق انه لا يمكن الاخذ بمثل هذه الآراء مأخذ الجد ، فمن الواضح ان هذه اللغات كلها لا يمكن أن يرجع تاريخها الى بدء نشأة الانسان في الكون . وهذه اللغات لغات جماعات بعينها فكيف يمكن أن نصدق أن اللغة العربية أو السريانية أوالسويدية أو سواها قد وجدت قبل وجود الجماعة التي تتكلمها ؟

ليس من شك في أن كل جماعة من الجماعات تعتز بلغتها وتتصور انها خير اللغات . والعربية فيعرف العرب أفضل لغات البشر والتركية عند الاتراك أو الفرنسية عند الفرنسيين كذلك أفضل اللغات . ومثل هذه الاحكام ليست أحكاما موضوعية بل ذاتية تصدر من شعور الشخص بلغته

---

(١) انظر ص ١٤ The story of language by Mario Pie. لندن ١٩٥٧ .

وما فيها من ميزات تعبيرية يتوهم أنها لا توجد أو لا يوجد ما يناظرها في لغة اخرى •

وفي القرون الثلاثة الاخيرة نشط التفكير في اللغة وحظى موضوع نشأة اللغة بنصيب وافر من الفروض نتعرض هنا لبعضها :ـ

١ ـ رأي أتباع دارون • قرر دارون ان الوظيفة تخلق العضو وأن فقدان الوظيفة يذهب بالعضو ، فمثلا احتاج الانسان الى استعمال يديه للدفاع عن نفسه ، فقد حاول الامساك بقطع من الحجر أو أغصان الشجر للدفاع عن نفسه، وقد تطورت بسبب هذه الوظيفة يد الانسان حتى تمكن من أدائها فأصبحت أصابعها على ما تشاهده من المرونة • أما الدجاجة مثلا فانها فانها تحتاج لنبش التراب بحثا عن الرزق ، كما يحتاج الارنب لمخالبه لحفر جحره • وقد تطورت الوظيفة بأصابع الدجاجة ومخالب الارنب بحيث أصبحا يؤديان الوظيفة المناطة بهما على أحسن وجه •

وعلى هذا يفترض أتباع دارون ان الانسان الاول كان يعبر عن حاجاته بالاشارة وانه استعمل في عصر متأخر حركات الفم والوجه للتعبير عن هذه الحاجات بدلا من يديه التي كان يتصادف انهما مشغولتان بعمل من الاعمال • وقد تطور الفم بحيث أصبح أكثر ملاءمة لهذه الوظيفة وساهمت الاوتار الصوتية في هذا العمل فنشأت اللغة •

٢ ـ نظرية التقليد • هناك من قال بأن اللغة قد نشأت عند الانسان بطريق التقليد فهو يسمع صوت الكلب « هَوْ هَوْ » أو « بَوْ بَوْ » فيطلق هذا الصوت اسما لهذا الحيوان أو للعمل الذي يقوم به •

وقد يكون التقليد تقليدا لصوت طبيعي كالرعد أو سقوط جسم ثقيل أو سوى ذلك • والقائلون بهذه النظرية يلاحظون :ـ

١ ـ وجود الفاظ في اللغات المعاصرة يلمح فيها بوضوح أثر التقليد

فنحن نقول في مصر «العصفور يصوصو» وفي العراق « العصفور يوصوص» و « الكلب يهبهب » و« القط ينونو » والشبه واضح بين ألفاظ هذه العبارات والصوت الذي نسمعه من هذا الحيوان أو ذاك • ووجود هذه الالفاظ دليل على امكان نشأة اللغة عند الانسان بهذه الطريقة نفسها •

٢ ـ يلاحظ انه بالرغم من أن صوت الحيوان لا يتغير من مكان لآخر ، فان أبناء جماعة ما يقلدون هذا الصوت بشكل خاص يختلف عن الصوت الذي يقلده به أبناء جماعة اخرى • فنحن في مصر نقلد صوت القطة بقولنا « نو » أما في انجلترا فيقولون تقليداً له (مياو) • كذلك يقلد صوت الديك في الانجليزية باللفظ « كوكا دولدو » وفي الفرنسية باللفظ «كوكوريكو» وفي المصرية باللفظ «كوْ كوْ كوْ كوْك» • ومعنى هذا انه بالرغم من اننا جميعا نقلد صوتا واحدا الا أن كلاً منا يقلده بشكل يختلف عن الآخر • وبهذا يفسر أصحاب هذه النظرية اختلاف لغة عن لغة اخرى مع اتحاد المصدر الذي نشأت عنه كل منهما •

٣ ـ نظرية صرخات الانفعال • يقول أصحاب هذه النظرية بأن الانسان يعبر تعبيرا تلقائيا عن الالم والسرور والخوف والتعجب وسواها من ألوان انفعاله • ومثل هذا التعبير الفطري هو المظهر الاول من مظاهر اللغة الانسانية ، ومن الممكن أن نتصور أن تتطور هذه الصرخات الانفعالية فتتخذ مظهرا خاصا عند كل جماعة يختلف عن مظهرها في باقي الجماعات •

* * *

هذه النظريات كلها مردودة اذ لا تستطيع واحدة منها تفسير نشأة اللغة تفسيرا مرضيا • وقد تفسر بعض هذه النظريات وجود بعض المفردات في اللغة مثل نظرية التقليد ، ولكن عدد هذه المفردات قليل جدا اذا ما قيس بمفردات اللغة جميعا •

وعلى فرض نجاح احدى هذه النظريات في تفسير نشأة مجموعة من المفردات ، فانها أعجز من أن تفسر نشأة النظم التركيبية في اللغة ؛ اذ كيف تفسر مثلا نشأة الاشتقاق من مادة الفعل في العربيـــة أو نصب الاســم في حالات ورفعــة في أخرى أو غــير ذلك من الخصائص اللغــوية التي تتصف بها كل لغة •

والى جانب هذا يلاحظ أن جميع هذه النظريات لا يعتمد على مادة لغوية قديمة بل انها جميعا لا تتجاوز الظن والتخمين ، وهما لا يصلحان أساسا يقوم عليه العلم • ولو فرض ان قلت لك بأن العربية الفصحى في عهد النبي عليه السلام تنصب المثنى بالياء وترفعه بالالف ، لاستطعت أن أقدم لك الدليل المادي على هذه الدعوى من النصوص العديدة التى توجد بين يدينا • ولا يستطيع القائل بأية من هذه النظريات أن يقدم دليلا كهذا الدليل ليثبت صحة نظريته • وذلك لان هذه النظريات تحاول الكشف عن لغة الانسان الاول ، أي انها تحاول الرجوع الى الوراء في أعماق التاريخ بما يجاوز مئات الآلاف من السنين • وليس ثمة من أمل أو ظل من أمل في أن نعثـر على نقوش لغوية بقيت منذ هـــذه العصور السحيقة ؛ بل ان أقدم النصوص التى عثرنا عليها حتى الآن لا يتجاوز عمرها سبعة آلاف من السنين • ولا يمكن أن تتخذ هذه وسيلة للكشف عن لغة الانسان منذ مئات المئات من آلاف السنين • ولاجل هذا قال بعض اللغويين بأن هناك وسيلتين لمعرفة لغة الانسان الاول وهما دراسة لغات الجماعات البدائية التى تعيش في عصرنا ودراسة لغة الطفل •

أ ـ لغات البدائيين ـ أصحاب هذه النظرية متأثرون بعلماء الثقافات (ethnologists) الذين يرون ان بعض القبائل البدائيـة التي تعيش في عصرنا هذا تشبه من الناحية الثقافية انسان العصر الحجرى ، فهـــم مثله يعيشون على الالتقاط والصيد ويستعملون الآلات الحجرية • وقد قاس

هؤلاء اللغويون على هذا الرأي فقالوا بأن لغة هذه الجماعات تشبه لغة الانسان الاول وان دراستها ستعطينا فكرة عن اللغة الانسانية الاولى .

والواقع أنه لا يوجد في هذا العصر مايمكن أن يسمى بالانسان البدائي ، صحيح ان بعض الجماعات الانسانية تعيش على اسلوب يختلف عن الاسلوب الذى نعيش عليه . ولكن الذى لا شك فيه ان هذه الجماعات ليست سوى حلقة من سلسلة تاريخية طويلة ، وان لغاتها قد تطورت على مر العصور وبهذا لا يمكن أن نعتبر لغاتها المعاصرة مهما اختلفت عن لغاتنا ممثلة للغة الانسان الاول . بل لقد وجد ان كثيرا من اللغات التي تتكلمها هذه الجماعات معقدة التراكيب دقيقة التعبير ، مع ان المفروض فى اللغة الانسانية الاولى أن تتصف بالبساطة وعدم التعقيد .

ب ـ لغة الطفل ـ أصحاب هذه النظرية متأثرون بنظرية تسمى نظرية التلخيص يقول بها علماء الاحياء . وهم يرون ان حياة الفرد تلخيص لحياة الجنس كله . وأول دور من أدوار حياة الطفل هو بويضة الام وهي تشبه أول دور من أدوار الحياة الحيوانية أي دور المخلوق ذي الخلية الواحدة ، أو الاميبا . ولا تلبث البويضة أن تنقسم فيصبح الجنين قطعة من اللحم لا معالم للخلقة فيها وهي بهذا تشبه الحيوانات ذات الخلايا المتعددة التى لا تتميز بتذكير أو تأنيث . ثم يتميز الجنين بجنسه فيصير ذكرا أو انثى وهو بهذا يعيد مرحلة تالية من مراحل تطور الحيوان ... الخ(١)

وقد قلد بعض اللغويين هذه النظرية فقالوا بأن لغة الطفل تمر بنفس المراحل التطورية التي مرت بها اللغة الانسانية . تبدأ حياته بالصراخ الذي لا يقصد به أي معنى وأثناء هذا الصراخ يتحرك لسانه وشفتاه فينتج

---

(١) النظرية للفيلسوف هيكل وتسمى أيضا محاكاة الاصل . انظر كتاب « تقسيم النبات » تاليف رأفت والقاضى وتوفيق القاهرة سنة ١٩٦٣ ص ٥٥٤ .

بعض الاصوات كالباء والميم والتاء والدال • وتسمعه امه فتفرح وتضمه لصدرها وتنادي أباه لان الطفل قد نطق بلفظ « بابا » بمحض الصدفة وبتكرار هذه العملية يدرك الطفل قيمة الصوت فيستعمله في استدعاء امه أو طلب طعامه أو غير ذلك • وهنا يصبح صياح الطفل لغة مقصودة ، حيث تصير أصوتا ذات دلالات معينة • وتتطور لغة الطفل بنموه وبالحاح امه وأخواته عليه أن ينطق بألفاظ معينة مثل « بابا » « ماما » «كوته » « نونه » الخ • ويقلد الطفل هذه الاصوات ويدرك معناها • وقد يعبر عن عبارة كاملة بجزء من أحد الفاظها فيقول « آب » وهي تعني « افتح الباب » وهكذا •••

ويقول أصحاب هذه النظرية بأن لغة الانسان الاول قد بدأت بصياح لا معنى له ثم اكتسب هذا الصياح معنى بفعل الظروف المحيطة بالانسان فأصبح لغة ، تماما كما حدث في حالة الطفل •

وبالرغم من أن هذه نظرية جذابة الا أنه ليس من الممكن أن توصف بالواقعية • ولا تزال هي الاخرى ضمن النظريات التي تعتمد على الظن والتخمين والتى لا يمكن أن ترتقي الى مستوى العلم •

* * *

هذه خلاصة لعدد من الآراء التي قيلت في تفسير نشأة اللغة وهي جميعا كما ترى آراء لا تحظى بقدر كبير من القبول • ونحن الآن نتساءل « ما هو رأي علماء اللغة المعاصرين في نشأة اللغة اذن ؟ »

لقد سبق أن قلنا اننا ننهج في بحثنا اللغوي منهج العلم في الاعتماد على الدلائل المادية حتى نقول برأي ما على سبيل القطع • ولما كان من المستحيل العثور على نصوص لغوية ترجع الى نشأة الانسان الاول منذ حوالي مليوني عام ، فانه من المستحيل بالتالي أن نقول برأي ما حول اللغة الانسانية الاولى ، كيف كانت أو كيف نشأت • ان امامنا العديد من المشاكل اللغوية المعاصرة التي تتطلب البحث والدراسة ، وقد يكون من الاجدى على العلم أن ننصرف اليها ونترك مشكلة اللغة الانسانية الاولى •

المقارنة اللغوية :

ثمة طريقة في البحث يمكن بواسطتها معرفة اللغات القديمة المنقرضة. وهي قد تصل بنا الى أعماق تاريخية لم يبق لنا من نصوصها اللغوية شيء ، ولكنها على وجه التأكيد لن تصل بنا الى معرفة اللغة الانسانية الاولى • وهذه الطريقة هي طريقة المقارنة اللغوية الي ستتعرض لها فيما بعد •

نلاحظ الآن في العالم العربي مثلا وجود عدد من اللهجات العربية التي تختلف في بعض الصفات وتتحد في صفات اخرى الى درجة يمكن معها القول بأنها جميعا منحدرة عن أصل واحد • وقد يكون هذا الاصل الواحد هو العربية الفصحى أو احدى اللهجات القديمة • واذا قارنا اللهجات المعاصرة لاستطعنا أن نصل الى صورة فرضية للغة التي انحدرت عنها هذه اللهجات ، تماما مثلما يمكن أن نفترض أن أب محمد وعلي وابراهيم كان مقوس الانف لان أبناءه مقوسو الانوف ، وانه كان قصير القامة لانهم جميعا قصار القامة • نحن هنا نفترض ان الصفات التي تشيع في الابناء قد ورثت عن أبيهم • ونستطيع بالمثل أن نفترض أن الصفات التى تشيع في اللهجات العربية مثلا كانت توجد في اللغة التي تطورت عنها هذه اللهجات ، والتي تسمى « اللغة النموذج » (Proto Language) ولنأخذ اللغة التي عنها تطورت اللغة العربية ونقارنها باللغات العبرية والسوريانية والحبشية واليمنية القديمة ••• الخ وهي لغات تشبه بعضها البعض كما تشابه اللهجات العربية • وسنستطيع بهذه المقارنة أن نصل الى افتراض لغة أقدم منها تعتبر المصدر الذي تولدت هذه اللغات عنه وتسمى « اللغة السامية النموذج » (Proto Semitic) •

وبمقارنة الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية نصل الى « اللغة اللاتينية النموذج » أي النماذج اللغوية التي نفترض وجودها في اللغة الاصلية التي تطورت عنها هذه اللغات •

وبمقارنة اللاتينية والاغريقية والايرلندية والالمانية والروسية ٠٠الخ تصل الى النماذج الافتراضية التي تكون « اللغة الهندواوروبيه النموذج » (Proto Indo European).

وبمقارنة الهندواربيه النموذج والسامية النموذج والحامية النموذج وهي أصل المصرية القديمة واللغات البربرية يمكن أن تصل الى النماذج التي تطورت عنها اللغات الهندواوروبيه والسامية والحامية ٠٠٠ الخ ٠

وهكذا يمكن أن نتصور عقلا أنه من الممكن أن تقودنا هذه الدراسات المقارنة الى الوصول الى « اللغة النموذج الاولى » التى تولدت عنها اللغات المعاصرة ٠ ومثل هذا العمل كما ترى عمل يعتمد أساسا على دلائل مادية واقعية هي اللغات واللهجات المعاصرة واللغات الادبية التي بقيت في تراثنا الثقافي حتى اليوم ٠ ويمكن تشبيه هذه الدراسة بتتبع أوراق الشجرة التي تنتهي بنا الى فروع صغيرة ثم تتبع الفروع الصغيرة حتى تنتهي بنا الى الفرع الكبير الذى تولدت عنه ثم تتبع الفروع الكبيرة حتى تنتهي بنا كل مجموعة منها الى الفرع الاكبر الذى تولدت عنه ثم تتبع الفروع الكبرى حتى تنتهي بنا الى جذع الشجرة ٠

وقد كان الفيلسوف الالماني ليبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) أول من قال بنظرية « اللغة النموذج » حيث قال بأن اللغات المعاصرة ترجع الى لغة اولى وانه لن يمكن الوصول الى اللغة الاولى عن طريق النصوص اللغوية التى خلفتها لنا الاجيال الماضية وان السبيل الوحيد لمعرفة اللغة الاولى هو مقارنة اللغات واللهجات المعاصرة والوصول الى نماذج مفترضة يمكن أن تعطينا فكرة افتراضية عن اللغة الاولى(١) ٠

ويهدف علماء اللغة المعاصرون الى حصر جميع اللغات واللهجات التي

---

(١) ص ٤٣٣ Gray's Foundation of Language
الطبعة الثانية ٠ نيويورك ١٩٥٨

تسود العالم ودراستها دراسة مقارنة للوصول الى « اللغة النموذج » لكل مجموعة منها ثم مقارنة « اللغات النموذج » بعضها ببعض والوصول الى « لغة نموذج » اقدم وهكذا • وهم لا يزعمون انهم بدراستهم هذه سيكشفون النقاب عن نشأة اللغة الانسانية الاولى أو صفات هذه اللغة فذلك أمر أبعد من أن يناله انسان •

ما هي اللغـــة ؟

نحن لا نقصد باللغة مجرد التعبير لأن التعبير قد يتحقق بالابتسامة أو بتقطيب الوجه أو باشارة من اشارات اليد. وقد يحدث بالصراخ أو الضحك أو سوى ذلك من الوسائل الصوتية التي يعبر بها الانسان والحيوان عن عاطفة أو احساس • والفرق بين هذين النوعين من التعبير هو ان الثاني منهما ـ دون الاول ـ تعبير صوتي • واللغة ولاشك تعبير صوتي ولكنها تفترق عن الصراخ والضحك في أن هذين الامرين الاخيرين من رد الفعل الطبيعي. اما اللغة فمن ردود الافعال المكتسبة •

ورد الفعل هو العمل الذي يحدث تحت تأثير أمر آخر ، فانا لو صحت فى وجهك فتراجعت للوراء ، فان تراجعك من ردود الافعـال • ولو قلت لك « صباح الخير » فقلت لي « صبحك الله بالخير » فان قولك هذا من ردود الافعال أيضا • وما فعلته أنا يسمى « المثير» لانه سبب العمل الذي قمت به ، وعملك هذا يسمى برد الفعل لانه نتيجة للمثير •

والنشاط الذي يقوم به الانسان قد يكون استجابة لطاقة بيولوجية واكتمال عضوي وقد يكون اكتسابا يتحقق له بتقليد الغير •

والنشاط العضوي الانساني غير المكتسب كالضحك والبكاء والانين يحدث بطريقة واحدة رغم اختلاف الناس والمواطن فأنت في العراق تضحك وتبكي وتئن بنفس الطريقة التي يضحك بها الناس ويبكـون ويئنـون في اليابان أو الهند أو القطب الشمالي ، أما لغتك فانها تختلف عن لغات هؤلاء الناس ، لانها نشاط مكتسب •

والنشاط البيولوجي هو النشاط الذي يمكن للفرد القيام به بمجرد تمام تكوينه العضوي • ونحن نلاحظ مثلا أن الطفل لا يستطيع المشي على قدميه ولكنه حين تنمو عضلات ساقيه ومركز الاتزان في مخـه يستطيع

ذلك دون حاجة الى معلم • وليس ثمة شك في أن تحكم الطفل في عضلات لسانه أمر بيولوجي ، والتحكم في عضلات اللسان هـو الخطوة الاولى في طريق الكلام • ولكن ليس معنى هذا أن اكتساب اللغة أمر بيولوجى • فلو فرضنا أن طفلا قد عزل عن المجتمع انعزالا تاما حتى بلغ العاشرة مثلا ثم درسنا مدى استطاعته الكلام للاحظنا انه بالرغم من نمو عضلات لسانه لا يستطيع الكلام الا بعد تدريب طويل • ومعنى هـذا ان مجرد النمـو البيولوجي ليس كافيا لامكان القيام بالنشاط الذى نسميه لغة لان هـــذا النشاط كما اتضح نشاط مكتسب • واذا كانت اللغـة أمراً مكتسبا فان من الطبيعي أن تختلف باختلاف المصدر الذي تؤخذ عنه • ومن أجل هـــذا اختلفت اللغات • فأنت تستعمل لفظ (حجر) للدلالة على الذات المعروفة بيننا لانك قد سمعت وامك وأقرانك يستعملون هذا اللفظ لهذه الذات • وفى نفس الوقت يستعمل الانجليزى مجموعة اخرى من الاصوات للدلالة على نفس الذات وذلك لانه قد سمع أباه وامه وأقرانه يستعملون هـــذه المجموعة من الاصوات للدلالة عليها • وعلى قدر ما يوجد في مجتمع ما من ذوات وأفكار توجد الالفاظ • ومن ثم فليس من الغريب ألا يوجد في الانجليزية لفظ (جمل) لان الجمل لا يوجد في هذه البلاد كما أنه ليس من الغريب ألا يوجد فيالعربية لفظ (سردين) أو (تونه) لان هذين النوعين من الاسماك لم يعرفاللعرب • وعند اتصال الشعوب التي تتكلم الانجليزية بتلك التي تتكلم العربية أخذت لغة الاولين كلمة (Camel) وأخذت لغة الآخرين كلمتي (سردين وتونه) • ونحن حين نقول بأن اللغة ميراث ثقافي نعني بالتحديد انها ألفاظ تؤخذ عن الاسـلاف من ناحية وانها من ناحيـــة اخرى صورة للظروف المادية والعقلية في المجتمع •

ولكن اذا كانت اللغة نشاطا فمن الذى يقوم به ؟ وفي أي الظروف يقوم به ؟ الفرد ولا شك هو الذي يقوم بهذا النشـاط ولـكن في ظرف

اجتماعي معين ، بمعنى انـه لا يتكلـم بمفرده • وحتى في الظروف التي يبدو فيها أن الشخص يتكلم بمفرده كمن يقرأ خطابا أو يتحـدث الى نفسه ، يتخيل المتكلم مخاطبا يتحدث اليه ؟ أي أن الظـرف الاجتمـاعي متحقق بطريقة ما •

النشاط الذي نسميه لغة نشاط انساني مكتسب تقوم به الاعضـاء الصوتية • وهذا النشاط يمكن أن يقسم الى أجزاء ، بمعنى أنه من الممكن ابدال جزء من نطق ما بجزء من نطق آخر ، فلدينا مثلا لفظ «مات» يمكن أن يستبدل بالجزء الاول منه صوت آخر فيصير « بات » كما يمكن استبدال جزء آخر بالجزء الاخير فيصير « ماء » وهكذا • وهـذه الاجـزاء تتميز بصفتين اولاهما انها غير قابلة للانقسام حيث لا يمكن أن تقسم الميم أو الباء أو الهمزة الى أجزاء يسمى كل منها صوتا ، وثانيهما ان الجزء الواحد لا يفيد معنى بمفرده ولكنه يفيد المعنى مع بقية أصوات المجموعة التى يوجد فيها •

ولابد كذلك أن ترتيب الاصوات ترتيبا معينا حتى تفيـد معنى ما ، فمجموعة الاصوات « ج + فتحه + م + فتحه + ل » تفيد معنى معينا هـو الحيوان المعروف • ولكن لو اختلف ترتيبها فأصبحت :

« م + فتحه + ج + فتحه + ل »

لفقدت معناها • وكذلك يكون الشأن فيما لو نقص أحد أصواتهـا فصـارت :

« ج + فتحه + م + فتحه » مثلا

وهي على هذا الشكل لا معنى لها •

وأقل مجموعة من الاصوات تؤدى معنى من المعاني تسمى بالوحدة الصرفية أو الصرفيم • ومثالها « الواو المفتوحة » في العربية ، وتفيد اضافة شىء الى شىء وهو معنى نسميه في العربية بالعطف ، ومثل « ال » وتفيد التعريف و « ولد » وتشير لذات معينة •

وقد تكون الكلمة صرفيما واحدا مثل « ولد » أو أكثر من صرفيم واحد مثل « المسلمون » وهي مكونة من الصرفيمات « ال » و « مسلم » و « ون » ومعنى أولها التعريف، ومعنى ثانيها ذات متصفة بالاسلام، ومعنى ثالثها الجمع والتذكير .

لنتأمل الآن هذه المجموعة من الكلمات التي سنضعها على الترتيب التالي :

« أحمد محمد مع يقرأ ويمشي هو »

ليس من شك في أن لكل منها على انفراد معنى ما ، ولكنها في مجموعها لا تؤدي معنى كاملا لانها لم توضع على ترتيب من الترتيبات التي تفرض اللغة العربية وضع الكلمات على نسقها . ولابد حتى تؤدي هذه الكلمات معنى كليا من وضعها على هذا النحو :

« محمد يقرأ وهو يمشي مع أحمد »

ولكن ما هي الوظيفة التي تستخدم فيها هذه المجموعات من الاصوات مرتبة وفق النظم التي تفرضها اللغة ؟

هذه الوظيفة هي أن تستعمل في نقل خبر ما من ذهن المتكلم الى ذهن السامع كقولنا « سافر محمد » ، أو في نقل أحساس المتكلم مثل « ما أكثر تعبي » وهي عبارة تفيد التعجب و « يا لله لك » وهي عبارة تفيد الاستغاثة لا الاخبار . بعد كل هذا يمكن أن نعرف اللغة بالتعريف التالي : « اللغة نشاط مكتسب يتم بواسطته تبادل العواطف والافكار بين أفراد جماعة انسانية معينة . وهذا النشاط عبارة عن مجموعة من الاصوات تستعمل وفق نظم معينة » .

اللغة والكلام والحدث اللغوي

التعريف الذي ذكرناه للغة تعريف وظيفي ، بمعنى انه يعتمد على الوظيفة التي تؤديها اللغة في المجتمع وهي نقل الافكار بين المتكلم والسامع .

ولا يرتضي الاستاذ السويسري فريدناند دي سويسير مثل هـذا التعريف لانه يفضل التفريق بين مظهرين مختلفين من مظاهر اللغة • أمـا الاول فهو الكلام وهو عند دي سوسير نشاط واقعي يقـوم به فرد من الافـراد يتمثل في نطقه بعبارة ما • وهذا النشاط الواقعي يتغـير دائما • فأنا حـين انطق بعبارة ما اختلف في ادائها عنك حين تنطق أنت بهذه العبارة نفسها • وقد اغير تركيب العبارة نوعا ما أو أنطق بصوت من أصواتها أو نغمة من نغماتها على شكل مختلف ؛ وكل هذه التغييرات أمور عرضية لم تتمكن بعد فى اللغة لانها لم تصبح شائعة على السنة الآخرين •

أما الامر الثاني ويسميه دي سوسير لغـة ، فهـو الصور الذهنيـة المختزنة في ذهن الجماعة اللغوية لكل لفظ وكل تركيب أو صـوت من الفاظ اللغة وتراكيبها وأصواتها • أو بعبارة اخرى هي مجموعة الرموز التي تحتويها لغة من اللغات • ومن الناحية الخارجية يمكن أن نجمع هذه الرموز في كتب نسميها القواميس وكتب القواعد • والتغير في اللغة بطيء لا يحدث الا عن طريق الكلام ، اذ لابد أن يتغير كلام شخص مـا ثـم يقلده آخر فآخر حتى يشيع هذا التغير لدى الجماعة اللغوية فتتغير الصور اللغوية الذهنية لديها فيتم التغير في اللغة •

وقد أخذ على مذهب دي سوسير هذا ما يأتي :ـ

١ ـ ليس هناك شيء اسمه « ذهن الجماعة » أو « عقل الجماعة » اذ ان الموجود فعـلا هو « عقل الفرد » ـ أو ذهنه ـ ولهـذا لا يمكن أن تختزن الصور اللغوية في « عقل الجماعة » • أما المكان الذي توجد فيـه هذه الصور فهو « عقل الفرد » • واذا كانت اللغة هي هذه الصورة المختزنة فلابد أن تكون اللغة مسألة فردية وليست جماعية •

٢ ـ لم يفرق دي سوسير بين نطق فرد واحد بعبارة واحدة وبين الكلام الذي هو مجموع ما ينطق به أفراد الجماعة اللغوية في كل الاوقات،

ولابد من ذكر قسم آخر هو « الحدث اللغوي » يشير لنطق فرد واحد عبارة واحدة مرة واحدة • وعلى هذا يكون الكلام مجموع الاحداث اللغوية ، ولا يعتبر أي حدث لغوي واحد كلاما بل مجرد مثال للكلام ، كما توصف أنت بأنك انسان وان كنت لست كل الناس •

٣ ـ ليست « لغة الجماعة » أكثر من أمر اعتباري • وهي المقدار المشترك بين لغات أفراد جماعة لغوية واحدة •

وعلى هذا فقد انتهينا الى تقسيم ما نسميه باللغة الى امور أربعة : ـ

١ ـ لغة الفرد وهي الصور الذهنية اللغوية في ذهن فرد بعينه •

٢ ـ لغة الجماعة وهي القدر المشترك من الصور الذهنية اللغوية لدى أفراد جماعة ما •

٣ ـ الحدث اللغوى وهو نطق فرد واحد عبارة واحدة مرة واحدة•

٤ ـ الكلام وهو مجموع الاحداث اللغوية التى ينطق بها أفراد جماعة لغوية معينة •

هذا ويطلق دي سوسير لفظ « لغة » (بدون اداة تعريف) (Langauge) على اللغة الانسانية باعتبارها ملكة من الملكات أو ظاهرة من الظواهر وهي بهذا تختلف عن « لغة جماعة بعينها » وهي مجموعة من الرموز مجموعة في القاموس وكتاب القواعد الخاص بهذه اللغة •

اللغة والفرد : ـ

تمثل اللغة من الناحية الواقعية في الكلام • والكلام نشاط يقوم به الفرد ومن هنا يمكن القول بأن الفرد هو المركز الذي تقوم عليه الدراسة اللغوية • ونشاط الفرد اللغوي ذو جانبين ، جانب عقلي وجانب مادي ، وقبل أن نتعرض بالتفصيل لطبيعة كل من هذين الجانبين نتعرض لوصف النشاط الذي نسميه كلاما • وسنستعير هنا الموقف الذي صوره بلو مفيلد(٤)

---

(٤) Bloomfield في كتابه Language

في كتابه (اللغة) عندما وصف هذا النشاط ، رأت الفتاة تفاحة فصاحت قائلة (تفاحة) وسمعها صاحبها فمد يده واقتطفها وقدمها اليها قائلا (ها هي) • » يمكن تحليل هذا الموقف الى العناصر الآتية ، الفتاة ، والفتى ، والتفاحة ، والنشاط الذي قام به كل من الفتى والفتاة ، ولكل من هذه العناصر دوره •

أما التفاحة فقد لفتت انتباه الفتاة وأما الفتاة فقد قامت بعملية عقلية عضلية انتجت الاصوات «ت + ضمه + ف + ف + فتحه طويله + ح + فتحه + هـ » •

وبفضل هذه العملية أطلق عليها اسم « الطرف المتكلم » • ونقل الهواء هذه الاصوات الى اذن الفتى وحدثت هنا عملية مادية تمثلت في حركات دقيقة في طبلة اذنه ثم في أعصابه السمعية التي نقلت هذه الحركات ـ الى المخ فأدرك ما تعنيه الفتاة • وبفضل هذه العملية المادية والعقلية اطلق على الفتى اسم « الطرف المستمع » •

هناك الى جانب هذا علاقة بين النشاط الذى قامت به الفتاة والذي سميناه بالاصوات وبين الجسم الذى رأته والذى نسميه التفاحة • واذن فعلينا أن نعرف الامور الآتية : ـ

١ ـ النشاط العقلي لدى كل من الفتاة والفتى •

٢ ـ النشاط العضوي لديهما ، أي ما تقوم به أعضاء النطق عند الفتاة وأعضاء السمع عند الفتى من حركات •

٣ ـ ما يحدث في الهواء نتيجة لهذا النشاط •

أولا ـ العملية العقلية ـ يمكن دراسة العمليات العقلية باحدى الطريقتين ـ طريقة علم الاعصاب وطريقة علم النفس •

يقرر علماء الاعصاب ان مركز النشاط العقلي هو المخ والمخيخ والحبل الشوكي • وقد شاعت نظرية تقول بأن المخ عبارة عن مجموعة من المراكز أو الاجزاء بعضها يختص بعملية السمع والآخر بعملية البصر

والثالث بالكلام وهكذا • والذي يهمنا من هذه ما يتعلق منها بالكلام • وقد قام بعض العلماء بدراسات لمعرفة مدى أهمية هذا الجزء من المخ في عمليات الكلام • وقد لاحظوا ان اصابة هذا الجزء قد يؤدي الى فقدان القدرة على الكلام أو على الاصابة بالتمتمة أو ثقل النطق • كما لاحظوا ايضا كثيرا من عيوب الكلام ترجع الى اضطراب يحدث في هذه المراكز ومنها :ـ

(١) مرض الافازيا (Aphasia) وهو مرض يؤدى الى عدم استطاعة الشخص ترتيب الاصوات داخل الكلمة أو ترتيب الكلمات داخل الجملة ترتيبا سليما ،فمثلا اذا حاول المريض بهذا المرض أن يقول (ضرب) فقد يخطىء فيقدم الراء على الضاد فيقول (رضب) أو اذا حاول النطق بالجملة « جلس الولد على الكرسي » فقد يخطىء فيقول « على جلس الكرسى الولد » وهكذا • وقد وجدوا انه بمجرد شفاء الشخص من هذا المرض العصبي يستعيد قدرته الطبيعية على الكلام •

(٢) مرض الهلوسة (hallusination) وهو مرض يؤثر على المركز السمعي في المخ فيتصور المريض انه يسمع كلاما موجها اليه فيجيب عنه • وهو من وجهة نظره يتكلم ردا على ما سمع • أما من وجهة نظرنا فانه يحدث نفسه •

(٣) مرض الحساسية السمعية (hyperenaphasia) وهو يجعل المريض يتصور سماع بعض العبارات وينقل صورها الى مركز السمع فيسمعها دون أن تنطق •

وبالرغم من أن نظرية المراكز هذه قد لاقت هجوما عنيفا تمثل في نظرية تسمى بنظرية « الجيشتالت » ، فان كل ما يهمنا هنا هو اثبات علاقة عملية الكلام بالظروف العصبية لدى المتكلم •

وقد وجد علماء الاعصاب أيضا أن عملية التفكير عبارة عن سريان تيارات كهربائية من نقطة في المخ الى نقطة اخرى ، وذلك بمرورها في خيوط دقيقة جدا تشبه أسلاك الكهرباء وتسمى هذه الخيوط بأعصاب المخ • وبفضل تقليد هذه العملية أمكن اكتشاف الآلات الحاسبة والمفكرة • على أنه ليس العجيب في العقل الانساني هو اكتشاف طريقة عمله ، ولكن العجيب هو أن هذا العضو الذى لا يزيد وزنه عن رطل واحد من الخلايا يقوم بعمليات معقدة ومتنوعة • فهو يستطيع الكلام والترجمة والقيام بالعمليات الحسابية والرسم والبناء والاختراع ، وهي عمليات لو حاول الانسان تقليدها جميعا لابتكر آلاف الاجهزة • ولا يزال علماء الاعصاب بعد سنين طوال يجهلون حقيقة ما يحدث عند عمليات التذكر أو التخيل • أين تذهب الكلمات التي ننساها وكيف ترجع من جديد عندما تتذكرها ؟ وكيف نتخيل صورة انسان نعرفه ، بل كيف نتصور وجه انسان لم نره من قبل اذا ما سمعنا باسمه ••• الخ

كل هذه أمور لا يستطيع عالم الاعصاب كشف النقاب عنها •

واذن فلن نستطيع أن نستفيد ـ الآن على الاقل ـ كثيرا من علم الاعصاب فى فهم عملية الكلام وتحليلها •

لنحاول الآن الاستفادة من علم النفس ، وهو وعلم يدرس العمليات العقلية بطريقة التأمل الذاتي (Introspection) وهي أن يحاول الفرد معرفة ما يجري في نفوس الناس في موقف من المواقف بأن يضع نفسه فى هذا الموقف ذاته ، لكشف ما يجري فيها ثم يحكم بأن ما يحس به هو ما يحدث في نفوس الآخرين • وعلماء النفس هنا على حق اذ لا سبيل لنا الى معرفة طعم فاكهة معينة مثلا الا بأن نذوقها حيث ان وجد ان الآخرين لا يمكن اكتشافه الا عن طريق معرفة وجداننا • والعقل عند علماء النفس

مجموعة الملكات والقدرات وليس جزءا ماديا من اجزاء الجسم • ولكن هناك عضوا معينا هو المخ تجرى فيه العمليات المتصلة بهذه الملكات والقدرات• وسنعرض هنا لعمليتين لهما اتصال بموضوعنا وهما :

أولا ـ عملية التصور ـ تنقل الحواس المختلفة صور الاشياء الخارجية الى المخ فترتسم عليه كما ترتسم الصورة في المرآة • غير أن الصورة تزول من المرآة بزوال الجسم الذي أحدثها • أما الصورة العقلية فيمكن أن تظل بعد زوال الجسم كما يمكن أن تختزنها وتستدعيها فيما بعد عند اللزوم •

ثانيا ـ عملية الاستدعاء ـ يمكن استدعاء الصورة المختزنة في المخ بتعريض الحواس للشىء مرة اخرى • وهنا يستدعي العقل الصورة القديمة ويطابقها بالصورة التي أمامه فيدرك أن الصورتين لأمر واحد ، أو بعبارة اخرى تحدث عملية تذكر • ويمكن استدعاء الصورة المختزنة بوسيلة أخرى وهي أن تعرض للحواس شيئا آخر له ارتباط بالشىء صاحب الصورة • ومثال ذلك ـ جريان اللعاب عند رؤية الطعام ، ورؤية الطعام تسمى (المثير) ويسمى جريان اللعاب « رد الفعل » • ويمكن أن نحدث رد الفعل هذا دون رؤية الطعام ولكن بسماع الجرس الذى تعودنا حدوث رنينه عند حدوث الطعام• ورنين الجرس في هذه الحالة ليس المثير الاصلي ولكنه مثير ثانوي يحدث أثره بفضل ارتباطه فيالذهن بالمثير الاصلي • والمثير الثانوي هذا هو الذى نسميه (رمزا) • والكلمة مثير من النوع الثانوى أو رمز ، وفائدتها أنها تستدعي الى الذهن صورة الشىء دون أن نضطر الى احضاره أمام الحواس للاحساس به واستعادة صورته • والتفاحة في المثال الذي ذكرناه من قبل مثير أصلي أعاد الى ذهن الفتاة صورة مختزنة اكتسبها من رؤية التفاح من قبل • أما رد الفعل فكان نطقها (تفاحة) • أما الفتى فلم ير التفاحة ولكن سمع هذه الكلمة من الفتاة فذكرته بصورة الجسم « أي التفاحة » مع انه لم يرها • وبهذا يمكن القول بأن هذه الكلمة رمز

لهذا الجسم واننا قد استدعينا الصورة بواسطة الرمز لا بواسطة الجسم • أما رد الفعل الناتج عن هذا المثير الثانوي أو الرمز فقد كان احضار الفتى التفاحة للفتاة • والمفروض ان ارتباط هذا اللفظ (ت + ضمه + ف + ا + ح + فتحه + هـ) بهذا الجسم أمر مشترك بين الفتى والفتاة بل وبين جميع أفراد الجماعة اللغوية التي ينتميان اليها • وينشأ هـــذا الارتباط فى الذهن من التجارب التي يمر بها الفرد منذ ولادته حتى يموت• ولنفرض أن طفلا رأى تفاحة لاول مرة في حياته وسمع امه تقول « تفاحة » وتقدمها اليه • هذا العمل يربط هذا اللفظ والجسم • وبتوالي مثل هذا الحادث أي استعمال الالفاظ بازاء الاشياء والاحداث تكثر الرموز اللغوية عند الطفل •

وقد يحدث خطأ فى عملية الربط بين الرمز اللغـوي والشيء الذي يشـير اليـــه ويكون سماعيـا أو ادائيـــا • وعـن الخطـــأ فى عمليـــة الربط يحدث اختلاف بين لغة الفرد ولغة الجماعة فاذا حدث الخطأ على نطاق واسع بحيث شمل الجماعة كلها فان هذا يسبب تغيرا في لغة الجماعة•

ويكثر الخطأ في الربط عند الاطفال واليه يعزى ما نشاهده في لغاتهم من الفاظ خاصة بهم واليك مثالان لهذا :ـ

كان الطفل المصري فاضل علي أسعد يسمي الحذاء « دَفَيَه » ولم يكن أبواه يدريان سر هذه التسمية • وقد لاحظت ان الطفل لا يستعمل كلمة ، فرده ، وان الفرق بين كلمة (دفيه) التي يستعملها وبين (فرده) يتمثل في أمرين • اولهما : وجود الراء فى أحداهما والياء فى الاخـرى ونطق الطفل الراء ياة أمر شائع ••• وثانيهما : تقديم موضع الدال في كلمة الطفل عن الموضع المقابل لها في الكلمة الصحيحة •

ولو قلنا بأن الطفل قد وقع في خطئين أولهما نطق الراء ياء وثانيهما تقديم صوت عن موضعه فى الكلمة ، وهما خطأن يكثر وقوع الاطفال فيهما ،

لو قلنا بهذا لاكتشفنا سر هذه التسمية التي أطلقها الطفل على الحذاء ٠ وبالوصول الى هذا أمكن افتراض الموقف التالي : ـ

وجدت الام احدى فردتي الحذاء بعيدة عن متناولها فقالت له « هات الفردة » وأشارت لفردة الحذاء ٠ وربط الطفل بين الحذاء وكلمة « فردة » ثم استعملها مع ارتكاب الخطئين المشار اليهما ٠ ولم تدرك عائلة الطفل سر تسمية هذه ولكنها قلدته فيها حبا له ولما يقول ٠ وتمكنت هذه العملية الرمزية من نفس الطفل فأصبحت « دَفَيَه » تعني في لغته الى سنوات عديدة (فردة)٠

أما المثل الآخر فقد حدث لطفل عراقي هو الآن في الرابعة ٠

للطفل أنيس هادي حداد أخ صغير اسمه « ليث » وصوت الثاء يشبه سماعيا صوت الفاء ولهذا فقد اخطأ في نطق اسمه أخيه وقال « لوفي » واستطابت العائلة هذا الخطأ وقلدته وظل اسم الاخ الصغير فترة طويلة لدى أنيس واسرته « لوفي » ٠ هنا أيضا نوع من الخطأ في عملية اكتساب الرمز اللغوي ٠

والرمز اللغوي هو صورة ذهنية ذات جانبين أحدهما تصور اللفظ والثاني تصور الشيء الذي يشير اليه اللفظ ، فمثلا يستطيع كل منا ان يتمثل في ذهنه الاصوات التي تدل على المادة المعينة التي تسمى (حجر) كما يستطيع أن يتمثل هذه المادة ذاتهما ٠ وبمجرد تمام اكتساب الرمز اللغوي عند الشخص يستطيع تصور هذه المادة كلما ذكر اللفظ الدال عليها كما يستطيع أن يتصور اللفظ اذا ما رأى المادة ٠ وعملية التداعي هذه أي تداعي صورة اللفظ وصورة المعنى ، هي التي تمكن من عملية التفاهم بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ، فمجرد أن ينطق المتكلم باللفظ يدعو الى ذهن السامع صورة مدلولة ويكون ادراكه لما يقول المتكلم مثيرا يدفعه الى الرد أي الى النطق بألفاظ تستدعي لدى الشخص الاول مدلولاتها وهكذا ٠

وهذا يعني بالضرورة انه لابد من وجود قدر مشترك من الرموز في ذهن كل من الشخصيتين حتى يتم التفاهم بينهما .

ومجموعة الرموز التي توجد في ذهن شخص ما هي لغة هذا الشخص. ولكل شخص حصيلته اللغوية الخاصة التي يكتسبها من تجاربه في الحياة. ولما كانت تجارب كل شخص تختلف عن تجارب سواه فاننا نتوقع أن تكون لغة كل شخص تختلف الى حد ما عن لغة سواه من أبناء جماعته . ولكن مع التسليم بهذا الاختلاف بين شخص وآخر الا أن هناك قدرا كبيرا مشتركا بين الخبرات والتجارب التى يحصلها من يعيشون في بيئة اجتماعية واحدة . ومن أجل هذا تتقارب لغتهم بحيث يمكن أن تتجاهل ما بينهم من اختلاف . والقدر المشترك بين لغات الافراد في جماعة ما ، هو لغة هذه الجماعة .

* * *

الجانب الفيزيائي في الكلام : الكلام عبارة عن حركات عضوية تبدأ من رئتي المتكلم وتنتهي بخروج الهواء من فمه وأنفه . ويخرج الهواء من الفم والانف على شكل موجات صوتية ينقلها الهواء الى اذن السامع فتحدث تأثيرها الذي أشرنا اليه .

ومن الممكن دراسة الكلام باعتباره تموجات صوتية تحدث فى الهواء كما يدرس عالم الطبيعة الموجات الصوتية المختلفة . وقد وجد ان الجهاز الموسيقي الذي يحدث هذه الذبذبات عند الكلام هو الحنجرة . وجد أيضا أن الذبذبات التي تغادر الحنجرة تمر بمجوعة من غرف الرنين في البلعوم واللهاة وداخل الفم والانف ، وان حركات اللسان المختلفة وحركات الشفتين والفكين وسواها من الاعضاء تساعد على تشكيل هذه الغرف ، فيختلف تأثيرها على الذبذبات الصادرة من الحنجرة .

ولسنا هنا في مجال التفصيل ولكنا نكتفي بأن نذكر أن بعض هذه

الموجات يضعف أو يتلاشى وبعضها يقوى وانها تخرج في شكل حزم من الموجات الصوتية • ويمكن بدراسة هذه الحزم تعيين الاصوات المختلفة ، كالباء أو الجيم أ والصفات الصوتية الهامة ، كالتفخيم في العربية أو الانفية في لغات اخرى • بل لقد أمكن بفضل هذه الدراسة ، تحليل العبارات وانتاج بعض الجمل بطريقة صناعية ، دون أن ينطق بها متكلم • وقد ازدهرت هذه الدراسة أخيرا ، نظرا لقيمتها التطبيقية في هندسة الصوت التى هي أساس عمليات الاذاعة اللاسلكية والتلفون ، ونشأ فرع جديد من فروع الدراسة اللغوية الصوتية يعرف باسم « علم الاصوات الفيزيائي » "accoustic phonetics" • وهو فرع من فروع الدراسة الصوتية يعتمد أساسا على الاجهزة الميكانيكية والالكترونية ، ولسنا هنا بحاجة الى الحديث عن هذا الفرع من الدراسة ، بأكثر من هذه الاشارة السريعة اليه •(٥)

---

(٥) انظر كتابنا أصوات اللغة وفيه كثير عن هذه الدراسة •

« اللغــة والمجتمع »

ذكرنا من قبل أن اللغة نشاط يقوم به الفرد ويكتسبه من المجتمع الذي يعيش فيه ، ويروي التاريخ قصة أحد ملوك الاسرة الثانية المصرية ، حين عزل طفلا وليداً عن الاتصال بالناس ، ليرى ما اذا كان سيتكلم عند اكتمال نموه ، دون اكتساب لغته من الجماعة • كما تذكر الكتب قصص بعض الافراد الآدميين الذين عثر عليهم في الغابات يعيشون مع الذئاب والكلاب الضارية • ويظن أن هؤلاء قد تركوا في الغابة منذ ولادتهم وتربوا مع أطفال ذئبة أو كلبة • وقد أخذ هؤلاء ودربوا على الكلام فاستطاعوا في سرعة اكتساب اللغة • وهــذا دليل على أن ملكة اللغة فطرية تولد مع الشخص • أما اكتساب اللغة فلا يتحقق الا في وسط المجتمع •

والمجتمع هو مجموعة من الافراد الذين تربط بينهم روابط معينة ، كالجنس والدين والعادات والوطن الخ • ولكن اجتماع هذه الامور كلها في مجتمع ما قد يتعذر ، فهناك شعوب لا تسكن وطناً واحداً ، مثل الغجر واليهود ، وهناك شعوب لا تتكلم لغــة واحــدة ، كالشعب السويسري ، أو لا تدين بدين واحد كالشعب اللبناني • وقد يكون هذا صعوبة تصادف علماء الاجتماع ، عندما يعرّفون الشعب أو الامــة • ولـكن اللغـويـين لا يصادفون مثل هذه الصعوبة ، لان المجتمع في عرفهم هــو جماعــة من الناس يتكلمون لغة واحدة • وهم يطلقون على هذه الجماعة اسم «الجماعة اللغوية » • وفي أغلب الأحايين نجد الجماعــة اللغوية تسكن رقعة متصلة من الارض • فالجماعة اللغوية العربية تسكن وطنا يمتد من حدود فارس وتركيا شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ؛ ومن البحر الابيض المتوســط شمالا حتى المحيط الهندي وجنوب السودان جنوبا • وقد لا يكون الوطن اللغوي متصلا على هذا النحو ، كموطن الجماعــة اللغويــة التي تتكلم

الانجليزية ، وهو عبارة عن أماكن متناثرة على سطح الكرة الارضية ، من انجلترا وايرلندا ، الى كندا والولايات المتحدة ، واستراليا ونيوزيلاند ، وبعض جزر المحيط الهادى • وكل من يتكلم لغة جماعة لغوية معينة عضو في هذه الجماعة ، اذا كان قد تعلم اللغة طفلا من امه وأبيه واقرانه • أما من يسكنون الوطن اللغوي من الاجانب الذين يحافظون على لغتهم الاصلية في نطاق عائلاتهم وأصدقائهم من مواطنيهم ، ويتكلمون في نفس الوقت اللغة السائدة في هذا الوطن في معاملاتهم مع الناس ، فهؤلاء ليسوا من أبناء الجماعة اللغوية لهذا الوطن • ومن أمثلة هؤلاء اليونانيون الذين يعيشون في مصر والعناصر الاجنبية التي تعيش في العراق •

ولغة الجماعة اللغوية ، هي كل ما يقوله أو قاله أو سيقوله أي فرد من أفراد هذه الجماعة ، فما ينطق به السوداني أو المصري أو الجزائري أو الليبي أو العراقي أو سواهم من أبناء الجماعة اللغوية العربية من عناصر اللغة العربية ، مهما ارتفعت أو انخفضت المنزلة الاجتماعية أو الثقافية له • ونطاق اللغة بهذا المعنى العام نطاق متسع لا يمكن حصره ، ولكن من الممكن تقسيمها باعتبارات اجتماعية معينة هي :ـ

اولا ـ اللهجات الزمانية : من الواضح أن لغة جماعة لغوية ما تختلف من عصر الى آخر ، نظرا لما يجد في حياة أبناء هذه الجماعة من أفكار وأشياء • ولنأخذ مدينة كبغداد مثلا ، ولنقارن بين لغة سكانها اليوم وسكانها منذ عشرة قرون من الزمان • ولا شك أن من بين مفردات لغة بغداد اليوم ، ما لم يوجد في تلك الفترة البعيدة كلفظ « خاشوگه » و «شراشف» و « ميز » وسواها من الالفاظ المقترضة أو المبتكرة • وسنجد ، الى جانب هذا النوع ، ألفاظاً اخرى كانت موجودة في ذلك العصر ، ولكنها لم تكن تعني ما تعنيه اليوم ، كلفظ « أمانة » التي تستعمل اليوم وتطلق على سيارات

أتوبيس بغداد ، وكلفظ « صحافة » وهو لفظ مأخوذ عن « صحيفة » ، ولم يكن المفهوم المعاصر لهذا اللفظ موجودا في ذلك الوقت • وكلفظ سيارة وقطار وجامعة وكلية ومصلحة وعاصمة ••• الخ •

هذا الى جانب ما يحدث من اختلاف في طريقة نطق الالفاظ ذاتها ، كما نلاحظ في الكلمة العربية « قلب » وقد كانت تنطق بدون تفخيم ، أما في العراقية الحديثة فانها لفظ يفخم كله ، وتنطق القاف فيه جيما غير معطشة كالجيم القاهرية • ومن الممكن ـ اذا ما توفرت المادة اللغوية ـ أن يدرس الباحث ما جد على لغة ما فى مكان بعينه من اختلافات على مر الاجيال • ومثل هذه الدراسة تسمى بالدراسة اللغوية التاريخية •

ثانيا ـ اللهجات الاقليمية : يمكن تقسيم اللغة بمعناها العام الذي ذكرناه الى لغات محلية أو لهجات اقليمية • وذلك لانه بالرغم من أن اللغة العربية مثلا بمعناها العام تشمل جميع ما ينطق به أبناء الشعب في أي مكان من وطنهم الكبير الا انه من الواضح أن التفاهم بين أبناء بغداد وأبناء البصرة أو الموصل ، أكثر سهولة من التفاهم بين أبناء بغداد والقاهرة أو الخرطوم أو مراكش • وهذا يعني أن من الممكن أن يقسم الوطن اللغوى الكبير أقساما أصغر ، يكون كل قسم منها موطنا للهجة اقليمية من لهجات هذه اللغة ، فيكون داخل اطار العربية الكبير صور صغرى للهجات العراق وسوريا ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش واليمن والجزيرة العربية ••• الخ وهذا التقسيم المكاني تقسيم سياسى الى حد كبير •

ولكننا نلاحظ الى جانب هذا أن هناك لهجات متعددة داخل الاقليم الواحد • ففي العراق لهجات البصرة وبغداد والموصل وسواها • ولكل منها مميزات معينة تختلف بها عن سواها اختلافا لا يتعذر معه التفاهم • بل أننا قد نتجاوز هذا الحد ونقرر بأن هناك اختلافا نسبيا في نطاق المدينة

الواحدة ، كما قد نلاحظ في لغة سكان الكاظمية ولغة سكان الاعظمية بمدينة بغداد • كل هذه التقسيمات المكانية تعتمد في وجودها على اعتبارات اجتماعية كصعوبة اتصال الناس بعضهم ببعض ، وكاختلاف المذاهب الدينية أو اختلاف الاصل الذى انحدر عنه السكان وغير ذلك •

واذا كان هناك من العوامل الاجتماعية ما يزيد من اختلاف اللهجات بعضها عن بعض ، فان هناك أيضا ما يقرب بين بعضها وبعض كالاذاعة والسينما والصحافة وغير ذلك من العوامل الاجتماعية التي زادت قوتها في عصرنا الحديث •

ثالثا ـ اللهجات الطبقية : من الظواهر الاجتماعية المسلم بها انقسام المجتمع الى طوائف • وكان المجتمع من قبل ينقسم الى قبائل تمثل كل منها وحدة مستقلة عن سواها ، أما في المجتمع الحديث فان التقسيم القبلي يأخذ في الانهيار التدريجي ، ويترك المجال لانقسام آخر هو الذى يسمى « الطبقات » • وكما كانت للقبائل في القديم مميزاتها اللغوية فان للطبقات الحديثة كذلك مميزات لغوية • ويكفي ـ حتى تتبين صدق هذه الدعوى ـ أن تلاحظ لغة طائفة المثقفين في العراق كله وستجدها متقاربة لا تكاد تتبين فيما بينهم فروقا اقليمية • واذا قارنت لغة المثقفين بلغة العمال ثم بلغة الفلاحين أو رجال الدين أو غيرهم من الطوائف الاجتماعية ، لوجدت من الفروق في طريقة نطقهم ومفرداتهم ، وأحيانا في طريقة تركيب كلامهم ما يؤيد القول بتقسيم اللغة العامة الى لهجات طبقية •

رابعا ـ اللغة المشتركة : بالرغم من الانقسامات اللغوية التي تعرضنا لها والتي تعوق التفاهم بين جميع سكان الوطن اللغوي الاكبر الى حد كبير أو قليل ، نجد أن هناك وسيلة للتفاهم بينهم جميعا مهما اختلفت أزمنتهم وأقاليمهم أو طبقاتهم • وهذه الوسيلة هي اللغة المشتركة أو ما نسميه (باللغة الفصحى) • فنحن الآن نقرأ كتب الاقدمين نثرا وشعرا ،

دون صعوبة تذكر . كما أن العربية الفصحى هي خير وسيلة للتفاهم ، اذا ما اجتمع عراقي ومصري وسوداني وسعودي وجزائري مثلا .

واللغة المشتركة هي ألفاظ معينة مختارة ، تتركب منها الجمل والعبارات بطريقة خاصة . ويستعمل الادباء ورجال العلم في جميع أجزاء الوطن اللغوى الكبير هذه اللغة المشتركة فيما يؤلفون ويكتبون . كما تقوم المؤسسات العلمية كالمدارس والجامعات على تعليم اللغة المشتركة . وفي نفس الوقت تحرص الدوائر الرسمية على استعمال هذه اللغة . ومن أجل كل هذا يقوى مركز اللغة المشتركة ويزيد نفوذها .

ويعرف الاستاذ (اوتويسبرسن) اللغة المشتركة بأنها « اللغة التي تخلصت من الصفات اللغوية الخاصة بأى اقليم بعينه » .

أما كيف تنشأ اللغة الفصحى أو اللغة المشتركة ، فان هناك من العوامل ما يزيد من أهمية لهجة من لهجات اللغة . وقد يصبح الاقليم الذى تسود فيه هذه اللهجة مركزا يلتقي فيه خاصة القوم من المناطق الاخرى ، فيكون لقاؤهم المتكرر حافزا على محاولة كل منهم الحديث بلغة يفهمها الآخرون ، فيتخلص من الخصائص التى تتميز بها لهجته الاقليمية . وبتوالى الزمن على هذا الوضع تنشأ لغة خاصة يفهمها جميع الوافدين من الاقاليم الاخرى . وقد يحدث في مثل هذه الاجتماعات أن يغني مغن انشودة أو يقول شاعر قصيدة ، مراعيا بطبيعة الحال أن يكون مفهوما من جميع سامعيه الذين ينتمون الى أقاليم مختلفة . ثم يشيع هذا الغناء والشعر في المناطق الاخرى ، ويقلده من أبناء هذه المناطق شعراء ومغنون يستعملون هذه اللغة الجديدة ، التي تخلصت من خواص اللهجات الاقليمية المختلفة .

وبهذه الطريقة نشأت العربية الفصحى قبل ظهور الاسلام . ثم نزل

القرآن بهذه اللغة وظهرت طبقة جديدة من قراء القرآن ورواة الحديث ، ثم ظهرت الى جانبهم ومن بعدهم طبقات متوالية من العلماء والشعراء والمؤلفين ، وكلهم يستعمل اللغة المشتركة التى نسميها اليوم بالعربية الفصحى التى ما زالت مزدهرة حتى عصرنا هذا .

وليس من شك في أن اللغة المشتركة تتطور بمرور الزمن ، كما تتطور اللهجات الاخرى . ولكن نظرا لانها لغة مدونة من ناحية ، ولان الجهات الرسمية وشبه الرسمية تحرص على تعليمها للناشئين ، فان درجة التطور فيها أقل من التطور في اللهجات الاخرى .

« الظروف الاجتماعية واللغــة »

ستتحدث هنا عن أنواع ثلاثة من الظروف الاجتماعية وهي الظروف المادية والظروف العقلية والظروف الكلامية •

اولا ـ الظروف المادية :

نعني بالظروف المادية الاحداث والملابسات التي تمر بشعب مـــن الشعوب • ولهذه تأثيرها على اللغة كما سترى فيما بعد • ومن هذه الاحداث ما يأتي :ـ

١ ـ نشأة المدن الكبرى :

مما يتميز به العصر الحديث نشأة المدن الكبرى ، التى حدثت على أثر قيام النهضة الصناعية في العالم ، وتنظيم الادارة الحكومية في العصر الحديث وتركيزها في عاصمة معينة • وقبل عصر النهضة الصناعية كـــان الناس يعيشون على الزراعة ، وكانوا بطبيعة الحال يسكنون حيث يعملون• ونظرا لاتساع الرقعة الزراعية ، فقد كانوا موزعين في أنحــاء البــلاد • وظروف العمل في المصنع تتطلب أن يجتمع أكبر عدد ممكن في رقعـــة صغيرة من الارض ، فقد لا تزيد مساحة المصنع عن عدد قليل من الافدنة ولكنه مع ذلك يضم آلاف العمال • ومن الطبيعي أن يجذب المصنع عماله من أماكن مختلفة من الوطن ، وأن يكون لكل منهم لهجته الاقليميـــة • وباجتماع هؤلاء العمال تتفاعل لهجاتهم ويؤثر بعضها على بعض • وهذا هو الذي يحدث بالنسبة للجهاز الحكومي المركزي في العاصمة ، حيث يفد اليها الموظفون من أنحاء البلاد ، ولكل لهجته الاقليمية كذلك • وفي هذا الخضم اللغوي الضخم تلعب الجامعات والهيئات التعليمية دورا هاما في تغـذيـة الحركة اللغوية الجديدة التى لا تلبث أن تخرج بلهجة جديدة ، تختلف عن جميع اللهجات الاقليمية الاخرى • ومن الملاحظ أن لهجة العاصمة لا تلبث أن تنتقل الى المدن الاخرى ، بحيث تختلف كل مدينة لغويا عما

يحيط بها من قرى بمقدار ما تتشابه مع بقية المدن فى البلاد • ونحن نجد في مصر أن لهجة أسيوط أو أسوان ، أو سواهما من مدن مصر ، أقرب الى لهجة القاهرة منها الى لهجات القرى المحيطة بها •

وهكذا تتراجع اللهجة المحلية الاصلية التي كانت سائدة في المدينة وتحل محلها لهجة جديدة ، تصبح ذات مكانة اجتماعية هامة ، يقلدها المستنيرون من أبناء الريف •

ونود أن نتعرض في هذا السياق لمثلين من أمثلة نشأة لهجة العواصم• أما المثل الاول فهو لهجة العواصم في البلاد العربية • ونلاحظ هنا أن الجماعة اللغوية ذات لغة مشتركة منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنا • وهي اللغة الفصحى ، لغة القرآن والحديث والادب منذ عصر طويل • ولهذا كان من الطبيعي أن تستمد لهجات العواصم العربية الجديدة قدرا كبيرا من مادتها من اللغة الفصحى ، ومن اللغات التي وصلتها بها أسباب الحياة في العصر الحديث ، الى جانب العناصر المحلية التى وفدت الى العاصمة من النازحين اليها • أما المثل الثانى فهو نشأة لهجة مدينة لندن بانجلترا ، فقد أثبتت الأبحاث أن اللهجة المحلية لمنطقة لندن قد أخذت في التضاؤل ، وافسحت المجال للهجة العاصمة الجديدة ، هذه اللهجة التي جلبت كثيرا من عناصرها اللغوية من مختلف المناطق الاخرى وخاصة المناطق الشمالية • ولم يبق من اللهجة المحلية القديمة سوى بعض أسماء الاحياء والشوارع وبعض الظواهر اللغوية التى تظهر على ألسنة الطبقات السفلى من المجتمع الذى يسكن العاصمة • وقد صارت لهجة لندن الحديثة فيما بعد اللغة المشتركة للجماعة اللغوية الانجليزية • وهكذا نجد الفرق واضحا بين حالتين ، الاولى وفيها توجد لغة فصحى قديمة تعمل نشأة المدن والعواصم على أحيائها والانتقال بها من أن تكون لغة التأليف والكتابة الى أن تصبح كذلك لغة الكلام • وهذه

الحركة لم تتم بعد في البلاد العربية • ويوم يصبح التعليم عاما في جميع البلاد ، وتتقارب العواصم العربية ، ويزيد اتصال أبناء الوطن العربي بعضهم البعض ، ستتحد لهجات العواصم الكبرى في مختلف أجزاء الوطن العربي ، وستلعب العربية الفصحى دورا هاما في حركة التوحيد اللغوي هذه • أما في الحالة الثانية فان لهجة العاصمة لم تجد مثل هذا المورد الذي وجدته العواصم العربية • ومن ثم أصبحت لهجة العاصمة نفسها اللغة الفصحى •

٢ ـ الاحداث السياسية :

للاحداث السياسية الكبرى تأثير على اللغة ، فقد يسبب اتحاد منطقتين في دولة واحدة ، أو فقدان دولة ما جزءاً منها ، أو تقارب دولتين تقاربا شديدا ، اتحاد لغتهما أو تقاربهما • وقد لوحظ تأثير مثل هذه الاحداث على اللهجة المصرية واللهجة السورية ، في فترة اتحادهما في الجمهورية العربية المتحدة ، فتسربت الالفاظ السورية في اللهجة المصرية ، مثل الهاتف للتليفون والبرق للتلغراف ، كما تسربت بالتالي بعض الالفاظ المصرية الى اللهجة السورية • كذلك أثر تقارب الدول العربية الاخير في توحيد ألقاب الجيش ، وتوحيد المناهج الدراسية ومصطلحاتها ••• الخ • ومن أمثلة ذلك أيضا ما حدث في لهجة الالزاس واللورين ، وقد كانتا من أراضى المانيا قبل الحرب العالمية الاولى ، ثم ضمتا بعدها الى فرنسا • وقد اختلطت المفردات الفرنسية بلهجة هاتين المنطقتين الى حد كبير ، بل أصبح كثير من أبنائهما يتحدثون بالفرنسية الى جانب لغتهم الالمانية • وقد حدثت نتيجة للحرب العالمية الاخيرة أمور تحتم أن تبتكر لها ألفاظ • ومثال ذلك في العربية لفظ « تموين » و « اعاشة » و «صاروخ» و «ذرة» ••• الخ • كما أنه قد ينتج عن مثل هذه الاحداث الكبرى هجرة جماعات من الناس الى غير مواطنهم ، واستقرارهم وسط جماعات لغوية غير جماعاتهم ، فيؤثرون

في لغاتهم ويتأثرون بها • ومثال ذلك هجرة اليهود الى فلسطين • وهم قد جاءوا من مناطق ومواطن متفرقة ، ولكل منهم ثقافته ولهجته الخاصة التى تختلف عن لهجة سواه ، بل ان منهم من لم يكن يعرف العبرية وقد تعلمها كبيرا • ومن أجل اختلاط هذه العناصر المختلفة نجد العبرية الحديثة تختلف اختلافا واضحا عن العبرية القديمة • ومثال ذلك أيضا الاختلاف الواضح بين اللغة الانجليزية في انجلترا وفي أمريكا ، فقد تكون الشعب الامريكي من خليط من الاجناس واكتسب بعضه اللغة الانجليزية • وكان من الطبيعي أن يكون لذلك أثره في الانجليزية الامريكية • ثم هناك مثالا لذلك أيضا لغة « الافريكانا » في جنوب أفريقيا • وهي خليط من الانجليزية والهولندية مع بعض عناصر لغوية أخرى •

٣ ـ تغير مستوى الحياة المادى :

قد تجد ظروف على شعب بدوى تجلب له وسائل الحضارة وأساليب الحياة المدنية • ومن الطبيعي أن تأتي الحياة المدنية معها بأشياء جديدة ، لم يكن يعرفها هذا الشعب من قبل • ومن الطبيعي أن تدخل على اللغة مفردات جديدة تسمى بها هذه الاشياء ، أو أن تتغير مفهومات بعض المفردات القديمة لتلائم المفهومات الحديثة • واليك عددا من الامثلة على ذلك •

١ ـ الكلمة العربية « قطار » كانت تعني مجموعة من الجمال يسير بعضها خلف بعض • وباختراع السكك الحديدية أصبح مفهوم كلمة قطار مجموعة من العربات يربط بعضها في بعض •

٢ ـ كلمة صحيفة ـ وقد كان معناها « خطاب » أو « رسالة » وهي اليوم ذات مفهوم آخر هو الصحيفة اليومية التي تنقل للناس الانباء •

٣ ـ كلمة « سيارة » وهي صيغة مبالغة من الفعل ـ سار ـ وبهذا كانت تدل على أى مؤنث كثير السير • أما اليوم فهي تدل على الآلة الحديثة

المعروفة بخصوصها دون غيرها .

٤ ـ كلمة « طيارة » و « طيار » وهما صيغتا مبالغة من الفعل ـ طار ـ تدلان على أي شيء كثير الطيران . أما الآن فمدلولهما خاص بالآلة التي تطير وبالشخص الذي يقودها . والامثلة على هذا النوع كثيرة .

وهناك مفردات تدخل اللغة عن طريق الاقتراض أو الابتكار ، تسمى بها المخترعات التي تفد الى موطن لغوي من بلاد اخرى ، واليك أمثلة لذلك :

الكلمة « تليفون » تتكون من جزئين « تلي » ومعناها بعيد و « فون » ومعناها صوت . وعندما ابتكرت هذه الآلة استعمل مخترعها هذين اللفظين اللاتينيين على هذا النحو ، وجعلهما اسما لهما . وشاعت هذه الآلة وانتقلت مع اسمها هذا الى كثير من المواطن اللغوية . وعلى عهد هتلر بألمانيا ظهرت نزعة لتبديل الاسماء غير الالمانية واستعمال ألفاظ ألمانية . وقد استعمل بدلا من كلمة (تليفون) كلمة مركبة من أصلين ألمانيين هي « فرن شبراخ » و « فرن » معناها « بعيد » و « شبراخ » معناها « كلام » . وقد حدث هذا في بعض البلاد العربية أيضا ، حينما سمي التليفون باسم (الهاتف) . ويعمل المجمع اللغوى بالقاهرة وسواه من المعاهد اللغوية المماثلة على ابتكار ألفاظ ذات اصول عربية للمخترعات الحديثة . وقد أطلق على الساندوتش لفظ « الشطيرة » وجمعها « شطائر » ، وعلى التليفون لفظ « المسرة » وعلى الجرامافون لفظ « الحاكي » ... الخ .

ثانيا ـ الظروف العقلية :

نعني بالظروف العقلية مجموعة الآراء والمعتقدات التي يؤمن بها شعب من الشعوب . ويطلق البعض على هذا المفهوم كلمة « ثقافة » (culture) . واللغة مرآة لثقافة الشعب الذى يتكلمها ، بمعنى أنها تعبير

عن مشتملات هذه الثقافة • وليس مـن الضروري أن يستلزم اتحاد لغة شعبين اتحاد ثقافتهما • فثقافة الشعب الامريكي تختلف عن ثقافة الشعب الانجليزى مع أنهما يتكلمان نفس اللغة •

وتنعكس الثقافة بصفة خاصة في مفردات اللغة التي تتأثر بالاعتبارات الدينية ومقتضيات الذوق العام عند الجماعـة اللغويـة • واليـك بعض الامثلة : ـ

١ ـ لا يلفظ اليهود كلمة (الوهيم) بمعنى الله ، بل يقولون بدلا منها كلمة (أدوناى) بمعنى سيدى • وذلك بالرغم من أن كلمة الوهيم قد تكون مدونة في النص الذى يقرأونه •

٢ ـ لا يلفظ اليزيدية كلمة (شيطان) ، ولا أية كلمة يوجد فيها حرف الشين • وهذا يقتضى تغيير حرف الشين اذا ورد في كلمة أو استعمال كلمة اخرى بمعناها •

٣ ـ في اللغة النوبية تشبه صيغة نفي الفعل الماضى بمعنى (شرب) كلمة عربية قبيحة • ولهذا لا يستعمل النوبيون نفي هذا الفعل بالطريقة التي ينفون بها سواه من الافعال ، بل ابتكروا طريقة اخرى لنفيه •

ومن المشاهد في بلادنا في هذه الايام أن حركـة التطـور الثقافي والعلمي ، قد أدخلت على لغتنا العربية مفهومات جديدة في مختلف فروع العلوم ، فعربنا هذه المفهومات أو اقترضنا ألفاظ للتعبير عنهـا من مختلف (اللغات الاوربية بصفة خاصة •)

ثالثا ـ الظروف الكلامية :

الظرف الكلامي هو كل ما يحيط بالعبـارة من ظروف عقليـة أو مادية • ويؤثر هذا الظرف تأثيرا قويا في مدلول العبارة ، الى درجة أنه قد لا يفهم المقصود منها على وجه التحديد ، دون معرفة الظرف الكلامي الذى قيلت فيه بدقة •

لنأخذ مثلا عاديا يجري أمامنا كل يوم • رأى شخص صديقا لـه يلعب الكرة باسلوب بارع ، فقال « يا ابن الكلب دا لعب ممتاز » • وسمعه صديقه اللاعب فالتفت اليه مبتسما وقال «أشكرك» •في هذا الظرف الكلامي لا تعني عبارة « ابن الكلب » سبابا بل اعجابا • ولكنها في ظرف كلامي آخر قـد تعني سبابا ولا شك ، كما لو قالها الشخص لصديقه أمـام حشد من الناس •

ومن أمثلة هذا الحديث الشريف الذى يقول ما معناه (تنكح المرأة لثلاث حسبها ومالها وجمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك) • والمعنى القاموسى لتربت يداك « قطعتا » • والنبي عليه الصلاة والسلام في هـذا الظرف لا يدعو على من ينصحه بالزواج بذات الدين بقطع يده •

وقد يكون الظرف الكلامي متضمنا لكلام سابق ، كما لو قلت « من جاء ؟ » فاجاب شخص (محمد) • وبفضل هذا الكلام السابق الذي هو جزء من الظرف الكلامي ، عرفنا به نسبة المجيء الى محمد ، بالرغم من أن الشخص الذي أجاب لم يذكر لفظ فاعل المجيء على الاطلاق • ومعظم التأويلات النحوية ليست أكثر من تفسير للظرف الكلامي وما يتضمنه من دلالات •

وقد يكون الظرف الكلامي اعتبارا عقليا معينا ،كما لو قال لك شخص تحبه شيئا فكان جميلا مقبولا •ثم يقول من بعده شخص لا تحبه نفس الشيء فيثير فيك الاشمئزاز • وقد يتضمن تذكر حدث تاريخي ، أو عادة اجتماعية ، فمثلا عبارة « أنه حاتم » تدل على الكرم ، لمعرفتنا بالحقيقة التى تقرر كرم حاتم •كما تدل عبارة « أنه عنترة » أو « كأنه قيس » عـلى الشجاعة أو التفاني في الحب ، لما تقرره الحقائق التاريخية المعروفة لنا عن هذين الشخصين •

وتعتمد الكتابة الادبية عامة والمسرحية منها بصفة خاصة ، على خلق الظروف الكلامية المختلفة التي تضفي على عباراتها معاني أخـرى ، غير مجرد معانيها القاموسية ، أو التي تضفي عليها كما يقول النقاد جوا معينا •

« العائلات اللغوية »

نلاحظ لأول وهلة وجود شبه واضح بين عدد معين من اللغات ، كذلك الذى يوجد بين الفرنسية والايطالية ، أو بين العربية والعبرية ، أو بين لهجة القاهرة ولهجة بغداد • وقد يكون الشبه من القوة بحيث لا نملك الا أن نقول بأن اللغات التي يوجد بينها هذا الشبه قد انحدرت من أصل تاريخي واحد •

وقد لاحظ علماء الاحياء هذه الحقيقة بين أنواع الحيوان والنبات المختلفة وانتهوا الى نظريتهم المعروفة التي تقسم طبقا لها هذه الاحياء ، الى ما يسمونه بالعائلات الحيوانية أو العائلات النباتية • وقد تأثر علماء اللغة بعد دارون بنظرية العائلات في علم الاحياء فأطلقوا على اللغات التى يزيد بينها التشابه اسم «عائلات لغوية » • وقد انتهى علماء اللغة الى القول بضرورة توفر شروط معينة ، حتى يمكن القول بأن لغتين تنتميان الى عائلة لغوية ما • وهذه الشروط هي : ـ

١ ـ التشابه بين النظم الصوتية •

٢ ـ التشابه بين النظم الصرفية •

٣ ـ خضوع الاختلافات بين النظم الصوتية والصرفية لقواعد مضطردة •

أما التشابه في تركيب الجملة والتشابه في المفردات ، فلهما أهمية ثانوية ، نظرا لشدة تأثر هذين المظهرين من مظاهر اللغة بالقرض من اللغات الاخرى تأثرا كبيرا •

وعندما يلاحظ اللغوى الشبه في هذه الوجوه بين مجموعة من اللغات، يجمعها تحت اسم عائلة لغوية • وقد يزيد قرب لغتين أو أكثر من اللغات التى تنتمي الى عائلة ما ، عن القرب الموجود بينهما وبين بقية لغات العائلة •

ويشبه هذا زيادة الشبه بين الأخوين عن الشبه الذي يوجد بين أبناء العم • وعلى ضوء هذا استعرض اللغويون اللغات القديمة المعروفة لنا ، واللغات الحديثة المعاصرة ، وقارنوا بعضها ببعض وفق الشروط الثلاثة المتقدمة ، وانتهوا للقول بوجود ست وثلاثين عائلة لغوية ، تتفاوت درجة معرفتنا بها حسب ما لدينا منها من مادة • وقد تكشف البحوث المقبلة عن وضع بعض اللغات في نطاق عائلة لا ينبغي أن توضع بين أفرادها ، أو عن زيادة عدد العائلات اللغوية أو قلتها عن ست وثلاثين •

سنتعرض للشروط الثلاثة المتقدمة الذكر : ـ

أولا ـ التشابه في النظم الصوتية •

نمثل لهذا بالنظم الصوتية في اللغات السامية وفيها يلاحظ : ـ

أ ـ فقر هذه اللغات جميعا في الحركات ، فهي لا تعدو الفتحة والكسرة والضمة قصيرة وطويلة • وأما ما في العبرية من زيادة في عدد الحركات ، فانها تطور حديث لعله حدث بتأثير استعمال اليهود ، من غير سكان الشرق الاوسط (أى فى اوربا وأمريكا) للغة العبرية الى جانب لغة البلاد التي كانوا يعيشون فيها • ومن المعروف أن الكتابة السامية لم ترسم الحركات القصيرة ، الا في عصر متأخر كما حدث في العربية • ولهذا فقد اعتمدنا في معرفة الحركات السامية على بعض الامور التي منها ، كتابة بعض الاعلام السامية باللاتينية والاغريقية ، وهما ترسمان الحركات بحروف مستقلة • ومنها ضبط النصوص المقدسة بالحركات التي ابتكرت في عصر متأخر ـ وقد حدث هذا بالنسبة للقرآن والكتاب المقدس ـ واهتمام الكتابة الاثيوبية والاكادية بالحركات ووضع رموز خاصة لها ، والاوزان الصرفية التى تعتمد على نوع الحركة وطولها مثل وزن فَعَلَ أو فاعل ••• الخ •

ب ـ تغنى هذه اللغات بالسواكن وخاصة الانفجارية والاحتكاكية واللثوية والحلقية كما ترى فى الجدول التالى :

		أمامية		متوسطة	حلقية			
	شفوية	أسنانية	لثوية	الصلبة والرخوة	لهوية	بلعومية	حنجرية	المجموع
انفجارية	ب	ض(*)	ت د ط	ج	ك ق	—	ء	٩
	م	—	ن		—	—	—	٢
جانبية	—	—	ل ر		—	—	—	٢
احتكاكية	—	ف ث ذ ظ	س ز ص	ش	خ غ	ح ع	هـ	١٣
المجموع	٢	١٤		٢		٨		

ومن هذا الجدول يظهر بوضوح أن عدد الأصوات الانفجارية والاحتكاكية يبلغ اثنين وعشرين صوتا من ستة وعشرين ، وأن الأصوات اللثوية والأسنانية والحلقية تبلغ اثنين وعشرين من ستة وعشرين • هذا مع اغفال الواو والياء المتحركين •

حـ ـ أهمية صفة التفخيم واعتبارها من مميزات الكلمات • وأنت تجد أن مجرد الاختلاف في التفخيم يغير معنى الكلمتين المتشابهتين تماما من الناحية النطقية • وذلك مثل « سام وصام » و «تاب وطاب » و « كال وقال » و « ذلّ وظل » و « دل وضل »(١)

ولا تختلف احدى الكلمتين عن الاخرى في هذه الأزواج من ناحية النطق في غير التفخيم ، الذي تميزه الكتابة العربية بالاختلاف بين « س و ص » و « ت و ط » و « ك و ق » و « ذ و ظ » و « د و ض » • وهذه الحقيقة تشمل اللغات السامية كلها ولهجاتها •

ثانيا ـ التشابه في النظام الصرفي •

أهم ما يميز اللغات السامية بناء كلماتها من مادة اشتقاقية ، وفق

(*) طبقا للنطق الفصيح كما وصفه العرب •
(١) في نطق المصريين والسوريين والسودانيين •

موازين معينة • فمن مادة « ء ك ل » تشتق الماضى والمضارع والمصدر ••• الخ ، على أوزان معينة • وتشترك جميع اللغات السامية في هذا الامر

ثالثا ـ خضوع الاختلافات لقواعد محدودة •

من الواضح وجود اختلافات بين لغات المجموعة الواحدة ، أو اللهجات التي تنتمي للغة واحدة • ولنأخذ مثلا اللهجة العراقية والمصرية وسنجد بينهما فروقا صوتية يمكن أن يوضح بعضها في القواعد التالية : ـ

أ ـ أصوات الثاء والذال والظاء تنطق في العراقية بوضع اللسان بين الأسنان • أما في المصرية فانها تنطق بوضع طرف اللسان بحيث يلامس اللثة •

ب ـ القاف الفصحى تنطق في العراقية « گ » بينما تنطق في المصرية همزة •

حـ ـ الجيم الفصحى تنطق في العراقية جيما صلبة « أي معطشة » (چ) بينما تنطق في المصرية جيما رخوة « غير معطشة » الخ ••

ومن القواعد التى تضبط الفرق بين العبرية والعربية ما يأتي :ـ

أ ـ كل شين في العبرية تكون في العربية سينا مثل «شلومو» العبرية في العربية «سليمان» ، و « شمعون » العبرية « اسماعيل » في العربية • و « شمش » العبرية « شمس » في العربية •

ب ـ كل كاف في العربية تكون في العبرية خاء • مثل « ملك » العربية وهي في العبرية « ميلخ » و « حكيم » في العربية وهي في العبرية « حاخام » الخ •

حـ ـ صيغة « فاعل » في العربية تكون في العبرية « فوعيل » ••• الخ•

رابعا ـ من ناحية المفردات تشترك اللغات السامية في عدد كبير منها كما في المثال الآتي : ـ

الأكادية	العبرية	الآرامية	الأثيوبية	العربية
كَلْبُ	كيليب	كَلْبَ	كَلْب	كلب
(Kalbu)	(Kelev)	(Kalbâ)	(Kalb)	(Kalb)
قَرْنُ	قيرين	قَرْنَ	قرن	قرن
(qarnu)	(qeren)	(qarnâ)	(qarn)	(qarn)
ريشُ	رُش	ريشَ	ريئيش	رأس
(résu)	(ros)	(risa)	(rē'ēs)	(ra's)

الخ

خامسا ـ من ناحية القواعد ، تشترك جميع اللغات السامية في التفريق بين المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، وزيادة حروف المضارعة في صيغة الفعل ، ووجود حالات اعرابية ثلاثة ... الخ(١)

« العائلة اللغوية السامية »

ذكرنا ان اللغات الانسانية قد قسمت الى مجموعات ، تعرف كل منها بعائلة لغوية . وقد حظيت العائلة السامية باهتمام كبير . وذلك نظرا لتدوين نصوص الكتاب المقدس بالعبرية ، والقرآن الكريم بالعربية ، والأهمية الثقافية البالغة للغة السريانية التى استعملت واسطة لنقل التراث الاغريقي للعربية.وأهم العائلات اللغوية من وجهة نظرنا «العائلة السامية» لأنها العائلة التي تنتمي اليها اللغة العربية ولهجاتها . وهي التي سيدور حولها محور مناقشتنا .

الهجرات السامية : ـ

كانت شبه الجزيرة العربية منذ قديم العصور منطلقا لهجرات

(١) قد تختفى بعض هذه المميزات من احدى اللغات بمرور الزمن كاختفاء بعض الحروف الحلقية واعراب أواخر الكلمات بالحركات من العبرية . ولكنها لا تزال تحتفظ ببقايا تثبت وجود هذه الصفات فيها من قبل .

متوالية • وهذا أمر يتفق مع حياة البدو الرحل ، الذين لا يكادون يقيمون في مكان ما ، حتى يطوون خيامهم ويبدأون رحلة اخرى ، جريا وراء المرعى • ومن الطبيعي أن تتجه الهجرات من قلب الجزيرة الى أطرافها الشمالية ، في الشرق والغرب حيث يوجد دجلة والفرات في أرض العراق، وحيث تجود الطبيعة بالمطر وروافد الانهار في أرض الشام وفلسطين • وقد ذكر المؤرخون هجرات هامة ، خرجت من شبه الجزيرة الى هذه الاماكن، يهمنا منها موجات خمسة لها أثرها اللغوي الكبير •

١ ـ هجرة الأكاديين

خرجت هذه الموجة من القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، حوالي القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ، متجهة نحو القسم الجنوبي من بلاد العراق ، أي الى الحوض الاوسط لنهر دجلة ، حتى الخليج العربي • وقد كانت هذه المنطقة مأهولة بسكان غير ساميين ، يعرفون بالسومريين أو الكلدانيين • وقد تغلب المهاجرون الساميون عليهم ، وأقاموا مملكة لهم في بابل • ثم تلت هذه الموجة موجات اخرى اتجهت للشمال ، وأقاموا مملكة أشور • ثم نقلوا عاصمتهم فيما بعد الى مدينة نينوى • وأطلق على لغات هؤلاء المهاجرين اسم « اللغات البابلية الأشورية أو اللغات الأكادية » •

وقد تأثرت هذه اللغات السامية بلغات السكان الأصليين تأثرا كبيرا ، في أصواتها وقواعدها ومفرداتها • كما استعملت الرسم المسماري الذي كان يستعمله السومريون في الكتابة [٣] •

٢ ـ هجرة الكنعانيين

خرجت هذه الموجة من القسم الجنوبي العربي من شبه الجزيرة ،

---

(٣) انظر « فقه اللغة » لعلي عبدالواحد وافي ص ٢١ ـ ٢٩ القاهرة ١٩٥٦ وانظر أيضا Gray's Foundation. P. 358

حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد • واتجهت الى الشمال الغربي حتى استقرت في فلسطين وسوريا • وأشهر اللغات التي كان يتكلمها هؤلاء « اللغة الفينيقية » و « اللغة العبرية » • ويرجح أن الفينيقيين هم أول من اخترع الكتابة السامية ، حيث كانوا بحارة وتجارا تقتضيهم أعمالهم الاتصال بالشعوب الاخرى • وقد تأثروا في كتابتهم بالكتابة الهيروغليفية فأخذوا عنها ثلاثة عشر حرفا من حروفهم الاثنين والعشرين •

ومن الكتابة الفينيقية اشتقت الكتابة العبرية والسوريانية والنبطية • وعن السريانية والنبطية أخذت الكتابة العربية • كما أخذ عن الكتابة الفينيقية أيضا الكتابة الاغريقية ، التي أضافت الى ما أخذته عن الفينيقية حروفا مستقلة ترمز للحركات • وعن الاغريقية أخذت الكتابة اللاتينية ، التي هل أصل الكتابة الاوربية المعاصرة • أما اللغة العبرية فترجع أهميتها الى أنها لغة الكتاب المقدس ، الذي يدين به الأوروبيون • ولهذا فقد حظيت بدراسات وافرة لها قيمتها في حقل الدراسات اللغوية عامة والسامية خاصة•

٣ ـ هجرة الآراميين

خرجت هذه الموجة من قلب الصحراء في القرن السادس عشر قبل الميلاد • واتجهت شمالا حيث استقرت بين المنطقة التى يسكنها الأكاديون في العراق والتي يسكنها الكنعانيون في الشام • وظلت القبائل الآرامية مصدر ازعاج لكل منهما ، فكانت دائمة الاغارة عليهم وغزو بلادهم • ولم يلبثوا أن اتجهوا في شعبتين ، استقرت احداهما في العراق حيث قضت على الآشوريين والبابليين ، وحلت لغاتهم محل اللغات الآشورية والبابلية • أما الشعبة الاخرى ، فقد استقرت في الشام ، وقضت على الفينيقية والعبرية • وقد انقسمت لغة الآراميين الى لهجات عديدة ، اشتهر منها « السريانية » ، التي أصبحت فيما بعد أهم لغة سامية ، وذلك قبل سيطرة اللغة العربية • وقد كانت اللغة السريانية لغة العلم حتى العصر الاسلامي ، فاليها ترجمت

كتب الاغريق ثم نقلت عن السريانية الى العربية • كما ترجم الكتاب المقدس من العبرية الى السريانية •

٤ ـ الموجة الحبشية

خرجت هذه الموجة من شبه الجزيرة ، قبل ميلاد المسيح بقرون قليلة • وقد اتجهت عبر خليج عدن الى بلاد الحبشة الحالية ، حيث أصبح عدد المتكلمين باللغة السامية التي تعرف بالحبشية الآن نحو سبعة ملايين • وتنتمي اللغة الحبشية الى الشعبة السامية الجنوبية وهي أقوى شبهاً باليمنية القديمة منها باللغات السامية الاخرى •

٥ ـ الموجه العربية

لا نريد أن نطلق على هذه الحركة اسم « هجرة » ، لأنها تختلف اختلافا جوهريا عن الموجات الانسانية التى تمثلت في الهجرات السالفة الذكر •

ولقد خرجت تلك الهجرات بغية العدوان على أرض جيرانهم ، أما الموجة العربية فكانت دعوة عقائدية ، لم تطرد الناس من ديارهم ولم تقصد أساسا للحلول محلهم •

وبصرف النظر عن هذا الاعتبار ، فان الذى يهمنا هنا هو أن نذكر أن الجزء الشرقي من شبه الجزيرة كان مسكنا للقبائل العربية في الشمال، واليمنية في الجنوب • وكانت للمنيين لغتهم الخاصة ، التى تختلف اختلافا واضحا عن اللهجات العربية • ولكن اللغة اليمنية القديمة لم تعمر طويلا بعد سيطرة العربية ، فلم يصلنا منها غير نقوش قليلة •

وجاء الاسلام ، وانتشرت الموجة العربية تحمل معها دينها ولغتها ، حتى قضت على اللغة السريانية ، التي كانت تسود أطراف شبه الجزيرة الشمالي ، شرقاً في العراق ، وغربا في بلاد الشام • وبقيت السوريانية لغة

ثقافة وعلم ، حتى العصر العباسي ، حيث استعملت واسطة في ترجمة علوم الاغريق •

ومن بلاد الشام اتجهت الموجة العربية الاسلامية الى مصر ، حيث التقت العربية بالقبطية التي عاشت معها جنبا الى جنب ، حتى انقرضت منذ قرن واحد من الزمان • وتشعبت الموجة العربية الى الجنوب حتى بلاد النوبة والسودان ، والى الغرب حيث التقت بالقبائل البربرية في ليبيا وتونس والجزائر ومراكش • وعاشت العربية مع اللغة البربرية جنبا الى جنب حتى عصرنا هذا • ثم عبرت الموجة مضيق جبل طارق الى أسبانيا والبرتغال حيث سيطرت اللغة العربية حينا طويلا من الدهر •

وتحت ضغط الفرنجة انكمشت العربية ثانية ، وخلفت آثارا هائلة من مفرداتها في اللغتين الاسبانية والبرتغالية •

أما في جنوب شبه الجزيرة ، فقد اتجهت الحركة الاسلامية الى بلاد اليمن ، وانتشرت العربية مع الدين الجديد ، ثم عبرت خليج عدن الى بلاد الحبشة ، حيث دان أهلها بالاسلام دون أن يأخذوا العربية لسانا لهم(٤) •

وهكذا حدث توحيد لغوي في المنطقة التي تعرف اليوم بالوطن العربي ، من بلاد مراكش في الغرب الى حدود ايران في الشرق ، ومن الساحل الجنوبي للبحر الابيض الى خط الاستواء في السودان • ومع سيادة اللغة العربية في هذه المناطق الشاسعة ، بقيت جزائر لغوية يتكلم أهلها اللغات القديمة التي قضت عليها العربية • ومنها لغة « كلدان » العراق ، ولغة بعض القرى التي تتكلم السريانية في سوريا ، ولغة عائلات قليلة من الأقباط تتكلم القبطية ، ولغة الكنيسة القبطية في مصر ، ولغة البربر التي لا تزال تعيش جنبا الى جنب مع العربية في بعض بلاد شمالي أفريقيا •

(٤) كانت الحبشة تشمل أريتريا والصومال واقليم الجالا ويدين سكان هذه المناطق بالاسلام وان كانوا لا يتكلمون العربية •

« اللغة العربية »

اللغة العربية كما يؤخذ مما ذكرنا فيما قبل مجموع ما نطق به أو ينطق به كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية العربية، وهذا يعني أن يشمل بحثنا مجالات ثلاثة ؛ اللهجات العربية القديمة واللغة الفصحى واللهجات العربية الحديثة .

أولا ـ اللهجات القديمة

كانت طبيعة الجزيرة العربية من أهم العوامل التي ساعدت على كثرة لهجات سكانها . فالصحارى الشاسعة التي تفصل بين قبيلة واخرى ، جعلت من المتعذر اختلاط هذه القبائل ، اختلاطا يمكن من التوحيد اللغوي ، ونشوء لغة مشتركة . وهذا القول يصدق بصفة خاصة على قلب الجزيرة العربية . أما في أطرافها من الشرق والغرب والشمال ، فقد كانت توجد بلاد الشام ، وفي الشرق كانت توجد اليمن الخضراء والحجاز . وقد جادت الطبيعة على هذه المناطق بماء الانهار ، أو مياه الامطار ، فوجدت المراعي التي كانت القبائل ترحل في طلبها . ومن هنا قدر لها أن تلتقي في الحرب والسلم ، وان ترتبط بالعداء أو الولاء .

وهذا يقتضي أن تقسم اللهجات العربية القديمة الى قسمين ، لهجات قلب الجزيرة وهي متعددة ومعزولة ولا نعرف عنها شيئا يكاد يذكر . ولهجات القبائل الغربية على ساحل البحر الاحمر ولهجات القبائل التي سكنت شاطئ الخليج العربي وسهول العراق المطرة ، وهذه لهجات قدر لنا الاتصال بها ، وعرفنا عنها الكثير بفضل ما نقله الينا المفسرون وعلماء القراءات والنحاة .

على ان المادة اللغوية التي نقلها الينا النحاة العرب معيبة من عدة

وجوه [1] :

١ – لم يهتم النحاة اهتماما خاصا باللهجات ، فيما عدا عدد قليل منهم ، فلم يذكر سيبويه من تراكيب اللهجات الا ما تقبله العربية الفصحى كما كان يراها ، وكان يدخل التعبيرات اللهجية أما في لهجة الحجاز ، وأما في لهجة تميم ولا غير . وهذا الصنيع من سيبويه ، وان كشف عن ادراكه الفرق بين العربية الشرقية والعربية الغربية ، يتجاهل أنه قد كان في كل من المنطقة الغربية والشرقية لهجات متعددة ، احداها تميم في الشرق والحجاز في الغرب . وبعد سيبويه تخلص النحاة مما ذكره عن تفاصيل اللهجات . وظل الحال كذلك حتى جاء الاسطرابادي (المتوفى سنة ٦٨٣ هـ/١٢٨٧ م) والسيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) فجمعا ما ورد من اللهجات في شرح الكافية للأول والمزهر للثاني وكذلك فعل ابن عقيل والأشموني والسيوطي وسواهم من شراح الفية بن مالك .

٢ – كان أغلب ما ذكره النحاة عن اللهجات قاصرا على ما ورد في اللغة الادبية منها واعتبر فصيحا . وقد عالج النحاة هذه المادة بالقياس الذي أجروه على بقية المادة الفصحى ، ووضعوا لها قواعد مفتعلة . ومثال هذا « ذو » الطائية ، التي فرض النحويون خلال مناقشاتهم لها صيغا وتركيبات غريبة على لهجة طيء ، فقالوا بوجود رأي يجعلها تتصرف حسب الافراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث (أي : ذو . ذات . ذوا . ذوي . ذوات) . والحق أنها كانت تستعمل بنفس الصيغة في كل هذه الحالات ، كما تشهد بهذا « ذو » العبرية القديمة [2] .

---

(١) ما سنقوله هنا ملخص عن الفصل الثاني من كتاب :
Rabin Ancient west - Arabian

(٢) انظر فيما يتعلق « بذو » الطائية (Rabins) ص ٢٠٤ الفقرة « ٧ »

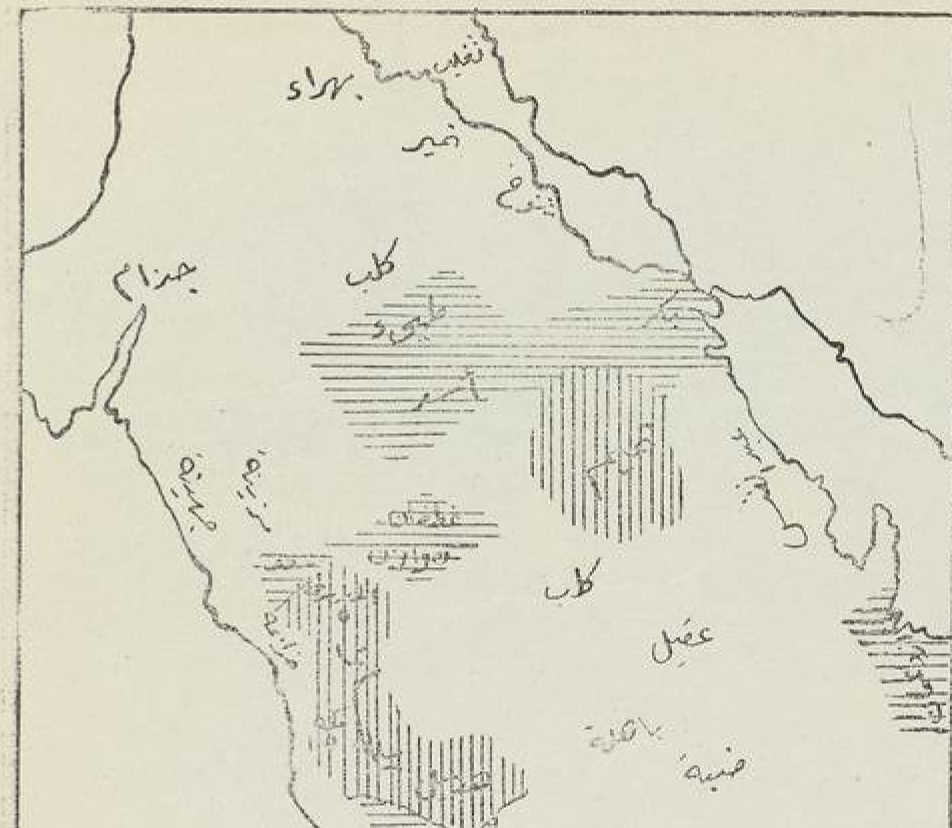
٣ ـ كان جامعو القواميس أكبر من اهتم باللهجات ، ولم يقصروا عملهم على جمع المفردات التي وردت في القرآن والحديث والشعر ، بل أضافوا اليها مفردات كثيرة نسبوها الى لهجات مختلفة . ولكنهم حين أضافوا هذا القسم الثاني من المفردات ، لم يتخذوا لأنفسهم منهجا محدودا للتمييز بينها ، وتبرير ادخالها تحت هذه اللهجة أو تلك ، اذ انهم ذكروا المفردات مجردة عن النصوص المنقولة التي أخذت عنها . كما أهمل بعضهم ، ذكر مفردات لهجته التي يتكلم بها ، مثل ابن دريد ، وكان يتكلم لهجة « أزد » . وأهمل آخرون أخذ مفردات اللهجات عن القبائل التي كانت تتكلمها من معاصريهم ، كما فعل شراح « ديوان هذيل » ، حين أهملوا الرجوع لأبناء قبيلة الشاعر ، التي كانت تسكن بمقربة من مكة . والمرجع الوحيد الذى حوى مادة منظمة عن احدى اللهجات ، هو كتاب « الاكليل » للهمذاني ؛ وهو خاص بلهجة حمير . ولكن هذا المرجع مع الاسف قد فقد .

٤ ـ ظهرت طائفة من كتاب القواميس التي اهتمت بجمع الالفاظ التي تؤدي معنيين متضادين . وقد خلط هؤلاء بين ألفاظ اللهجات المختلفة ، اذ ليس من المعقول أن يستعمل لفظ بمعنيين متضادين في جماعة لغوية واحدة . والحقيقة أن اللفظ قد استعمل بمعنى ما في قبيلة ما ، وأنه نفسه قد استعمل بمعنى آخر في قبيلة اخرى ، ولم يعين هؤلاء المؤلفون القبائل التي نقلوا عنها هذه الالفاظ بتلك المعاني المتضادة .

هذه بعض الصعوبات التي تواجه الباحث في اللهجات القديمة[٣] . والى جانب هذه الصعوبات لم يذكر اللغويون العرب معلومات كافية عن

---

(٣) (Rabins) وفي الفصل الذى خصصه لهذا الموضوع طائفة كبيرة من هذه الصعوبات .



شكل ـ ١ ـ نسبة ما نعرفه عن اللهجات القديمة

جميع اللهجات القديمة ، بل لقد أهملت بعض اللهجات اهمالا تاما • وما ورد عن بعضها الآخر كان قليلا أو مضطربا • (انظر شكل ١)

ثانياً ـ العربية الفصحى

حظيت العربية الفصحى باهتمام العلماء العرب في أوائل العصر الاسلامي • واستمر هذا الاهتمام حتى اليوم • وقد حُصرت مفرداتها في قواميس نظمت هجائيا أو دلاليا ، وألفت الكتب العديدة في قواعدها •

وفي العصر الحديث ، حظيت العربية الفصحى باهتمام المستشرقين ، فأعادوا كتابة قواعدها وتجميع قواميسها • وذلك لأن اللغة العربية الفصحى أكثر تمثيلا للغات السامية القديمة من أية لغة سامية اخرى •

أصل العربية الفصحى : ـ

المصادر الاولى للعربية الفصحى أربعة ، الشعر الجاهلي والقرآن والحديث الشريف وبعض الوثائق المختلفة الباقية من صدر الاسلام ، كرسائل النبي التي دعا فيها بعض الملوك للاسلام ، ومعاهداته التي عقدها مع غير المسلمين • والشعر الجاهلي أقدم هذه الآثار • حيث أنه قد سبق نزول القرآن بنحو قرنين من الزمان •

والذى يلاحظ أن الشعر العربي لا يمكن أن يمثل طفولة اللغة الفصحى ، وذلك لأنه شعر ناضج الأسلوب ، ملىء بالصور والخيالات والاستعارات ، وهذه مهما قيل عن فضل الشاعر في ابتكارها ، لابد أن تقرر تقليدا ثابتا في اللغة ، قبل أن يتاح للشاعر ابتكارها • واللغة في مرحلة نشأتها لا تتجاوز التعبير عن حاجات المجتمع المباشرة ، كطلب الطعام أو الشراب ، أو التغني بأسلوب بسيط ، كما نرى نحن فى لهجاتنا العامية ، وخاصة في بيئات الريف وبين غير المتعلمين • وهذه اللهجات تكفي ولاشك في التعبير عن ضرورات الحياة العملية ، ولكنها لا تنهض وسيلة للتعبير الفني

الراقي • ولنتصور مثلا أني طلبت اليك القاء محاضرة في مادة « علم اللغة » أو « الفلسفة » باللهجة الدارجة ، دون الاستعانة بمفردات العربية الفصحى. هل ترى ستسعفك هذه اللهجة الدارجة ، أم ستجد نفسك مضطـرا الى الاستعانة بالعربية الفصحى على نطـــاق واسع ؟! لابد لك مـن الاستعانة بالفصحى ، لأن اللهجة الدارجة لم تتمرس بعد بهــذا النوع من التعبير ، ولابد لها من مرور فترة من الزمن تزاول فيها انتاج الاعمال الفنية والثقافية ، حتى يستقيم لها هذا المستوى التعبيري •

ومعنى هذا أن وجود الشعر العـــربي الجاهلي في مستوى قصيدة المهلهل التي قالها في حرب البسوس ، أو في مستوى شعر امرىء القيس أو عنترة دليل على أن اللغة العربية كانت قد بلغت مرحلة نضوج في العصر الذي قيلت فيه هذه القصائد • معنى هذا أن الشعر الجاهلي لا يلقي ضوءاً على طفولة اللغة الفصحى ، أين نشأت ومتى نشأت • وقـد كثرت الآراء حول هذين الأمرين وسنلخصها فيما يلي :

١ ـ آراء اللغويين العرب

انقسم علماء العرب في آرائهم عن أصل العربية الفصحى الى طائفتين، طائفة تقول بأن الفصحى خليط متجمع من اللهجات العربية المختلفة • ومن هـؤلاء ابن جني في كتـابه « الخصائص » ، وابن الانباري في « رســالة الأضداد» • أما الطائفة الثانية فترى أن العربية الفصحى قد تولدت عن لهجة بعينها من لهجات العرب • وتعتبر لهجـة الحجاز (وقريش من الحجاز) عند عدد كبير منهم أصل العربية الفصحى • وهم يعللون لذلك بأن القرآن قد نزل باللغة الفصحى ، وأن النبي عليــه الصلاة والسلام كان يتكلم في حياته العادية اللغة الفصحى لأنها أشرف اللهجات • ولـمـا كان النبي من

قريش ، أي من الحجاز ، فان هـــذا يعني أن تكون الفصحى هي أساسا لهجة الحجاز .

ويقول الصاحبي مثلا « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة وذلك لأن الله جل ثناؤه ، اختارهم من جميع العرب ، واصطفاهم ، واختار من بينهم نبي الرحمة » [٤] .

أما المعاصرون فهم ايضا على قسمين ، يمثل احدهما الاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس ، في كتـــابه « في اللهجـات العربيـــة » ، حيث يقـــول في ص ٣٢[٥] :

« نحن اذن امام لهجات مستقلة ، ذات صفات خاصة ، تميزت بهـــا القبائل العربية قبل ظهور تلك العوامل السياسية ، التي أدت آخر الأمر الى ظهور الاسلام . فلما دعت الحاجة الى اتصال القبائل في مواسم الحج قبل الاسلام ، والى عقد تلك المؤتمرات الثقافية التي سميت بالأسـواق ، بدأت الحاجة الى وسيلة للتفاهم تجمع بين تلك القبائل » ثم هو يقول في ص ٣٦ « وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء ، وشعر بها الشعراء ، ونزل بها القرآن الكريم ، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة» . وهو في هذين النصين يقرر وجود لهجة خاصة بكل قبيلة ، هي لغة التخاطب في حياتها العامة ، الى جانب اللغة الادبية التي تستعمل في المجالات الثقافية .

أما المعاصر الآخر الذي عرض للموضوع نفسه في كثير من التوسع ، فهو الدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه « فقه اللغة »[٦] . وهو يقرر في

(٤) الصاحبي ص ٢٣ القاهرة سنة ١٩١١ .

(٥) الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ـ الناشر لجنة البيان العربي

(٦) الطبعة الرابعة ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ ـ الناشر لجنة البيان العربي

صفحة (١٠٣) أن العربية (ويعني بها الفصحى) قد « نشأت ببلاد نجد والحجاز ، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية » ثم يقرر في نفس الصفحة أننا « لا نعلم شيئا عن طفولة هذه اللغة ، اذ لم يعثر العلماء فى مواطنها الاولى بنجد والحجاز ، على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقي ضوءاً على حالتها الاولى » •

هاتان العبارتان متناقضتان ، لأننا اذا كنا لا نعلم شيئا عن طفولة هذه اللغة ، فان هذا يعني ولا شك ، أننا لا نعرف إن كانت مأخوذة عن لهجة نجد والحجاز ، أو عن غير هذه اللهجة ، لأننا لن نعرف هذا على وجه القطع الا اذا كنا نعرف الكثير عن طفولة الفصحى ، والكثير ايضا عن لهجة قريش ، قبل نشأة الفصحى أو تطورها عن اللهجة القرشية • والدكتور يقرر في هذا الصدد (ص ١٢) أننا « نجهل ما كانت عليه لهجة قريش ، واللهجات العربية الاخرى في أدوارها الاولى ، جهلا يكاد يكون تاما »• والواقع أننا نجهل كل شيء عن اللهجات العربية كلها ، بما فيها لهجة قريش ، وعن العربية الفصحى ، لا في أدوارها الاولى فحسب ، بل حتى عصر الشعر الجاهلي • وذلك لأن كل ما ورد الينا عن العربية ولهجاتها المختلفة ، لا يتجاوز ما نقله الينا المفسرون والقراء ورواة الشعر الجاهلي • ولا تلقي هذه المادة بصيصا من الضوء على الفترة التي تطورت فيها اللغة الفصحى عن لهجة أو اكثر من اللهجات العربية القديمة •

وفى ص ١٠٥ يعدد الدكتور الاسباب التي دعت لتفوق لهجة قريش فيما يأتي :

١ ـ رعاية قريش للحرم مما اكسبها مكانة دينية •

٢ ـ سيطرة قريش على اقتصاد شبه الجزيرة ، بتحكمها في الطرق التجارية •

٣ ـ التفوق الحضاري لقريش الناتج عن العاملين السابقين •

٤ ـ غزارة المادة اللغوية في لهجة قريش •

ونود ان نستبعد السبب الاخير ، لان ما ورد الينا عن لهجة قريش ـ أو بالاحرى لهجة الحجازيين ـ قد يكون في ذاته كافيا لاثبات الصلة بين العربية الفصحى وهذه اللهجة ، ولكن القول بأنها أصل للفصحى يتطلب دراسة مقارنة واسعة بين الفصحى وكل اللهجات القديمة ، ومنها لهجة الحجاز حتى تتبين اذا ما كانت اللهجة الحجازية فعلا أقرب الى الفصحى التي نعرفها من اللهجات الاخرى • ومثل هذا البحث لابد أن يشمل النظم الصوتية ونظم بناء الكلمات ، وقواعد تركيب الجمل • وهو بحث لا نعتقد أن أحدا قد تام به • أما الاسباب الثلاثة الاخرى فانها تصلح اسبابا لنشأة الاسلام بين قريش ، أكثر مما تكون اسبابا لتولد اللغة الفصحى عن لهجة قريش ، لانها قد حدثت جميعا في فترة القرنين السابقين للاسلام • وهي فترة ظلام تاريخي كامل • واذ لا يمكن أن نقول بأنها كانت موجودة قبل وجود اللغة الفصحى ، حتى تكون سببا في وجودها •

الحق أن الدكتور وافي قد ردد ما قاله بعض اللغويين العرب ، وذكر نفس ما جاؤا به من أسباب لتبرير وجهة النظر التي قالوا بها •

٢ ـ آراء المستشرقين •

يرفض المستشرقون بصفة عامة ، الرأي القائل بأن اللغة الفصحى كانت لغة الحياة العامة في الحجاز • ويقولون برأى شبيه بالذي نقلناه من قبل عن الدكتور ابراهيم أنيس من وجود اللغة الفصحى الى جانب اللهجات المحلية ، تماما كما نجد اليوم في مجتمعنا العربي ، الذي يستعمل الفصحى في نشاطه الثقافي والعلمي ، ويستعمل اللهجة العامية المحلية في مجالات الحياة الاخرى •

وهم يستدلون على ذلك بأمور :ـ

١ ـ ان الشعر العربي الجاهلي لم يكن قاصرا على قبيلة بعينها ، أو

على مكان بعينه من جزيرة العرب وهذا دليل على وجود اللغة الفصحى في جميع أنحاء الجزيرة(١١) • والى جانب هذا نقل الينا الرواة الكثير من اختلاف لهجات القبائل عن اللغة الفصحى •

٢ ـ يحض الحديث الشريف على تحرى الدقة في اعـراب ألفـاظ القرآن ، أي في وضع العلامات الاعرابية الصحيحة على أواخر الكلمات • وهذا يعني أن ابناء القبائل كانوا يخطئون في نطق العربية الفصحى • وهذا لا يتأتى الا اذا كانت اللغة الفصحى لغة ثانية ، الى جانب اللهجـة التي يستعملونها في حياتهم اليومية •

٣ ـ تدل قراءات القرآن المختلفة ، وما ورد فى سياق تفسير الآيات القرآنية ، على اختلاف شاسع بين اللهجات العربية ، وبين الفصحى • وفى الحديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » وقد فسر هذا بأنه قد نزل على سبع لهجات عربية مختلفة ، أي متضمنا بعض وجوه الاختلاف بين هـذه اللهجات وبين الفصحى •

رأي متحامل : ـ

يقول ك ـ فولرز(١٢) بأن في تحريض الحديث الناس على اعراب

---

(١١) يقول الدكتور طه حسين بانتحال الشعر الجاهلي غيرالحجازي بحجة ان اللغة الفصحى لغة الحجاز وليست لغة القبائل الاخرى التى تسكن وسط الجزيرة وشرقها •

(١٢) K. Vollers في كتابه :
Volksprache und schriftspache in alten arabian 1906.

وما نذكره عنه ، نقل عن مقال :
The Beginnings of classical Arabic. by C. RABIN Studia Islamica
IV. Larose - Paris

وقد نشر في Mclmv

وانظر أيضا التعليق الذى كتبه المرحوم الدكتور عبدالحليم النجار ردا على هذا الرأي في ص ٤ ـ هامش ١ في كتاب « العربية » الذى ترجمه عن يوهان فك ـ القاهرة ١٩٥١ •

أواخر الكلمات في القران ، دليلا على أن القرآن لم ينزل بلغة معربة ،لانه لو كان معربا فعلالما كان هناك أي داع لامرهم باعرابه • وهـذا يعني أن القرآن قد نزل أصلا بلهجة قريش العامية ، وأنه قد روجع فيما بعـــد وأعرب • أما الرد على هذا الرأي المتهافت فيتلخص فيما يلي :

١ ـ كان في الجزيرة العربية كما أشرنا لهجات محلية ، يتكلم بها سواد العامة من الناس ، ولغة فصحى لا يتقنها الا الخاصة منهم • ولما نزل القرآن كان الحفاظ والمثقفون يحسنون تلاوته لمعرفتهم بالفصحى • أما عامة الناس ، فقد كانوا حين يتلونه يقعون في أخطاء اعرابية ، قد تسبب اختلاف مدلول الآيات • والحديث الشريف الذى يحض على اعـراب القرآن موجه لهذا الصنف الاخير من الناس ، الذى كـان يقـع فى لحن يذهب بجمال التلاوة ، وقد يُشوه المعنى القرآني •

٢ ـ لو كان القرآن قد نزل بلهجة عامية ثم روجع وأعرب ، لبقيت آثار هذه اللهجة العامية فيه بشكل واضح• والثابت أن الفرق بين أي لهجة، وبين الفصحى التى نزل بها القرآن فرق شاسع ، فمثلا تسقط قريش همزة القطع ، والقرآن يحتفظ بها دائما • أما ما في القرآن من بعض الصفات اللغوية الحجازية ، فان الذى يبرر وجودها ، أن القرآن قد استعمل بعض الصفات اللغوية لمختلف اللهجات الحجازية والتميمية وغيرها • ولو صح أن تكون الصفات الحجازية فيه ، مبررا للقول بأنه قد نزل بلهجة الحجاز، لقلنا أيضا بأنه قد نزل بلهجة تميم وغير تميم ، لوجود صفات خاصة بهـذه اللهجات فيه •

٣ ـ يتصور هذا الكاتب أن الخلاف بين اللهجة الدارجة واللغـــة الفصحى ، سطحى لا يتجاوز وضع العلامة الاعرابية على أواخر الكلمات والواقع أن هذا الخلاف أكثر من هذا بكثير• ولنحاول مثلا تحويل الجملة التالية من اللهجة العراقية الى العربية الفصحى :ـ

« آني جنِت هسّا واگف ويا رَجال كلّش زين »

أي « أنا كنت الآن واقفاً مع رجل فاضل جداً »

هل يكفي لتحويلها الى الفصحى ان نقول :

آني جنِت هسّا واگفاً ويا رجالٍ كلُّ شيءٍ زين

هذا لا يكفي . بل يتحتم أن نغير الامور الآتية :

١ ـ « آني » تصير « أنا »

٢ ـ « جنِتْ » تصير « كُنتُ »

٣ ـ « هسا » تصير « الآن »

٤ ـ « واگف » تصير « واقفاً »

٥ ـ « ويا » تصير « مع »

٦ ـ « رجال » تصير « رجل »

٧ ـ « كلش » تصير « جدا »

٨ ـ تتأخر « جدا » وتأتي بعد الصفة لا قبلها

٩ ـ « زين » تصير « فاضل »

أي اننا سنغير الأصوات والمفردات والتركيبات ، الى جانب التغيرات التى يتحتم أن تحدث في النغم والنبر وسواهما من الاعتبارات الصوتية .

أو بعبارة اخرى لابد من تبديل العبارة كلها .

واذا كان هذا المستشرق يريد القول بأن القرآن الذى في أيدينا ، نسخة اخرى غير القرآن الاصلي ، فأين دليله . أما اذا كان يريد مجرد تعديل النص بوضع الاعراب ، فالامر كما ترى أعمق من هـذا بكثير . لنضرب صفحا عن هذا التحامل ، ولنرجع مرة اخرى الى موضوع البحث. سنسلم اذن بوجود اللغة الفصحى بجوار اللهجات العربية الاخرى. ولكن متى نشأت الفصحى ؟ هذا سؤال لا سبيل لنا الى الاجابة عليه ، فليس لدينا

من النصوص أو الادلة ما يساعدنا على تحديد الوقت الذى نشأت فيه •
أما مكان نشأة هذه اللغة فهناك احتمالات أربعة : ـ

١ ـ غرب الجزيرة ـ أى منطقة الحجاز
٢ ـ شرق الجزيرة ـ أى منطقة غربي الفرات
٣ ـ أواسط الجزيرة ـ أى منطقة نجد واليمامة
٤ ـ جنوب الجزيرة ـ أى منطقة اليمن والجنوب العربى •

أما جنوب الجزيرة ، فليس من المحتمل أن تكون العربية الفصحى قد نشأت هناك ، لان هذه المنطقة كانت تتكلم الحميرية أو سواها من اللهجات الجنوبية ، التى هي أكثر ارتباطا باللغة الحبشية منها بالعربية •

أما المنطقة الشرقية ، فهناك من يقول نشأة الفصحى هناك ، ويبررون ذلك بأنها أقدم حضارة من سواها من المناطق ففيها نشأت مملكة الحيرة ، ولها مركزها الحضارى المعروف ، كما أن فيها وجدت أول آثار الشعر الجاهلي التى قيلت فى حرب البسوس •

وأما المنطقة الوسطى ، فيحتج البعض على أن العربية الفصحى قد نشأت فيها ، بما هو معروف من أن جامعي اللغة ، كانوا يخرجون الى بادية نجد واليمامة ليجمعوا متن اللغة وليحتجوا على آرائهم النحوية بما يقوله أهلها • واذا كان الامر كذلك فان هذا دليل على تركز الفصحى ونقاوتها فى هذه المنطقة •

من كل هذا يمكن أن نقول بأن العربية الفصحى ، قد وجدت في هذه الاماكن كلها • ونحن نعرف أنه قد كان لكل قبيلة من قبائل العرب المنتشرة فيجميع أنحاء الجزيرة ، شاعرها، الذى كان يقول شعره بالفصحى دون أن تقل لغته عن لغة سواه من شعراء القبائل الاخرى ، فيما عدا

ما يفضل به شاعر آخر بمستواه التعبيرى الفردى • ولما نزل القرآن ، جاء للعرب أجمعين ، في قريش وغير قريش ، وكانوا جميعا يفهمونه حق الفهم ، وان اختلفوا في مستوى اجادتهم لتلاوته •

بعد كل هذا ، بقى المكان والزمان الذى نشأت فيه الفصحى سرا مستغلقا ، قد يكشف عنه ما قد نعثر عليه في المستقبل من آثار لغوية ، تثبت رأيا أو آخر على وجه القطع • ولكن اذا كنا نعجز عن إثبات مكان نشأتها وزمانها ، فاننا نستطيع على الاقل ، أن نحدد بعض المراحل التى مرت بها الفصحى ، حتى استوت لغة عالمية تخدم المجتمع في جميع ألوان نشاطه العقلية والنفسية والمادية •

١ ـ مرحلة الشعر الجاهلي :

بالرغم من أن الشعر الجاهلي يمثل مرحلة ناضجة من مراحل وجود العربية الفصحى ، فان الدور الاجتماعي الذى كانت تستعمل فيه الفصحى في هذا العصر كان ، على ما يبدو من الموضوعات التى كان يطرقها هذا الشعر ، دورا محدودا لا يتجاوز وصف مجالس اللهو أو مطاردة العذارى أو التفاخر بمآثر الشاعر الشخصية أو مآثر قومه • واذا لاحظنا أنه لم يوجد الى جانب هذا الشعر نثر يختلف في أغراضه اختلافا جوهريا لتأكد لنا ضيق المجال الاجتماعي الذى كانت تستعمل فيه اللغة الفصحى في هذه الفترة من حياتها •

والى جانب هذا الاعتبار الاجتماعي ، يلاحظ أن الشعر ، من وجهة النظر اللغوية البحتة ، كان يتجنب بعض الاوزان المعينة كوزن « فَعَلَ » و « فَعَلَتَ » ، نظرا لأنها تمثل توالي مقاطع ثلاثة مفتوحة ، وقليلا ما تتوالى في تفاعيل الشعر أو أربعة أو خمسة من المقاطع المفتوحة وهي لا توجد في تفاعيل الشعر على الاطلاق • كما كان الشعر الجاهلي يستعمل

« اذا » داخلة على الجملة الاسمية ، وهذا تركيب يرجع بالفصحى الى صفة سامية قديمة هي استعمال هذه الاداة في الاشارة المؤكدة .[١٣]

هذا الى جانب ما يسمى بالضرورات الشعرية التى هي في الواقع عدم التزام بقواعد اللغة التي تقررت في النثر . وقد عدد الاستاذ الانجليزى « رايت » (A. Wright) هذه الضرورات ، فبلغت ما يزيد على الثلاثين حالة منها :

١ - عدم التفريق بين الممنوع من الصرف والمنصرف ، من الاسماء المعربة . والاعراب صفة قديمة فى اللغات السامية ، وقد فقدته جميعا عدا الاكادية والعربية « فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية ، في النصوص القديمة ، ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين ، همـــا الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر . ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تطورت الى مرحلة الحركة الواحدة ، وهي الـكسـرة الممالة » . والذي يظهر ان التدرج في انقراض ثلاثية الحركة الاعرابية ، قد سجل في اللغة العربية الفصحى ، ففيها أسماء وأفعال تعرب بالحركات الثلاثة ، الضمـة والفتحة والكسرة في الاسماء والضمة والفتحة والسكون فى الافعـــال ، كما أن فيها كلمات تعرب بحركتين ولا غير ، وهي الاسماء الممنوعة من الصرف وتعرب بالضمة والفتحة فقط ، شأنها في ذلك شأن اللغة النبطية القديمة ، التي كانت أسماؤها ترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحـة[١٤] كما أن في العربية الفصحى كلمـات تلزم حالة واحـدة وهي مـا تسمى بالكلمات المبنية .

---

(١٣) انظر ص ٣٠ ، ٣١ من مقال (Rebins) المذكور من قبل

(١٤) دراســات في اللغـة للدكتـور ابراهيـم السـامرائي ص ١٠ - ١١ بغـداد ١٩٦١ .

واذا صح هذا الفرض كان منع الصرف مرحلة تطورية طرأت على المفردات في اللغة الفصحى • وكان خلط الشعراء بين المنع من الصرف والصرف ، دليلا على أن هذه القاعدة لم تكن قد استقرت تماما ، ولهـذا رأيناها لا تتبع في كل الاحوال • ومثال ذلك :

« قالوا يزورك أحمدٌ وتزوره »

وأحمدٌ ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل • ولكنه صرف في هذا البيت •

و « تقول سل المعروف يحيى بن أكثم »

« وأكثم » مثل « أحمد » في المنع من الصرف ولكنه صرف هنا

ويقول السيوطي في كتابه جامع الجوامع بأن البعض يرى أن صرف الاسماء غير المنصرفة في النثر لهجة من لهجات بعض العرب • وقد كان أول من قال بهذا الرأي هو الاخفش الذي قال بأنها كانت لهجة الشعراء التى كانوايتبعونها ضرورة من ضرورات الشعر ثم شاع ذلك بعدهم فى النثر •

وليس هناك شيء اسمه لهجة الشعراء لان اللهجة حالة لغوية خاصة بطائفة ثقافية معينة ولا يمثل الشعراء كلهم لهجة واحدة بل هم ينتمون للهجات متعددة • ومع هذا فقول السيوطي هذا يؤيد هذا الرأي الذى نشير اليه •

٢ ـ تنوين الاسم الذى لا يقبل التنوين من غير الاسماء الممنوعة من الصرف مثل:

« سلام الله يا مطرٌ عليها »

ومطرٌ مفرد علم منادى يبنى على الضم ولا ينون •

و « ألا رجلا جزاه الله خيرا ،

و « رجلا » اسم « لا » واسم « لا » يبنى على الفتح ولا ينون

و « حذارِ حذارِ من فوارِس دارمِ »

وحذار مبنية على الكسر ولا تقبل التوين ولكنها نونت هنا

٣ ـ الوقوف على الكلمة بغير السكون مثل :

« أغشى الوغى واعف عند المغنم »

ولو كان هذا فى النثر للزم السكون آخر كلمة « المغنم » الذى كسر في هذا البيت(١٥) .

٤ ـ الوقوف على الاسم المنتهى بالتاء المربوطة بتاء متحركة مثل :

« وأهلك باللوى فالحلةِ »

وفي النثر يتحتم أن يوقف على هذه الكلمة بالهاء .

٥ ـ عدم اظهار الفتحة على آخر الفعل المضارع المنصوب ، اذا كان معتلا بالواو أو الياء مثل : ـ

« اذا غرّ أن يُمسي الفتى فيه أو يُضحى »

وكان من اللازم فتح الياء في كل من « يمسى » و « يضحى »

« أبى الله أن أسمو بأم ولا أبِ »

وكان من اللازم فتح الواو فى « أسمو »

* * *

هذه بعض الحالات التى لا يلتزم فيها الشاعر بالقواعد العربية . ويفضل البعض تسمية هذه بضرورات الشعر ، ولكن الذى لا شك فيه ، أن في مقدور الشاعر أن يتخلص من هذه الضرورات ، ولو بالاستغناء عن الكلمات التى توقعه فيها . وعلى أية حال ، فان البعض يعتبر هذه الظاهرة دليلا على عدم رسوخ هذه القواعد النحوية فى هذه المرحلة ، الى درجة

---

(١٥) لا تقف قبيلة ازدشنوءه على الكلمة بالسكون بل تحتفظ بالحركة فنقول « هذه أزْيد » كما يحدث في الشعر .

تجعل الشاعر يلتزمها التزاما كاملا .

٢ ـ مرحلة القرآن والحديث :

والقرآن الكريم أول كتاب نثري عربي كامل . وهو بهذا الاعتبار الدعامة الكبرى لتطوير النثر في العربية . ويقول يوهان فك في كتابه « العربية » بأن « لغة القرآن تختلف اختلافا غير يسير عن لغة الشعر ، فهي تعرض ، من حيث هي أثر لغوي ، صورة فذة ، لا يدانيها أي أثر لغوى على الاطلاق ، ففي القرآن ، لاول مرة فى تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة ، الا نموذجا واهيا له ، من حيث ظاهر وسائل الاسلوب ،ومسالك المجاز فى اللفظ والدلالة »(١٦) .

على أن القرآن اذا كان قد عالج موضوع العقيدة ، مستعملا اسلوبا أعجز ذوى البيان من الكهنة والعرافين ، فانه الى جانب هذا ، قد دخل بالعربية الفصحى الى ميادين تعبيرية جديدة ، لم تستعمل فيها من قبل . ومن ذلك استعمالها فى تقنين الاحكام التى تضبط علاقة الافراد داخل الدولة ، وعلاقة الدولة بسواها من الدول في الحرب والسلم . خذْ مثلا آية الميراث « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » هذا أسلوب تشريع ، لا نقص فيه ولا زيادة ، ولا سجع ولا جناس ، ولا استعارة ولا كناية ، ولكنه تعبير أشبه بصياغة المواد القانونية فى العصر الحديث . ولنقارن هذا النوع من النثر بسورة النجم « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى » . الى آخر السورة . أو بسورة الرحمن « الرحمن علّم القرآن. خلق الانسان » الى آخر السورة . والفرق واضح بين النوعين من الاسلوب

---

(١٦) العربية ليوهان فك ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ـ القاهرة ـ ١٩٥١ ص ٥٤ .

النثرى • ولنقارن هذين باسلوب القصة في سورة يوسف ، أو سواها من آيات القصص ، وسنجد نوعا جديدا من الصياغة النثرية •

وهكذا نجد القرآن من وجهة النظر اللغوية ، الدعامة الحقيقية للنثر فى اللغة العربية ، من ناحية الصياغة الاسلوبية ، وتعـدد المجـالات التي استعمل فيها ، فلم تعد الفصحى لغة الشاعر والخطيب فحسب ، بل لقـد دخلت صميم الحياة ، الروحية ، والادارية ، للناس والدولة •

أما الحديث ، فانه يختلف عن القرآن في ناحية هامة ، هي أنه ليس نصوصا مقدسة تتلى للتعبد • ولهذا فانه لم يعتمد اعتمادا كبيرا على الموسيقى الاسلوبية ، التى نجدها فى الآيات القرآنية المتصلة بالعقيدة • والحديث من وجهة النظر هذه نثر مرسل موضوعي يستعمل اللغة استعمالا عمليا ، كما تستعملها نحن فى نثرنا الحديث لبيان الاحكـام في أوضـح صورة وأبسطها •

وبفضل القرآن الكريم والحديث الشريف استقر في العربية جانبها النثرى استقرار جانبها الشعرى •

٣ ـ مرحلة الادارة والعلم :

في هذه المرحلـة ، دخلت العربيـة الفصحى دورا ثالثا من أدوار وظائفها الاجتماعية • وعلى أثر استقرار الدعوة الاسلامية وتركز الدولة ، كان من الضروري أن تستعمل الفصحى في ميـدان جديد هـو الميـدان الادارى •وقد كتب النبي عليه السلام رسائل للملوك وقادة الشعـوب وعقد المعاهدات، كما استعمل خلفاؤه من بعـده ، ثم الخلفـاء الامويون ، والعباسيون ، اللغة استعمالا اداريا صرفا ، فى رسائلهم للولاة ، وتعليقاتهم على مظالم الناس ، وغير ذلك • ثم استعملت العربية بعد ذلك ، لغة علمية ، على أثر نشاط حركة التأليف فى علوم الدين واللغة أولا ، ثم فى مختلف العلوم العقلية والطبيعية ، أبان عصر الترجمة وبعده • وقد ألف بالعربية

في النحو والصرف والعروض والتشريع ، كما الف بها في المنطق والفلسفة والطب والفلك والجبر والهندسة والموسيقى وغيرها من مختلف العلوم •

وهنا بلغت العربية الفصحى ، من الناحية الاجتماعية ، أرقى مستوى تصل اليه لغة ، حيث لم تقف عند المرحلة الغنائية والحماسية التى رأيناها فى الشعر والخطابة في العصر الجاهلي • بل لقد لعبت دورها الكامل فى خدمة المجتمع العربى أولا ، ثم خدمة الثقافة الانسانية فيما بعد •

ثالثا ـ اللهجات العربية الحديثة : ـ

رأينا من قبل كيف انتقلت اللغات السامية الحديثة مع القبائل التي هاجرت من قلب شبه الجزيرة الى مواطن جديدة ، فى شرقي بلاد العرب وشمالها • وقد ذكرنا كذلك أن العرب قد انتقلوا بالعربية الى مواطن جديدة • ولكن هناك فرقا جوهريا بين الهجرات السامية وبين هجرة العرب ، تجعل الاخيرة من الجانب اللغوي ذات أثر مختلف عن هجرات الساميين • وقد هاجر الساميون في شكل قبائل أغارت على مواطن قبائل اخرى ، وقتلت منهم من قتلت ، وطردت من ديارهم من طردت ، ولم تبق سوى ما أراد الفاتحون من الاماء والعبيد • ونتيجة لذلك انقرضت لغة القبائل المهزومة وخلفت من الاثار اللغوية فى لغة المنتصرين آثارا انتقلت اليها عن طريق من بقى فى البلاد من سكانها الاصليين ، فى خدمة السادة الجدد •

أما العرب بعد الاسلام فانهم لم ينتقلوا الى المواطن الجديدة فى أول الامر فى شكل قبائل مغيرة بل كانوا جنودا يدعون للدين الجديد • كما أن الاسلام ، قد نهى جنوده المحاربين ، عن أن يقتلوا طفلا ، أو امرأة ، أو شيخا ، أو يحرقوا زرعا • كما أباح لذوى الاديان الاخرى الاحتفاظ بدينهم ، وسمح لهم بمزاولة شعائرهم فى بيوتهم وكنائسهم • يضاف الى

ذلك « السياسة الواسعة الافق التى امتاز بها الخليفة الثاني ، عمر العبقرى، مؤسس الدولة العالمية الاسلامية (حكم ١٣ - ٢٣هـ ، ٦٣٥ - ٦٤٤م) •••• فقد حرم (على الجنود) أن يستلكوا الضياع في الاقاليم الجديدة ، أو أن يتخذوها لهم وطنا ومقاما ، كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة فى البلدان المفتوحة ، ما عدا سوريا ، التى كانت قد استعربت الى حد كبير قبل الاسلام ، بواسطة القبائل التى هاجرت اليها ، فأسكنهم فى معسكرات من الخيام ، كانت نواة للمدن العظمى فى العالم الاسلامي ، التى نشأت في بضع عشرات من السنين ، كالبصرة ، والكوفة ، والفسطاط وغيرها »[١٧].

ونتيجة لهذا ، بقيت للشعوب المغلوبة ثقافاتها ولغاتها • ولم يطرأ على الظروف اللغوية في هذه البلاد من جديد سوى وفود لغة جديدة هي العربية ، بين الجنود ورجال الحكم •

وبعد استقرار الامر للعرب ، أخذت القبائل العربية تنتقل الى البلاد الجديدة ، لتعيش فيها جنبا الى جنب مع سكانها الاصليين ، ولتقوى مركز العربية ازاء لغات السكان الاصليين ، الذين أخذوا بدورهم فى تعلم العربية والدخول الى الاسلام • وكانت النتيجة ، أن لعبت هذه اللغات دورا هاما فى تطوير العربية ، التى عاشت معها جنبا الى جنب ، لفترة قرون عديدة • وعن هذا التفاعل اللغوى الضخم ، الذى طال أمره ، نشأت اللهجات الحديثة •

وقد كان للظروف الجغرافية بطبيعة الحال ، أثر في اختلاف الاجناس التى سكنت هذه المواطن الجديدة • أما العراق في شرق الجزيرة ، فيجاوره من الشرق والشمال ، أقوام تتكلم الفارسية والكردية والتركية • وقد دخلت جميعا في الاسلام وسكنت طائفة من أبنائها جنبا الى جنب مع العرب ، الذين وفدوا لهذه البلاد بعد الاسلام ، كما كان الفلاحون ،

---

(١٧) عن « العربية » فك ترجمة النجار ص ٨ •

ويسميهم الكتاب العرب بالانباط ، يتكلمون الآرامية • « وحتى في المدن الناشئة في مواضع المعسكرات العربية ، كالبصرة والكوفة ، كان سيل العناصر الايرانية من القوة ، بحيث كانت اللغة الفارسية تحتل مكان التصدر في القرن الاول ، ففي البصرة كانت أسماء الامكنة المنسوبة الى الاشخاص تختتم عادة بمقطع : ـ آن • وهكذا كانت تسمى القطائع الكثيرة بأسماء أصحابها ، مثل مهلبان ، أميتان (نسبة الى أبي امية) ، جعفران (نسبة الى أم جعفر) ، عبدالرحمانان ، عبيد اللان ، ويوجد بين القنوات الهامة بالبصرة صيغ مثل ، خالدان ، طلحتان • وأشهر الامثلة من هذا النوع اسم رباط عبّادان(١٨) • وفي الفرق العسكرية الساسانية ، التي انضمت الى العرب ، بقيت الفارسية لغة الخدمة في الجيش ، على حين كان بعضهم ، ولا سيما الزط ، والسيابجة ، والاندغار ، يحملون أسماء قبائلهم الهندية ، التي انتظموا منها في الجندية • »(١٩) « ولم يختلف عن ذلك كثيرا أمر العلاقات اللغوية بالكوفة ، فقد قامت هذه المدينة ، في منطقة تتلاقى فيها اللغات الآرامية ، والفارسية ، والعربية من قديم • كما أن الحيرة ، الواقعة على مقربة منها ، والتي كان بها ـ في نظر العرب ـ سدة أمارة اللخميين ، كانت قبل الاسلام مصدر انتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة الساسانيين ، بين قبائل البدو في السهول السورية العربية المجاورة • وقد أخذت الكوفة ، المؤسسة حديثا ، سنة الحيرة فسارت على منوالها القديم ، وازدهرت وشيكا ، على حين تراجعت الحيرة الى الوراء •• وكما حصل فى البصرة ، كان يرد

---

(١٨) أخذت هذه الامثلة من الباب الخامس لتقسيم البصرة في كتاب البلاذري ص ٣٤٦ ، ٣٧٢ وفيه كثير من ذلك • ومن هنا أيضا أخذ ياقوت القائمة التى ذكرها في معجم البلدان ج١ص ٦٤٥ • ولا يمنع هذا من وجود تسميات عربية محضة مثل « المسمارية » [بلاذري ص ٣٦٤] •

(١٩) الاصل والهامش السابق عن كتاب « العربية » فك ص ١٤ ـ ١٥ •

على الكوفة ، سيل من التجار والصناع وغيرهم ، سرعان ما كونوا مع اسارى الحرب ، الكثيري العدد ، ذوي الاصل الفارسى ، أغلبية السكان ، فصارت لغة التفاهم السائدة هي الفارسية . وقد كشف الجاحظ[٢٠] النقاب عن مدى تأثير هذه اللغة في الجيوش العربية ، بما أورده من ألفاظ معربة في لهجة الكوفة »[٢١] .

ولم يلبث هؤلاء الموالي أن تملكوا زمام العربية الفصحى ، وصار منهم الكتاب والشعراء والنحاة ، فى البصرة والكوفة وغيرها .

أما بلاد الشام ، فقد تعربت قبل الاسلام الى حد كبير ، ولهذا لم نشهد ما شهدناه في العراق من قوة نفوذ العناصر غير العربية . ومن أجل هذا لم تصادف اللغة فى الشام ما صادفته في العراق . ولم يدخل عليها من العناصر الاجنبية سوى ما يفرضه الاحتكاك بين العربية والسوريانية ، التى كانت تسود هذه البلاد قبل دخول العربية .

وفي مصر ، كانت العربية لغة رجال الجيش . ولكنها اقتصرت على مدينة الفسطاط التى بناها عمرو بن العاص لرجال الجيش ، وعلى بعض المناطق التى اختارها العرب للسكنى أو للرعى . وكان أغلب العرب الذين نزحوا الى مصر من اليمنيين . أما المصريون فقد احتفظوا باللغة القبطية يتعاملون بها في حياتهم اليومية . كما بقيت اللغة اليونانية لغة الدولة الرسمية كذلك حتى سنة ٨٧هـ ، حين دخلت العربية الى دوائر العمل الرسمي .

ويلاحظ أن تأثير القبطية واليونانية على العربية في مصر ، كان أقل

---

(٢٠) « البيان والتبيين » ج١ ص ١٠ . وانظر أيضا ياقوت في معجم البلدان ج٣ ص ٣٣٨ .

(٢١) « العربية » فك ص ١٧ ـ ١٨ وعنه أخذ النص والهامش السابق .

بكثير من تأثير الفارسية عليها بالعراق • ويعلل هذا ، بأن مصر قد تعربت بصورة أعمق من العراق ، ففي خلال القرن الثاني من الهجرة ، هاجرت قبائل من عرب الشمال كثيرة ، وكثر دخول الاقباط في الاسلام ، بحيث لم يكد القرن الثالث الهجرى ينتصف ، حتى أصبحت العربية لغة المدن ، وتراجعت القبطية الى سهول الريف ، حتى تلاشت أو كادت في القرن السادس للهجرة[٢٢] •

وما حدث في العراق ومصر حدث فى بقية البلاد التى دخلتها العربية بنسبة تقل أو تكثر ، حسب ظروف كل بلد وطبيعة الهجرات العربية التى استقرت فيه •

ولكن المهم أن نذكر فى هذا الصدد أمرين هامين هما :

١ ـ اتساع نطاق اللغة العربية الفصحى بفضل استعمالها في مجالات جديدة •

٢ ـ نشأة لهجات عربية حديثة فى كل هذه المواطن ، اختلفت الى حد كبير عن اللهجات القديمة •

بقى سؤال أخير يتعلق بنشأة اللهجات الحديثة • وهو « هل نشأت هذه اللهجات نتيجة لاختلاط الفصحى بلغات هذه البلاد ، أم أنها نشأت نتيجة لاختلاط لهجات خاصة تتكلمها العناصر التى هاجرت اليها ؟ »

هنا رأيان •

أولهما ، يقرر أن العربية الفصحى ، هي الاصل الذى صار بتأثير اللغات القومية فى هذه البلاد ـ لهجات محلية • والواضح أن « فك » فى كتابه « العربية » يميل للقول بهذا الرأى •

---

(٢٢) المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٢ •

وثانيهما ، رأى يقول به الاستاذ الامريكي تشالرز فيرجسون ونشره في مقال له بمجلة « اللغة » الامريكية(٢٣) سنة ١٩٥٩ • وهو يقرر أن اللهجات الحديثة ، لم تتولد بصفة مباشرة عن العربية الفصحى ، بل قد تولدت عن لهجة الجنود الخاصة التي حملوها معهم الى مختلف البلاد التي فتحوها •

وهو يلاحظ ، أن العرب لم يدخلوا هذه البلاد على صورة هجرات قبلية ، كما فعل الساميون ، بل على صورة جيوش تكونت من مختلف القبائل • وفي مثل هذه الظروف ، تتكون لرجال الجيش لهجة خاصة ، كما نلاحظ في كل الجيوش الحديثة • وتعتبر هذه اللهجة الخاصة تحريفا للغة الفصحى ، قد حدث بتأثير لهجات أفراد الجيوش ، وما يبتكرونه من ألفاظ وتعبيرات •

ويدلل فيرجسون على هذا الرأى ، بأن جميع اللهجات العربية ، فيما عدا لهجات شبه الجزيرة ، ولهجات شمالي أفريقيا ، التي تأثرت بهجرة قبائل بني هلال ، تُجمع على مخالفة العربية الفصحى في بعض الامور الجوهرية • ولا يمكن أن يكون هذا الاختلاف تطورا طبيعيا ، لانه لو كان كذلك ، لاختلف التطور في مكان ما عنه في مكان آخر • أما الاجماع على كيفية الخلاف مع الفصحى فلا يمكن أن يحدث الا عن طريق لهجة وسيط ، يحدث فيها هذا الاختلاف ، ثم ينتقل عن طريقها لجميع البلاد مع الجنود التى فتحتها •

ولتوضيح هذا ، نفترض أني قد علمت اللغة العربية ، لانجليزى ، وفرنسى ، وتركي • وستكون النتيجة أن تكون عربية الانجليزي مشوبة

---

(٢٣) انظر :
The Arabic Koine, by Charles Furgson, Language 35, 616,30

بلكنة انجليزية ، وعربية الفرنسي مشوبة بلكنة فرنسية ، وعربية التركي مشوبة بلكنة تركية •

ولو فرض أني وجدت انجليزيا يتكلم العربية مشوبة بلكنة انجليزية وألمانية وفرنسيا يتكلمها بلكنة فرنسية والمانية ، وتركيا يتكلمها بلكنة تركية والمانية ، لو فرض ذلك لكان دليلا على أنهم جميعا لم يتعلموا العربي مباشرة عن عربي بل تعلموها عن ألماني تعلمها عن عربي • وبهـذا فقط يمكن تفسير اللكنة الالمانية لديهم جميعا •

وهذا هو نفس الموقف بالنسبة للهجات الحديثة ، فان فيها جميعا أمورا تخالف العربية الفصحى، ولا يمكن تعليلها الا بأن العربية، قد وصلت اليهم محوزة • وسنذكر بعض هذه الامور التى أجمعت فيها اللهجات على مخالفة العربية •

أ ـ التثنية في العربية الفصحى تكون في الأسماء الجامدة ، والصفات، والافعال ، والضمائر واسم الموصول ، واسم الاشارة • أما في اللهجات الحديثة جميعا فلا تكون الا في الاسماء الجامدة • قارن هـذه الامثلة فى الفصحى والعراقية والاردنية والمصرية : ـ

١ ـ هذان الولدان اللذان يسافران معكما	عربية فصحى
٢ ـ دول الولدين اللي يسافرو معاكم	" مصرية
٣ ـ هاذول الولدين اللي يسافرون وياكم	" عراقية
٤ ـ هادول الولدين اللي بيسافرو معكم	" أردنية

وسنجد ما يأتي :ـ

أولا : اسم الاشارة ، واسم الموصول ، والفعل ، والضمير المتصل ، وضعت جميعا في صيغة الجمع مع انها ترتبط باسم مثنى • وذلك فيالهجات العامية • أما فى الفصحى فتكون جميعا بصيغة المثنى •

ثانيا : لا يثنى فى اللهجات الحديثة سوى الاسم الجامد ، أمـا فى

الفصحى فالجامد وغير الجامد يمكن أن يثنى •

ثالثا : اسم الموصول في جميع اللهجات يستعمل فى صيغة المفرد ، مع أنه يشير لمثنى • أما فى الفصحى فيكون فى صيغة المثنى •

ما سر هذا الاجماع بين هذه اللهجات على الاحتفاظ بالمثنى فى الاسم الجامد فقط ، وعلى التخلص منه بنفس الطريقة ، فى جميع اللهجات ، فى غير الاسم الجامد ! السر فى ذلك أن هذا التطور ، قد حدث فى لهجة الجنود أو اللهجة المهذبة ، كما يسميها فيرجسون ، وأنه قد نقل منها الى جميع اللهجات •

ب ـ الفعل « جاب » بمعنى « أحضر » ، لا يوجد فى قاموس العربية الفصحى ، بينما هو موجود فى جميع اللهجات الحديثة•وهذا الفعل مكون أصلا من الفعل « جاء + ب الجر » فى الجملة « جاء بالكتاب » • وقد سقطت همزة « جاء » ، وجعلت باء الجر جزءاً من الفعل « جاب » الذى صار يتصرف الى « يجيب » « جايب » ••• الخ

هذا الفعل يوجد فى جميع اللهجات الحديثة • وسر ذلك أنه قد نقل اليها جميعا من لغة الجنود ـ أى اللهجة المهذبة •

حـ ـ الفعل « شاف » ، لا يوجد فى العربية الفصحى ولكنه يوجد فى جميع اللهجات ، لانه قد انتقل اليها كذلك بواسطة لهجة الجنود •

ويعدد الاستاذ فيرجسون ، امورا كثيرة من هذا النوع نكتفى منها بما سبق • ونحن نقرر ميلنا الى رأى فيرجسون هذا للاسباب التى ذكرها •

وبهذا يمكن القول بأن اللهجات الحديثة على ثلاثة أقسام :ـ

١ ـ لهجات شبه الجزيرة ، وهذه امتداد للهجات القديمة •

٢ ـ لهجات شمال أفريقيا ، وهذه متأثرة بلهجة بني هلال •

٣ ـ اللهجات الباقية ، وهذه متولدة من اللهجة المهذبة المشار اليها •

مادة اللغة

عالجنا فيما مضى قضايا تتصل باللغة وسنعالج فيما يلي مادة اللغة

اولاً

الاصــوات

أعضــاء النطــق

قلنا فيما مضى بأن النشاط الذى يقوم به المتكلم على نوعـين عقـلى وعضوي • وقد سبق الحديث عن النشاط العقلي وتتعرض الآن للنشاط العضوي وهو يتمثل في عمليات تقوم بها بعض أعضاء الجسم التى نسميها بأعضاء النطق • وقبل أن نتعرض لوصف هذا النشاط نود أن نقول عابرين بأن الكلام عملية ثانوية تقوم بها هذه الاعضاء الى جانب عملياتها الرئيسية التي تعتبر وظائفها البيولوجية ؛ فعمل الرئتين الاساسى هو التنفس ، ولكن الهواء الذى تدفعه قد يستعمل في انتاج الكلام • والغرض من حركات اللسان هو القيام بعملية البلع وتحريك الطعام أثناء المضغ ، ولكن هــذه الحركات تستغل كذلك في انتاج الاصوات المختلفة وهكذا • وتنحصـر أعضاء النطق فيما يأتى :

أولا ـ الرئتان : هما عبارة عن مجموعة من الأكياس المتلاصقة التى يرتبط بعضها ببعض بأنابيب تنتهى بانبوبين رئيسيتين تعرفان بالشعبتين • وليست الرئتان نسيجا عضليا قادرا على الحركة بنفسه ، ولـكنهما نسيج غشائي ، لا يتحرك الا بواسطة الضغط عليه فينكمش ، أو ازالة الضغط عنه فيتمدد ، كما تضغط بيدك على قطعة من الاسفنج ، ثم تزيل الضغــط عنها • وكما تضغط على الاسفنج فتطرد ما بها من ماء ، ثم تزيل الضغط فتمتص ما تلاقيه من الماء ، فان الضغط على الرئتين يطرد ما بهما من هواء ، وازالة الضغط عنهما يسبب دخول الهواء اليهما • ووظيفة الرئتين من الناحية البيولوجية امتصاص الاوكسجين من الهواء الخارجي ، وجذبه الى الاكياس الصغيرة التي تتكون منها والتى يحيط بها الدم غير النقي • وهنا تتم عملية كيمائية يتخلص بها الدم من كميـات الكربون المتخلفـة فيـه ، فيصبح

الاوكسجين ثاني أوكسيد الكربون ، ثم يحدث ضغط على الرئتين ، تتخلص به من ثاني أوكسيد الكربون وتنقي بذلك الدم • والعضو الذى يقـــوم بالضغط عـلى الرئتين لطـرد ثاني أوكسيد الكربون ، ثم يخفف الضغط لامتصاص أوكسجين الهواء هو الحجاب الحاجز • وهو غشاء رقيق يفصل بين المعدة والامعاء ، وبين القلب والكبد والرئتين • ويساعـد الحجـــاب الحاجز فى هذه العملية ، حركة القفص الصدرى • وهي حركة بسيطة تشاهدها عند عملية التنفس • ووظيفة الرئتين من وجهة نظر اللغة تتلخص في ثلاثة امور هي :

١ ـ دفع الهواء الى الخارج مارا بالاعضاء الصوتية العليا • وبفضل احتكاك هذا الهواء بها يحدث الصوت الذى نسميه الكلام على النحو الذى سنبديه فيما بعد •

٢ ـ توالي ضغط الهواء على شكل ضغطات مستقلة يتسبب كل منها فى انتاج جزء من الكلام نسميه المقطع على ما سترى بالتفصل فيما بعـ وتشبه هذه الضغطات التى يمكن أن تحدثها على الجزء الكروى المصنوع من المطاط من نفير الدراجة والتى تسبب أجـزاء متميزة من الصـوت الذى يرسله النفير •

٣ ـ اختلاف ضغط الرئتين قوة وضعفا • ويكون المقطع الناتج من الضغط القوى ، مقطعا قوى الاداء أو قوى النبر ويكون ذلك الذى ينتج عن الضغط الضعيف مقطعا ضعيف الاداء ، أو ضعيف النبر •

ويجب أن تذكر بهذه المناسبة أن قوة النبر أو ضعفه تنتج عن قوة ضغط الرئتين ، وبالتالي عن كمية الهواء الخارج منهما ، كمـا ينتج كذلك عن سعة المخرج أو ضيقه ، كما تلاحظ اذا ما فتحت صنبور الماء ثم ضيقت فوهته باصبعك ، وستجد أن ذلك يتسبب عن قوة اندفاع الماء • وكذلك

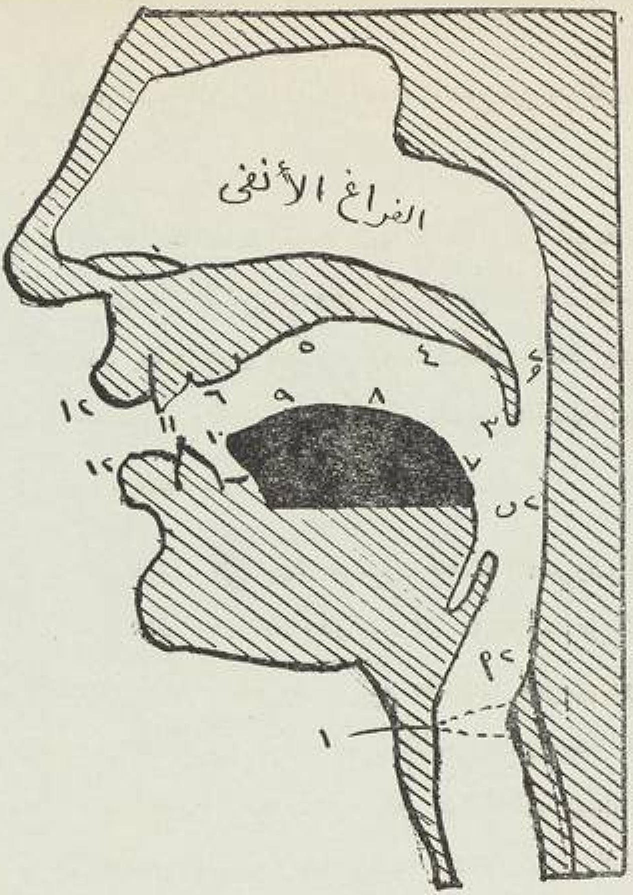
المقطع يكون قوى النبر اذا زاد قَدْر الهواء المندفع من الرئتين وضـاق مخرجه •

ثانيا ـ القصبة الهوائية : القصبة الهوائية عبارة عن انبوبة تلتقي فيها الشعبتان الخارجتان من الرئتين • وهي مكونة من حلقات غضروفية غير كاملة من الخلف بعضها فوق بعض • وهذه الحلقات الغضروفية مكسوة بنسيج غشائى مخاطي • والحلقة الغضروفية العليا من القصبة الهوائيةكاملة الاستدارة وتعرف بالغضروف الحلقي •

ثالثا ـ الحنجرة : هي جهاز موسيقي قاعدته الغضروف الحلقي • ويوجد فوق هذا الغضروف غضروفان آخران كل منهما على شكل هرم ويعرفان بالغضروفين الهرمين وأمام الجميع غضروف عمودى ذو صفحتين يعرف بالغضروف الدرقي ويعرف الجزء الامامي البارز منه باسم تفاحة آدم • ومن الغضروفين الهرمين يمتد نسيج غشائي الى وسط الغضروف الدرقي يعرف بالأوتار الصوتية وهذا النسيج الغشائي شبيه بالشفتين يمكن أن ينطبق فيسد الفوهة العليا للقصبة الهوائية أو ينفتح فيبقى مجرى الهواء مفتوحا أو أن ينطبق جانباه تمام الانطباق • ومن مجموع هـذه الاجزاء تكون الحنجرة • وينتج من حركة الغضروفين الهرمينوالاوتار الصوتية ما يأتي :

١ ـ عندما ينفرج الغضروفان انفراجا تاما ، يخرج الهواء منالرئتين أو يدخل اليهما دون عائق ويتم في هذه الحالة عملية التنفس •

٢ ـ عندما ينطبقان تماما تنسد الفوهة العليا للقصبة الهوائية فنسمع صوتا ناتجا عن هذا السد ثم ينفرجان فيخرج الهواء المحبوس في القصبة الهوائية ونسمع صوتا ناتجا عن هذا الانفجار • والصوت الناتج عن السد



شكل ٢

١ ـ الحنجرة
٢ أ ـ البلعوم الحنجرى
٢ ب ـ البلعوم الفموى
٢ ح ـ البلعوم الانفي
٣ ـ اللهاة ٠
٤ ـ الجزء الرخو من سقف الحنك
٥ ـ الجزء الصلب من سقف الحنك
٦ ـ اللثة
٧ ـ مؤخرة اللسان
٨ ـ وسط اللسان
٩ ـ مقدمة اللسان
١٠ـ طرف اللسان
١١ـ الاسنان
١٢ـ الشفتان

فقط ، أو عن الانفجار فقط ، أو عنهما معا ، يعرف بالهمزة • والهمزة أحد أصوات اللغة العربية • وتوجد في كثير من اللغات باعتبارها صوتا مستقلا ، أو صفة لصوت ما •

٣ ـ عندما يضيقان دون أن تتوتر الاوتار الصوتية فلا تهتز ، وفي هذه الحالة يخرج الهواء محتكا بجانبي الحنجرة ، ويحدث نتيجة لذلك صوت يسمى الهمس ، نستعمله عندما نسر الحديث •

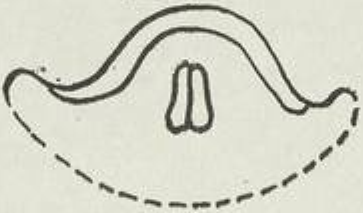
٤ ـ عندما يضيقان مع توتر الاوتار الصوتية واهتزازها • في هذه الحالة يسبب اهتزاز الاوتار نغمة مسموعة نسميها بالجهر •

ومثال الصوت المهموس «س» و «ق» ومثال المجهور « ز » و «ع» • ويمكن للمرء أن يدرك اهتزاز الاوتار الصوتية عند الجهر ، بوضع ابهامه وسبابته على الجزء الامامي من الرقبة ، فوق النتوء المعروف باسم تفاحة آدم ، وينطق بصوت « ز » ، وسيحس باهتزاز الاوتار الصوتية ، فاذا نطق بصوت «س» وهو النظير المهموس للصوت «ز» ، لما أحس بهذا الاهتزاز • واهتزاز الاوتار الصوتية يتفاوت بطبيعة الحال ، بين أن يكون كثير الذبذبات أو قليلها • وعندما تكون الذبذبات كثيرة ، نسمع صوتا دقيقا • أما اذا كانت قليلة ، فاننا نسمع صوتا غليظا • وهذه الظاهرة نفسها هي التي تسبب الفرق بين نغمات الكمان ؛ فالنغمة الغليظة « دو » قليلة الذبذبات ، والنغمة الدقيقة «سي» كثيرة الذبذبات • ودقة الصوت ، أو غلظه ، صفة صوتية تستعملها بعض اللغات في تمييز صوت عن صوت آخر ،وتستعملها لغات اخرى كالعراقية في تمييز جملة عن جملة اخرى؛ حيث يمكن أن تنطق الجملة [إجا الولد] بنغمة أخيرة دقيقة فتكون الجملة استفهاما ، أو بنغمة غليظة فتكون إخبارا •

«أ»



«ب»



شكل ٣

أ ـ الحنجرة أثناء فتح الأوتار الصوتية

ب ـ الحنجرة أثناء قفل الاوتار الصوتية

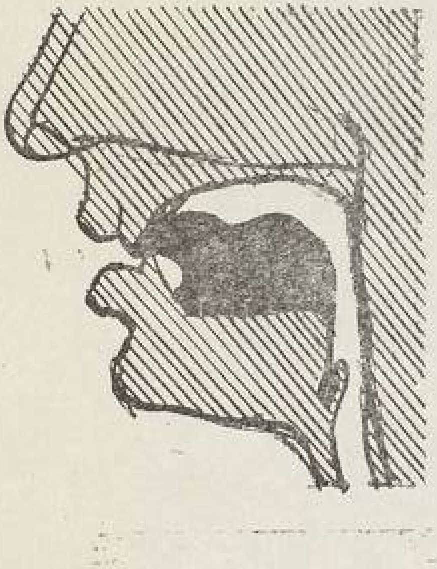
رابعا ـ لسان المزمار : وهو غضروف على شكل اصبع تتصل قاعدته بمؤخرة اللسان ،وتتجه قمته بزاوية الى أعلى • وهو مثبت فوق الحنجرة، بحيث يستطيع اغلاق مجرى الهواء عند عملية البلع ، فيندفع الطعام أو الشراب الى القناة التى تقع خلف القصبة الهوائية ، وهي تسمى بالمرىء ، حيث ينتهي الى المعدة • ولسان المزمار من الناحية اللغوية قليل الاهمية ، فهو يتحرك مع مؤخرة اللسان الى الامام والى الخلف ، مما يؤثر في اتساع الفراغ الذى يوجد فى أسفله لسان الزمار والمسمى بالبلعوم •

خامسا ـ البلعوم : هو الفراغ الواقع خلف اللسان ، والمحصور بين نهاية القصبة الهوائية والتجويف الانفي خلف اللهاة • وهذا الفراغ ثلاثة أقسام :

(آ) البلعوم الحنجرى ـ وهو الجزء الواقع خلف لسان المزمار • ولهذا الجزء أهمية لغوية حيث أن شدة ضيقه تسبب احتكاك الهواء الخارج من القصبة الهوائية ، فنسمع صوتا قد يكون مجهورا وهو العين

العربية ، أو مهموسا وهو الحاء العربية •

(ب) البلعوم الفموى : وهو الجزء الواقع خلف اللســـان وتحت اللهاة • وأهميته الصوتية تنحصر فى أنه قد يضيق نتيجة لتراجع مؤخرة اللسان فيكسب الصوت الخارج الصفة التى نسميها بالتفخيم وقد يتسع نتيجة لتقدم مؤخرة اللسان فيكون الصوت الخارج رقيقا • وعلى هـــذا فالفرق بين «س» و «ص» في العربية ، هو أن البلعوم الفموي فى الاولى متسع وفى الثانية ضيق • وهذا هو نفس الفرق بين «ت» و «ط» وبين الالف فى كلمة (تاب) و (طاب) الخ •



شكل ٤ ب



شكل ٤ أ

شكل ٤ أ ـ وضع اللسان عند النطق بالذال لاحظ تقدم المؤخرة واتساع البلعوم الفموى

شكل ٤ ب ـ وضع اللسان عند النطق بالظاء لاحظ تراجع المؤخرة وضيق البلعوم الفموى •

(ج) البلعوم الانفي : وهو الجزء الواقع خلف اللهاة ، أسفل الفراغ الانفي . وأهميته الصوتية تنحصر فى أنه يكون غرفة رنين عند النطق ببعض الاصوات الفموية المجهورة كالحركة «فتحة» أو الساكن «زْ» فيبدو هذا الصوت أنفيا بعض الشيء .

سادسا ـ اللهاة : وهي عضلة صغيرة ، متصلة بنهاية سقف الحنك. ويمكنك رؤيتها اذا فتحت فمك ونظرت فى المرآة وستجدها مدلاة فى نهاية فمك . ووظيفة اللهاة الصوتية ، هي قفل طريق الهواء الى الانف ، فيندفع عن طريق الفم الى الخارج ويكون الصوت الناتج فمويا ، أو فتح طريق الهواء الى الانف واغلاق طريقه الى الفم ، فيكون الصوت الناتج أنفيا . ويتم ذلك بحركة اللهاة الى الخلف ، حتى تتصل بجدار البلعوم أو بحركتها الى الامام حتى تتصل بقاعدة اللسان .

سابعا ـ التجويف الانفي . وهو فراغ معقد التركيب ، يخرج منه الهواء عندما تغلق اللهاة ممر الهواء في الفم عند النطق بالاصوات الانفية مثل «م» و «ن» .

ثامنا ـ اللسان . هو أهم أعضاء النطق . وهو جسم عضلى عظيم المرونة ، يستطيع الحركة في اتجاهات متعددة . وينقسم الى أربعة أقسام .

(آ) طرف اللسان : ويمكن تشكيله بحيث يكون مدببا . كما يمكنه جعله عريضا أو ملتويا الى أعلى ، أو مده ، حتى يمس الشفتين أو الأسنان. وفي وضع الراحة ، يكون طرف اللسان خلف الاسنان السفلى . وهناك عدد كبير من الاصوات يساهم طرف اللسان فى النطق بها كالتاء والنون والذال والثاء الخ .

(ب) مقدمة اللسان : وهو الجزء الذى يلى طرف اللسان . وتشترك مقدمة اللسان في انتاج عدد من الاصوات . وذلك بأن تلمس أو تقارب

الجزء المقابل لها من سقف الحنك • وذلك مثل الصوت العراقي الذى يوجد في أول كلمة (جگارة) •

(ج) وسط اللسان : وهو الجزء الذى يلي مقدمة اللسان • وهو يساهم في انتاج عدد من الاصوات بقربه أو ملامسته الجزء المقابل له من سقف‌الحنك وذلك مثل صوت الشين العربية •

(د) مؤخرة اللسان : وهى الجزء الخلفى من اللسان • وهو يساهم فى انتاج عدد من الاصوات بقربه أو ملامسته الجزء الرخو من سقف الحنك أو اللهاة • وذلك مثل «الخاء» و «الكاف» فى العربية •

تاسعا ـ سقف الحنك : هو جزء الفم الذى يقابل اللسان وهو أربعة أقسام •

١ ـ اللثة : وهي الجزء الذى يقع خلف الاسنان العليا مباشرة • ويمكن أن تلمسه بطرف لسانك • وستلاحظ أنه بارز يرتفع الى أعلى من الخلف • وتشترك اللثة مع طرف اللسان ، أو مقدمته ، في انتاج عدد من الاصوات مثل التاء والسين والنون الخ •

٢ ـ السقف الصلب : وهو الجزء الذى يقع خلف اللثة • وهو عبارة من قطعة من العظم ، مكسوة بطبقة من اللحم • والسقف الصلب ، مثل اللثة ، في أنه لا يستطيع الحركة • وهو يشترك مع طرف اللسان ومقدمته ووسطه فى انتاج عدد من الاصوات ، مثل (الشين) ، وبعض أنواع التاء واللام والسين •

٣ ـ السقف الرخو • وهو الجزء الذى يلي السقف الصلب • وهو قطعة من اللحم ليس تحتها عظام ومن ثم فهي قابلة للحركة • وتشترك مع مؤخرة اللسان في انتاج عدد من الاصوات مثل الخاء والكاف •

٤ ـ اللهاة : وهي في الواقع جزء من سقف الحنك وقد سبق‌الحديث

عنهـــا •

عاشرا ــ الاسنان : وتشترك مع طرف اللسان في انتاج عـدد من الاصوات ، مثل الثاء والذال والظاء ، كما تشترك الاسنان العليا مع الشفة السفلى فى انتاج بعض الاصوات الاخرى كالفاء •

حادى عشر ــ الشفتان : تشترك الشفة السفلى مع الاسنان العليا ، انتاج بعض الاصوات كالفاء كما ذكرنا كما تنتج الشفتان معا عددا آخـر من الاصوات مثل الميم والباء الخ • هذا وتشترك الشفتان في انتاج الحركات فستديران عند النطق بالضمة وتنفرجان عند النطق بالكسرة في العربية • وتساعد حركة الفك السفلى على مقدار انفراج الشفتين عند النطق ببعض الحركات •

« كيـف تنتـــج الاصـــوات »

يعتمد انتاج أى صوت من الاصوات على ثلاثة امور : اولها الاعضاء التى تتدخل معترضة الهواء الخارج من الرئتين وثانيها الطريقة التى تتدخل بها هذه الاعضاء ، وثالثها الجهر أو الهمس •

وقد تحدثنا فيما مضى عن الاعضاء الصوتية وبقي الآن أن نتحدث عن طرق تدخلها ، وهي كما يلي :ــ

١ ــ عدم التدخل على الاطلاق • ويتم ذلك في حالتـين ، حالـة التنفس ، وحالة النطق بالفتحة ، اذ أن كل ما يحدث ، هو أن يتبـاعـد الفكان ، وينطلق الهواء ، دون تدخل أى عضو من الاعضاء ، فيما عـــدا الاوتار الصوتية التى تتذبذب عند النطق بالحركات •

٢ ــ التدخل بقفل طريق الهواء نهائيا • وتسمى هـــذه العملية (انحباس الهواء) والصوت الناتج عنها يسمى (صوتا انحباسيا) ومثاله : الباء الاخيرة الساكنة في كلمة « كُتُبْ » • وقد يحدث انفجار بعد

الانحباس ويسمى الصوت فيهذه الحالة « انحباسيا انفجاريا » • ومثاله : الباء المسبوقة بحركة والمتبوعة بحركة فى الكلمة « لَبِس » • ويتمثل الانحباس في انطباق الشفتين وحبس الهواء ، والانفجار في افتراقهما وانطلاقه • وقد يحدث انفجار دون انحباس • وذلك اذا ما كانت الشفتان مثلا منطبقتين أثناء السكوت ثم تنطق بالباء المتحركة ، فكل ما يحدث هو افتراق الشفتين عند النطق بالصوت مثل باء « باع » • وعلى سبيل التجاوز تسمى هذه الاصوات بالاصوات الانفجارية بصرف النظر عما اذا كانت انفجارية فقط ، أو انفجارية انحباسية ، أو انحباسية فقط •

٣ ـ التدخل بقفل طريق الهواء قفلا غير تام ، بحيث يحدث الهواء أثناء خروجه احتكاكا مسموعا • وتسمى الاصوات الناتجة على هذا النحو بالاصوات الاحتكاكية • ومثالها الفاء والتاء والظاء والسين •• الخ •

٤ ـ التدخل بقفل طريق الهواء فى الفم ، وفتحه فى الانف بواسطة اللهاة ؛ فيخرج منه الهواء منطلقا • وتسمى الاصوات الناتجة عن هذا بـ « الاصوات الانفية » • ومثالها الميم والنون •

٥ ـ التدخل بقفل أوسط الفم باللسان ، مع السماح للهواء بالخروج من جانبيه • وتسمى الأصوات الناتجة عن هذا التدخل بـ « الاصوات الجانبية » ومثالها اللام •

٦ ـ التدخل بقفل طريق الهواء فى الفم ، ثم اغلاقه ، ثم فتحه واغلاقه مرات متوالية وسريعة • ويسمى الصوت الناتج بهذه الطريقة ، باسم الصوت المتردد • ومثاله الراء العربية المشددة ، أو الساكنة في مثل « الرأى » و « أرض » •

٧ ـ التدخل بقفل طريق الهواء لفترة قصيرة جدا بواسطة لمس اللسان سقف الحنك ، أو اللهاة مؤخرة اللسان • ويسمى الصوت الناتج

عن هذه الطريقة باسم الصوت اللمسى • ومثاله الراء العربية المتحركة فى مثل « فَرَسان » •

٨ ـ التدخل باعتراض طريق الهواء داخل الفم ، دون أن يتسبب ذلك فى احتكاك الهواء احتكاكا مسموعا أثناء خروجه • والاصوات الناتجة تكون عادة مجهورة ، أى أن الاوتار الصوتية تذبذب عند مرور الهواء بها، وهي تسمى بالحركات • وعند النطق بالكسرة مثلا نلاحظ أن مقدمة اللسان ترتفع الى أعلى دون أن تقترب اقترابا شديدا من سقف الحنك الصلب • وعند النطق بالضمة ، نلاحظ أن مؤخرة اللسان ترتفع الى أعلى ، دون أن تقترب اقترابا شديدا من سقف الحنك الرخو •

٩ ـ التدخل بالطريقة المذكورة في رقم (٨) السابق ، ثم تغيير وضع اللسان ، مع عدم حدوث انحباس أو احتكـاك ، أو بعبارة اخرى نطق حركتين متواليتين دون وجود همزة أو صوت آخر بينهما وتسمع فى هذه الحالة الصوت الذى نسميه « ياء » أو الصوت الذى نسميه « واواً » • ومثل هذا الصوت يسمى « نصف حركة » • وقد وضحنا كل هذه الحالات فى الجداول الموجودة فى ص ـ ٩٧

ويمكن وصف الاصوات بذكر العضو أو الاعضاء التى تتدخل لاعتراض طريق الهواء والطريقة التى يتم بها التدخل • وسنعرض الآن لاكثر الاصوات شيوعا فى اللغات الانسانية بالوصف بناء على ما تقدم •

اولاً ـ منطقة الحنجرة : يحدث فيها الى جانب الجهر والهمس[١] الاصوات الآتية :ـ

١ ـ الصوت الحنجري الانفجاري المهموس وهو الهمزة •

---

(١) انظر ص ٨٩ •

(١)

مرور الهواء

- في الأنف (ساكن انفي)
- في الفم
  - بدون توقف
  - مع توقف

(٢)

مرور الهواء في الفم مع توقف

- باللمس
  - ا ـ مرة واحدة (ساكن لمسي)
  - ب ـ اكثر من مرة (ساكن متردد)
- بالحبس والانفجار (ساكن انفجاري)

(٣)

مرور الهواء في الفم بدون توقف

- من جانبي الفم
  - أ ـ مع احتكاك (ساكن جانبي محتك)
  - ب ـ بدون احتكاك (ساكن جانبي غير محتك)
- من مقدمة الفم
  - أ ـ مع احتكاك (ساكن احتكاكي)
  - ب ـ بدون احتكاك (حركة)

٢ ـ الصوت الحنجري الاحتكاكي المجهور ومثاله الهاء المتحركة في العربية في مثل الكلمة « هذا » .

٣ ـ الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس ومثاله الهاء الساكنة في آخر الكلام في العربية مثل « لهْ » .

ثانيا ـ منطقة البلعوم : يحدث في البلعوم الحنجري(٢) الصوتان الآتيان : ـ

١ ـ الصوت البلعومي الاحتكاكي المجهور . ومثاله العين العربية في مثل « عالم » .(٣)

٢ ـ الصوت البلعومي الاحتكاكي المهموس . ومثاله الحاء العربية في مثل « حليم » .

ثالثا ـ منطقة اللهاة . قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتفتح ممره في الفم أو بالعكس ، فتغلق ممره في الفم وتفتح ممره في الانف . وفي كلتا الحالتين قد تلتقي اللهاة بمؤخرة اللسان وتحدث الاصوات الآتية:ـ

١ ـ الصوت اللهوي الانفجاري المجهور ، مثل الصوت الاول في الكلمة العراقية « گلُب » بمعنى « قلب » .

٢ ـ الصوت اللهوي الانفجاري المهموس ، مثل الصوت الاول في الكلمة الفصحى « قلب » .

٣ ـ الصوت اللهوي الاحتكاكي المجهور ، مثل الصوت الاول في الكلمة العراقية « غالى » وفي الكلمة الفصحى « غَيْر »

---

(٢) انظر ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٣) نعنى بنطق الصوت فى العربية نقطة فى الفصحى كما نعرفها اليوم لا كما وضعها علماء اللغة العرب . وسنتعرض للاصوات كما وصفوها فى مكان لاحق .

٤ ـ الصوت اللهوي الاحتكاكي المهموس ، مثل الصوت الاول في الكلمة العراقية « خاله » وفي الكلمة الفصحى « خيْر » .

٥ ـ الصوت اللهوي اللمسى المجهور ولا يوجد في العربية ولكنه شبيه بالصوت الاول في الكلمة العراقية « گلُب » بمعنى « قلب » .

٦ ـ الصوت اللهوي المتردد المجهور وهو صوت نسمعه عند الغرغرة وليس من الاصوات العربية .

وفي هذه الحالات يكون ممر الهواء في الفم مفتوحا وممره في الانف مغلقا .

٧ ـ الصوت اللهوي الانفي المجهور ، ويوجد في العربية الفصحى عند التقاء النون الساكنة بالقاف في مثل « انقلب » .

وفي هذه الحالة يكون ممر الهواء في الانف مفتوحا وممره في الفم مغلقا .

رابعا ـ المنطقة الرخوة من سقف الحنك . قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتفتح ممره في الفم ، أو بالعكس قد تغلق ممره في الفم ونفتح ممره فى الانف وفى كلتا الحالتين قد تلتقي مؤخرة اللسان بالمنطقة الرخوة من سقف الحنك فتنتج الاصوات الآتية : ـ

١ ـ الصوت الرخو الانفجاري المجهور . ومثاله الصوت الاول في الكلمة العراقية « گِلِتْ » بمعنى « قلت » وفي الكلمة المصرية « جمل » .

٢ ـ الصوت الرخو الانفجاري المهموس . ومثاله الصوت الاول في الكلمة العربية « كتاب » .

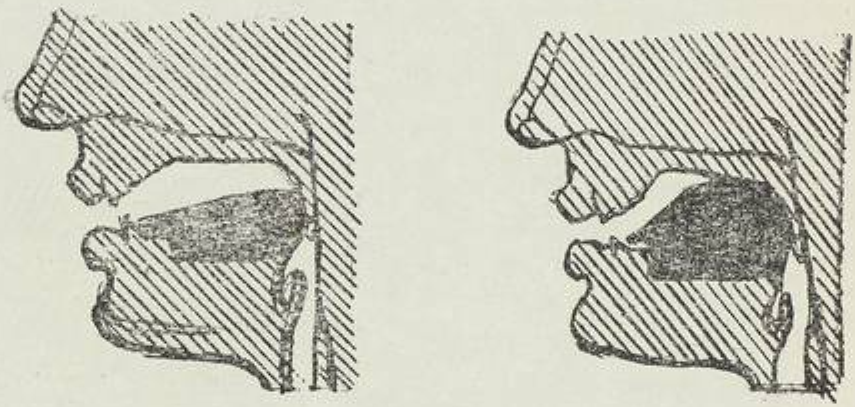
٣ ـ الصوت الرخو الاحتكاكي المجهور ، ومثاله الصوت الاول في الكلمة العراقية والمصرية « غير »

٤ ـ الصوت الرخو الاحتكاكي المهموس ، ومثاله

الصوت الاول في الكلمة العراقية والمصرية « خير » •

وفي كل هذه الحالات يكون ممر الهواء في الانف مقفلا وممره في الانف مفتوحا •

٥ ـ الصوت الرخو الانفي المجهور • ويوجد في العربية الفصحى عند التقاء النون الساكنة بالكاف في مثل « إن كتب » •



(ب) (آ)

شكل رقم «٥»

أ ـ اتصال مؤخرة اللسان بالجزء الرخو من سقف الحنك ب ـ اتصال مؤخرة اللسان بالهاة

خامسا ـ المنطقة الصلبة من سقف الحنك • قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتفتح ممره في الفم أو بالعكس ، فقد تغلق ممره في الفم وتفتح ممره في الانف واذا فتحت ممره في الفم ، فقد يخرج الهواء من جانبي اللسان أو من مقدمته •

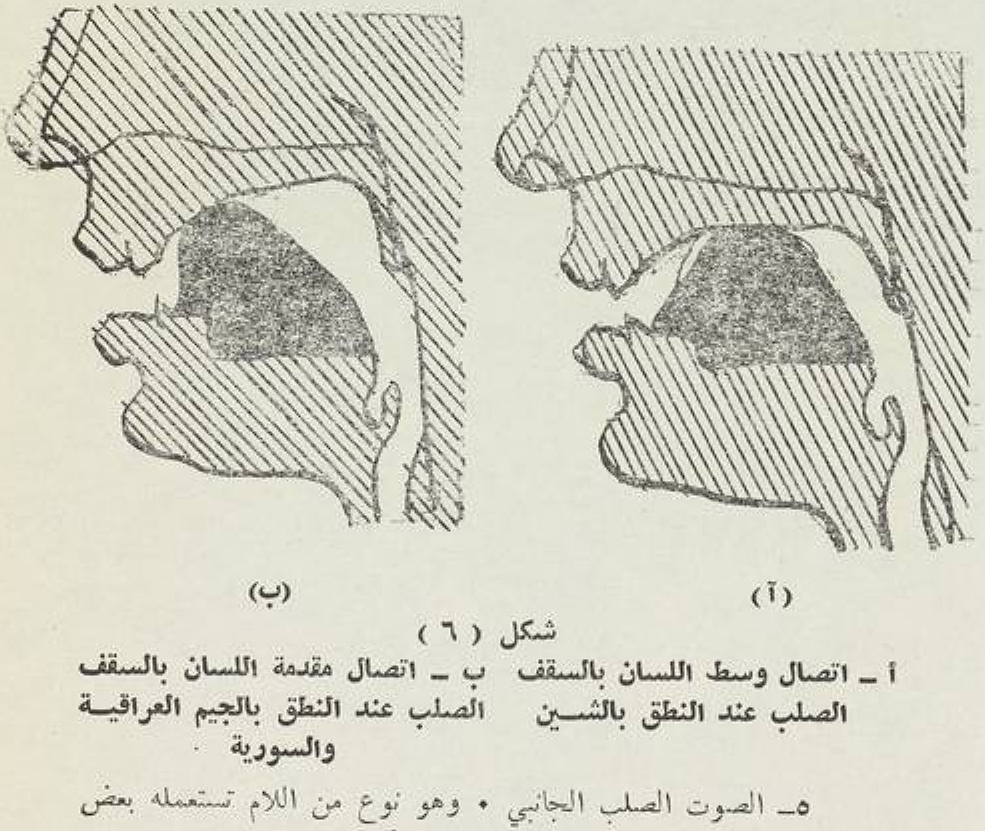
واذا التقى وسط اللسان أو مقدمته بالمنطقة الصلبة من سقف الحنك تنجت الاصوات الآتية : ـ

١ ـ الصوت الصلب الانفجاري المجهور • ويوجد في أول الكلمة العراقية « جيگاره » وأول الكلمة الفصحى « جمل » •

٢ ـ الصوت الصلب الانفجاري المهموس • ويوجد في أول الكلمة العراقية «چاي» ومعناها «شاي بالمصرية» وأول الكلمة الانجليزية "Chair".

٣ ـ الصوت الصلب الاحتكاكي المجهور ويوجد في أول الكلمة «جمل» بالنطق السوري • وفيها تتصل مقدمة اللسان بالسقف الصلب •

٤ ـ الصوت الصلب الاحتكاكي المهموس • ويوجد في أول الكلمة العربية « شمس » • وفي كل هذه الحالات يخرج الهواء من الفم فوق مقدمة اللسان •



(ب) (آ)

شكل (٦)

أ ـ اتصال وسط اللسان بالسقف الصلب عند النطق بالشين

ب ـ اتصال مقدمة اللسان بالسقف الصلب عند النطق بالجيم العراقية والسورية .

٥ ـ الصوت الصلب الجانبي • وهو نوع من اللام تستعمله بعض المغنيات المصريات في النطق باللام في كلمة « لأ »

٦ ـ الصوت الصلب الانفي المجهور • ويوجد في اللغة العربية عند النطق بالنون الساكنة اذا أتت بعدها ياء ، في مثل « أن يكون »

سادسا ـ منطقة مقدمة الجزء الصلب ومؤخرة اللثة • وفيها ينتج الصوتان الآتيان :

١ ـ الصوت الصلب اللثوي الاحتكاكي المجهور • وعند النطق به يتصل وسط اللسان بالجزء الامامي من السقف الصلب والجزء الخلفي من اللثة • وهذا الصوت نوع من الجيم السورية ولكنه قريب من صوت الزاي •

٢ ـ الصوت الصلب اللثوى الاحتكاكي المهموس • وعند النطق به يتصل وسط اللسان بالجزء الامامي من السقف الصلب والجزء الخلفي من اللثة • وهو نوع من الشين ولكنه قريب من السين •

سابعا ـ منطقة مؤخرة اللثة والجزء الامامي من السقف الصلب • وفيها ينتج الصوتان الآتيان : ـ

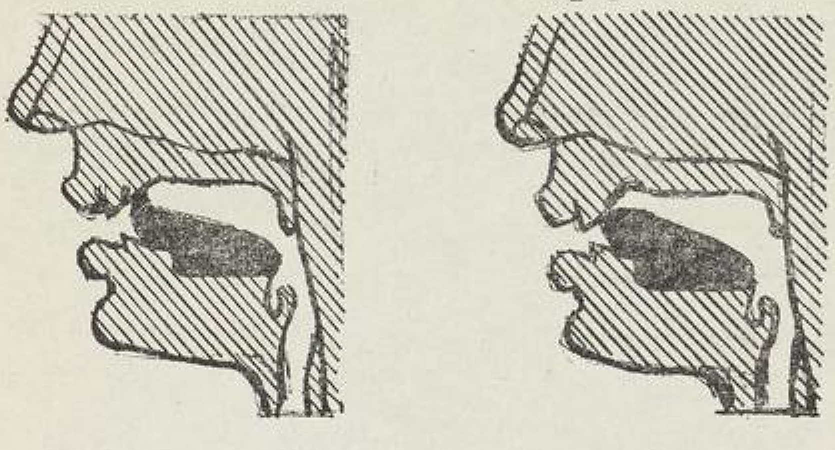
١ ـ الصوت اللثوي الصلب الاحتكاكي المجهور • وعند النطق به تتصل مقدمة اللسان باللثة والجزء الامامي من السقف الصلب • وهـــذا الصوت نوع من الزاي تقرب الجيم السورية •

٢ ـ الصوت اللثوي الصلب الاحتكاكي المهموس • وعند النطق به تتصل مقدمة اللسان باللثة والجزء الامامي من السقف الصلب • وهذا الصوت نوع من السين تقرب من الشين •

ثامنا ـ منطقة اللثة • قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتفتـح ممره في الفم أو بالعكس فقد تغلق ممره في الفـم ويخـرج الهـواء من جانبي اللسان أو من فوق مقدمته •

وفي هذه الحالات يلتقي طرف اللسان باللثـة باحدى طريقتـين ، الاولى يكون فيها ملتويا الى أعلى ويلمس اللثة من الخلف وتسمى الاصوات فى هذه الحالة بالاصوات الالتوائية الخلفية • وهي الاصوات الآتية : ـ

١ ـ الصوت الالتوائي الانفجاري المجهور ـ وهو الدال في نطق الهنود
٢ ـ الصوت الالتوائي الانفجاري المهموس ـ وهو التاء في نطق الهنود
٣ ـ الصوت الالتوائي الاحتكاكي المجهور ـ وهو الزاي في نطق الهنود
٤ ـ الصوت الالتوائي الاحتكاكي المهموس ـ وهو السين في نطق الهنود
٥ ـ الصوت الالتوائياللمسى المجهور ـ وهو الراء في نطق الهنود
وفي كل هذه الحالات يخرج الهواء من الفم فوق مقدمة اللسان
٦ ـ الصوت الالتوائي الجانبي المجهور ـ وهو اللام في نطق الهنود
٧ ـ الصوت الالتوائي الانفي المجهور ـ وهو النون في نطق الهنود
وفي هذه الحالة يخرج الهواء من الممر الانفي لا من الفم •



شكل رقم (٧)

أ ـ وضع اللسان ملامسا للثة دون التواء خلفي

ب ـ وضع اللسان ملامسا للثة مع التواء خلفي

أما الطريقة الثانية فيكون فيها طرف اللسان غير ملتو ويلمس اللثة عند منبت الأسنان • وتسمى الاصوات في هذه الحالة لثوية•وهي ما يأتي:ـ

١ ـ الصوت اللثوي الانفجاري المجهور ـ وهو الدال العربية
٢ ـ الصوت اللثوي الانفجاري المهموس ـ وهو التاء العربية

٣ ـ الصوت اللثوي الاحتكاكي المجهور ـ وهو الزاي العربية

٤ ـ الصوت اللثوي الاحتكاكي المهموس ـ وهو السين العربية

٥ ـ الصوت اللثوي الاحتكاكي الجانبي المجهور ـ وهوالراء في الانجليزية البريطانية •

٦ ـ الصوت اللثوي اللمسى المجهور ـ وهو الراء المتحركة غير المشددة في العربية في مثل الكلمة (ربح) وفيها يلمس اللسان اللثة لمسة سريعة •

٧ ـ الصوت اللثوي المتردد المجهور ـ وهو الراء الساكنة والمشددة في العربية • وفيها يلمس اللسان اللثة لمستين أو ثلاث لمسات متوالية • وفي كل هذه الحالات يخرج الهواء من الفم فوق مقدمة اللسان •

٨ ـ الصوت اللثوي الجانبي المجهور ـ وهو اللام العربية ، وفيها يخرج الهواء من الفم من جانبي اللسان •

٩ ـ الصوت اللثوي الجانبي المحتك المجهور ـ وهو صوت ينطق به من يلثغ في النطق بالزاي • وليس من الاصوات العربية(*) •

١٠ـ الصوت اللثوي الجانبي المحتك المهموس ـ وهو صوت ينطق به من يلثغ في النطق بالسين • وليس من الاصوات العربية •

١١ ـ الصوت اللثوي الانفي المجهور ـ وهو النون العربية ، وفيها يخرج الهواء من الأنف نظرا لقفل ممره في الفم •

سابعا ـ منطقة الاسنان : يوضع طرف اللسان بين الاسنان السفلى والعليا • وينتج عن ذلك الصوتان الآتيان :ـ

١ ـ الصوت الاسناني الاحتكاكي المجهور ـ وهو الذال في العربية الفصحى •

٢ ـ الصوت الاسناني الاحتكاكي المهموس ـ وهو الثاء في العربية الفصحى وقد تلتقي الشفة السفلى بالاسنان العليا ، فينتج الصوتان الآتيان :ـ

(*) الظاهر من وصف العرب لصوت الضاد القديمة انها النظير المفخم لهذا الصوت •

١ ـ الصوت الشفوي الاسناني الاحتكاكي المجهور ـ وهو « V » فى الانجليزية في مثل الكلمة "Very" .

٢ ـ الصوت الشفوي الاسناني الاحتكاكي المهموس ـ وهو الفاء العربية •

ثامنا ـ منطقة الشفتين : وتحدث الاصوات فيها بلمس الشفتين احداهما للاخرى مسببة الاصوات الآتية :ـ

١ ـ الصوت الشفوي الثنائي الانفجاري المجهور ـ وهو الباء العربية •

٢ ـ الصوت الشفوي الثنائي الانفجاري المهموس " P " في الانجليزية ويوجد كذلك في أول الكلمة العراقية «پاچه» اسم طعام شعبي معروف •

٣ ـ الصوت الشفوي الثنائي الاحتكاكي المجهور ـ وينطق بـه بعض الفرس باعتباره واواً •

٤ ـ الصوت الشفوي الثنائي الاحتكاكي المهموس ـ وهو يشبه الصوت الذي نسمعه عندما نطفىء الشمعة أو المصباح النفطي •

وفي هذه الحالات يخرج الهواء من الفم لسد ممره في الانف •

٥ ـ الصوت الشفوي الثنائي الانفي المجهور ـ وهو الميم في العربية •

السواكن المفخمة :

لم نذكر فيما مر سوى الاصوات التى يألفها القارىء العربي • ولكنا قد أغفلنا ذكر الاصوات المفخمة ، وهي من الاصوات الهامة في اللغة العربية ولهجاتها • والصوت المفخم لا يفترق عن نظيره غير المفخم من الناحيـة الأدائية الا في تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي • والاصوات المفخمة في العربية(٤) هي :ـ

أ ـ الصوت اللثوي الانفجاري المهموس ـ وهو الطاء في مثل « طاب » ونظيره المفخم وهو الصوت اللثوى الانفجارى المهموس ـ وهــو التاء في مثل « تاب » •

---

(٤) نعنى بها الفصحى والمصرية والعراقية •

ب ـ الصوت اللثوي الانفجاري المجهور المفخم ـ وهو الضاء في النطق المصرى في مثل « ضل » • ونظيره غير المفخم هو الصوت اللثوى الانفجارى المجهور وهو الدال في مثل « دل » •

حـ ـ الصوت اللثوي الاحتكاكي المجهور المفخم ـ وهو الظاء في النطق المصري في مثل « ظن » • ونظيره غير المفخم هو الصوت اللثوي الاحتكاكي المجهور وهو الزاي في مثل « زانْ » •

د ـ الصوت اللثوي الاحتكاكي المهموس المفخم وهو الصاد في مثل «صاد» ونظيره غير المفخم الصوت اللثوي الاحتكاكي المهموس وهو السين في مثل « ساد » •

هـ ـ الصوت الاسناني الاحتكاكي المجهور المفخم ـ وهو الظاء في النطق الفصيح والنطق العراقي في « ظَلّ » •

ونظيره غير المفخم الصوت الاسناني الاحتكاكي المجهور ـ وهو الذال في النطق الفصيح والعراقي في مثل « ذَلّ » •

وقد فرقت الكتابة العربية بين السواكن الفصحى المفخمة وغير المفخمة فوضعت رموزا « حروفاً » خاصة للظاء والطاء والصاد والضاد تختلف عن رموز الزاي والتاء والسين والدال •

« الحركـات »

ذكرنا فيما مضى أن الاعضاء الصوتية قد لا تدخل في طريق الهواء الخارج من الفم تدخلا يسبب احتكاكا مسموعا • وفي هذه الحالة يحدث أحد أمرين •

أ ـ ألا تهتز الاوتار الصوتية وهذا في حالة التنفس •

ب ـ أن تهتز الاوتار الصوتية ، فيكون الصوت المسموع حركة •

ويمكن وصف الحركات بذكر ثلاثة أمور هي : ـ

أ ـ مقدار بعد الفك الاسفل عن الفك الاعلى •

ب ـ جزء اللسان الذي يكون مرتفعا داخل الفم(٥) •

حـ ـ مقدار استدارة الشفتين أو انفراجهما •

وسنذكر هنا بعض الحالات القياسية لهذه الاوضاع العضوية •

أولا ـ الاتساع التام • تكون المسافة بين الفك الاسفل والاعلى أوسع ما يمكن • وتتسع عادة لوضع ثلاثة أصابع بين الاسنان العليا والسفلى • ويمكن فى هذه الحالة أن تنطق بالحركات الآتية : ـ

١ ـ اذا كان اللسان في أسفل الفم تماما ومقدمته أعلى نقطة فيه وكانت الشفتان منفرجتين نتجت الحركة الآتية : ـ

الحركة الواسعة الامامية : وتسمى واسعة لاتساع الفكين ، وأمامية لان أعلى نقطة في اللسان هي مقدمته • ومثالها الفتحة الطويلة في الكلمة العراقية « بانكه » و « باچه » •

٢ ـ اذا كان اللسان في أسفل الفم تماما ، ولكن مؤخرته ترتفع قليلا فى اتجاه السقف الرخو ، مما يسبب تراجعها للخلف وضيق البلعوم الفموي ، نتجت الحركة التالية :ـ

الحركة الواسعة الخلفية ، لاتساع الفكين وكون مؤخرة اللسان أعلى نقطة فيه • ومثالها الحركة الطويلة في الكلمة العراقية « خاله » والكلمة الفصحى « طالب » والفتحة القصيرة فى « گلب » العراقية (بمعنى قلب) و « طلب » الفصحى •

ثانيا ـ نصف الاتساع • تكون المسافة بين الفكين بحيث تتسع لوضع اصبعين فقط بين الاسنان السفلى والعليا • ويمكن فى هذه الحالة النطق بالحركات الآتية : ـ

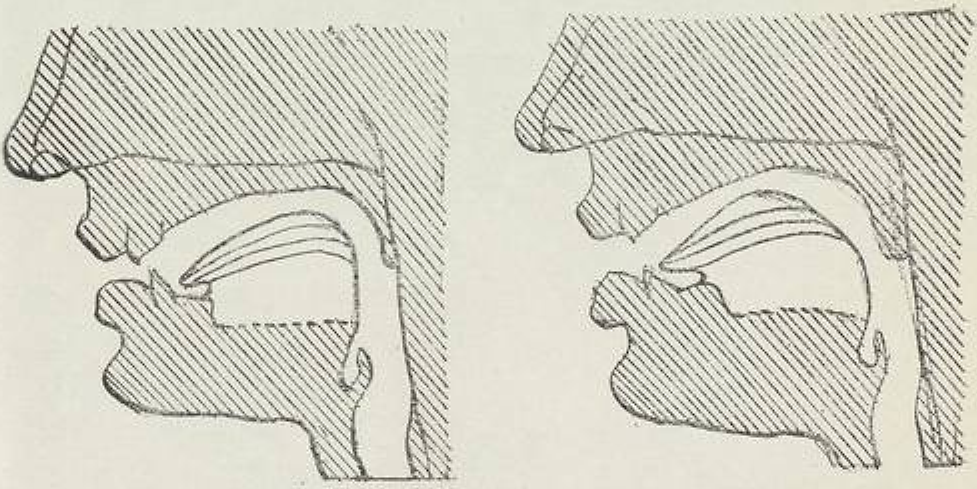
---

(٥) يرتفع الجزء الامامى من اللسان فى اتجاه الجزء الصلب من سقف الحنك ويرتفع الجزء الخلفى فى اتجاه الجزء الرخو منه •

١ ـ الحركة نصف الواسعة الامامية . ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمقدمته في اتجاه الجزء الصلب من سقف الحنك الى الثلث الاسفل من البعد الكلي . أما الشفتان فتكونان منفرجتين . وتشبه هذه الحركة الفتحة التي توجد بعد الحاء والسين في الكلمة المصرية « حسن » .

٢ ـ الحركة نصف الواسعة الخلفية ، ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمؤخرته في اتجاه الجزء الرخو من سقف الحنك الى الثلث الاسفل من البعد الكلى . أما الشفتان فتكونان مستديرتين بحيث تتسع استدارتهما لوضع أصبعين بينهما .

ومثالها الحركة الموجودة في الكلمة " got " بالنطق الامريكي والحركة الطويلة التي بعد الخاء في كلمة « خالد » كما ينطقها أهل عانة بالعراق .



شكل رقم (٨) أ ، ب

شكل ٨ أ — **أوضاع اللسان في الحركات الامامية**

شكل ٨ ب — **أوضاع اللسان في الحركات الخلفية**

ثالثا ـ نصف الضيق • تكون المسافة بين الفكين بحيث تسع لوضع اصبع واحد بين الاسنان السفلى والعليا • ويمكن في هذه الحالة النطق بالحركات الآتية :ـ

١ ـ الحركة نصف الضيقة الامامية • ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمقدمته في اتجاه الجزء الصلب من سقف الحنك الى الثلثين من المسافة الكلية • أما الشفتان فتكونان منفرجتين • وتشبه هذه الحركة ، الفتحة الممالة التي بعد الفاء في الكلمة المصرية «فين»[٦] •

٢ ـ الحركة نصف الضيقة الخلفية • ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمؤخرته في اتجاه الجزء الرخو من سقف الحنك الى الثلثين من المسافة الكلية • وتكون الشفتان مستديرتين بحيث يتسع الفراغ بينهما لوضع اصبع واحد بينهما • ومثالها الضمة الطويلة في الكلمة المصرية والعراقية « لُوم » •

رابعا ـ الضيق التام • وتكون المسافة بين الفكين منعدمة بحيث تكاد الاسنان السفلى تلمس الاسنان العليا • ويمكن في هذه الحالة النطق بالحركات الآتية : ـ

١ ـ الحركة الضيقة الامامية ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمقدمته بحيث يكاد يلامس الجزء الصلب من سقف الحنك ، دون أن يسمع أي احتكاك عند خروج الهواء • وتكون الشفتان منفرجتين تماما • ومثالها الكسرة بعد الباء في « بنت » في النطق المصري والعراقي •

٢ ـ الحركة الضيقة الخلفية • ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمؤخرته بحيث يكاد يلامس الجزء الرخو من سقف الحنك ، على

---

(٦) لا تنطق هذه الكلمة بنفس الطريقة التى ينطق بها العراقيون كلمة « وين » كما سترى •

ألا يسبب ذلك احتكاكا مسموعا • وتكون الشفتان مستديرتين بحيث تتسعان لوضع طرف الاصبع الصغير • ومثالها الضمــة الطويلة في فعل الامر « فوت » فى المصرية والعراقية •

خامسا ـ الوضع المتوسط • وتكون المسافة بين الفكين نصف المسافة الكلية ويكون اللسان كذلك مرتفعا في منتصفه الى نصف المسافة الكليــة داخل الفم ، وتكون الشفتان فيحالة متوسطة بينالاستدارة التامة والانفراج التام • وتسمى الحركة الناتجة في هذه الحالة بالحركة المركـزيـة أو المتوسطة • ومثالها الحركة الاخيرة التى تدل على التأنيث فى الاســماء العراقية مثل « نايمه » « صايحه » « ساجده » الخ •

ملاحظـــات :

١ ـ من الممكن فى الحالات السابقة أن تستدير الشفتان مع الحركات التى لم نقل باستدارة الشفتين فيها أو بالعكس ، فلا تستديران في الحركات التى ذكرنا أنهما مستديرتان عند النطق بها • ولم نذكر هذه الحالات لعدم وجود أمثلة لها في العربية •

٢ ـ الحركات التى وصفناها تسمى بالحركات المعيارية وتقاس عليهـــا الحركات فى اللغات المختلفة • وقد مثلنا لها بحركات عربية مألوفة• وذلك بالرغم من أن الحركات العربية لا تماثلها تمام المماثلة ولكنها قريبة منها • ولابد لمن يريد معرفة القيم الصوتية لهذه الحركـات من مراجعة كتاب خاص في علم الاصوات والقيام بتدريبات سمعية كافية(٧) •

٣ ـ السواكن والحركات التى سبق وصفهـا هى تلك التى توجـد في القائمة التى أقرتها الجمعية الدولية للدراسات الصوتية • وقــد

---

(٧) انظر كتابنا « اصوات اللغة » وقد فصلنا فيه كل ذلك •

مثلنا لها بأقرب شبيه لها فى العربية •

الحركات المزدوجة وانصاف الحركات

عند النطق بحركة ما يتخذ اللسان وضعا معينا داخل الفم ثم يغيره عند الوقف أو عند النطق بساكن بعد الحركة • وقد يحدث أن يغير اللسان وضعه عند النطق بالحركة ، فينتقل الى وضع جديد ينتج فيه حركة ثانية • ويمكن للقارىء أن يدرك هذه الحالة الاخيرة بأن ينطق بضمه طويلا مثلا ثم ينطق بعدها بفتحة دون توسط ساكن أو سكوت بينهما • وسيلاحظ أنه يسمع صوت الضمه وصوت الانتقال منها الى الحركة التي تليها ثم صوت الفتحة •

وفي اللغة العربية الفصحى من انصاف الحركات الواو والياء المتحركتان في مثل « وَعَد » و « يَعِد » • والواو المفتوحة في « وَعَد » عبارة عما يأتي : ـ

١ ـ حركة ضيقة خلفية مستديرة (ضمة) •

٢ ـ صوت انتقالي (واو) •

٣ ـ حركة واسعة أمامية (فتحة) •

ومجموع هذه الامور الثلاثة تسمى حركة مزدوجة أما الصوت الانتقالي فنصف الحركة الذى نسميه بالواو •

والياء المفتوحة في « يعد » تتكون من الآتي :ـ

١ ـ حركة ضيقة أمامية (كسرة)

٢ ـ صوت انتقالي (ياء)

٣ ـ حركة واسعة أمامية (فتحة)

ومجموع هذه الامور الثلاثة تسمى حركة مزدوجة • أما الصوت الانتقالي الذى بين الحركتين فنصف الحركة الذى نسميه بالياء •

ويمكن تعريف الحركة المزدوجة بأنها حركتان متواليتان تكـون احداهما فى العادة قصيرة جدا . أما نصف الحركة فيعرف بأنه الصوت الذى يسمع عند الانتقال من النطق بحركة الى النطق بحركـة اخرى . والحركات المزدوجة على أنواع هي : ـ

أولا ـ الحركات المزدوجة المتقدمة . وهي الحركات المكونة من جزئين أولهما حركة خلفية وثانيهما حركة أمامية . وقد تكون هـــذه الحركات مستوية أو صاعدة أو هابطة .

أ ـ الحركات المزدوجة المتقدمة المستوية . وهي التي يكون جزؤهـا الاول حركة خلفية وجزؤها الثانى حركة أمامية وهما يتساويان في الاتساع أو الضيق وهي الحركات المزدوجة الآتية : ـ

١ ـ التي جزؤها الاول حركة خلفية واسعة والثاني أمامية واسعة

٢ ـ التي جزؤها الاول حركة خلفية نصف واسعة والثاني أمامية نصف واسعة .

٣ ـ التي جزؤها الاول حركة خلفية نصف ضيقة والثاني أمامية نصف ضيقة .

٤ ـ التي جزؤها الاول حركة خلفية ضيقة والثاني أمامية ضيقة

ب ـ الحركات المزدوجة المتقدمة الصاعدة . وهي التي يكون جزؤهـا الاول حركة خلفية ، والثاني حركة أمامية أضيق من الجزء الاول وهي الحركات المزدوجة التالية : ـ

١ ـ التي جزؤها الاول حركة واسعة خلفية والثاني نصف واسعة ضيقة أو ضيقة .

٢ ـ التي جزؤها الاول حركة نصف واسـعة والثاني نصف ضيقـة أو ضيقـة .

٣ ـ التي جزؤها الاول حركة نصف ضيقة والثاني ضيقة .

ثانيا ـ الحركات المزدوجة المتراجعة • وهي التي تكون من جزئين أولهما حركة أمامية وثانيهما حركة خلفية • وهذه الحركات قد تكون مستوية أو صاعدة أو هابطة •

أ ـ الحركات المزدوجة المتراجعة المستوية : وهى التى يكون جزؤها الاول حركة امامية والثانى حركة خلفية على أن يتساويا في الاتساع أو الضيق • وهي الحركات المزدوجة الآتية : ـ

١ ـ التى جزؤها الاول حركة امامية واسعة والثانى حركة خلفية واسعة •

٢ ـ التي جزؤها الاول حركة امامية نصف واسعة والثانى حركة خلفية نصف واسعة •

٣ ـ التى جزؤها الاول حركة امامية نصف ضيقة والثانى حركة خلفية نصف ضيقة •

٤ ـ التى جزؤها الاول حركة أمامية ضيقة والثاني حركة خلفية ضيقة •

ب ـ الحركات المزدوجة المتراجعة الصاعدة : وهي التي يكون جزؤها الاول حركة امامية والثانى حركة خلفية أضيق من الجزء الاول ، وهي الحركات المزدوجة الآتية :ـ

١ ـ التى جزؤها الاول حركة أمامية واسعة والثانى حركة خلفية نصف واسعة أو نصف ضيقة أو ضيقة •

٢ ـ التي جزؤها الاول حركة أمامية نصف واسعة والثانى حركة خلفية نصف ضيقة أو ضيقة •

٣ ـ التى جزؤها الاول حركة أمامية نصف ضيقة والثانى حركة خلفية ضيقة •

ج ـ الحركات المزدوجة المتراجعة الهابطة : وهي التي يكون جزؤها الاول حركة امامية والثاني حركة خلفية أوسع من الجـزء الاول • وهي الحركات المزدوجة التالية :ـ

١ ـ التي جزؤها الاول حركة امامية ضيقة والثانى حركة خلفيـة نصف ضيقة أو نصف واسعة أو واسعة •

٢ ـ التي جزؤها الاول حركة امامية نصف ضيقة والثانى حركـة خلفية نصف واسعة أو واسعة •

٣ ـ التي جزؤها الاول حركة امامية نصف واسعة والثانى حركـة خلفية واسعة •

الرموز الصوتيـة

اولا ـ الرموز الاساسية :ـ

وصـفنا فيمـا سبق أكثـر السواكن والحـركات شيوعا فى اللغـات المعروفـة ، وبقـي علينـا أن نقـدم الرمـوز التي تكتب بهـا هـذه الاصـوات • وقـد ابتكرت الجمعيـة الدولية للدراسات الصوتية (Association Phonétique International) ، التي أسست في فرنسا سنة ١٨٨٦م والتي لا تزال موجودة حتى اليوم ، قائمة بالرموز التي خصصت كلا منها لصوت من الاصوات التي أسلفنا وصفها • وبطبيعة الحال اختارت الجمعية هـذه الرموز من بين الحروف اللاتينية التي تكتب بهـا اللغات الاوربية المختلفة •

والغرض من هذه الرموز توحيد الرموز الكتابية التي يستعملها علماء الاصوات فى دراساتهم للهجات واللغات المختلفة ، مما يوفر عليهم مشـقة وصف الاصوات كل على حدة • وقد كانت العادة المتبعة من قبل أن يقـدم مؤلفو الكتب اللغوية لكتبهم ، وخاصة اذا كانت اللغة التي يكتبون عنها لغة غير مشهورة ، بوصف لأصواتها يستعينون فيه بمقارنتها بأصوات قريبة منها في لغة مشهورة ، فيقولون مثلا ان «الجيم» في لهجة صعيد مصر مثل الصوت الاول فى كلمة (Jug) الانكليزية ، وأن الجيم القاهرية مثل الصوت الاخير منها • وبالرغم من ان هذا الوصف قد يفيد المتعلم العادى فانه عديم الدقة لا يكفي بحاجة الباحث الصوتي • والرموز الصوتية التي نوردها هنا وسيلة دقيقة وهينـة لتسجيل ما يصادف الباحث الصوتي من أصوات أو صفات صوتية •

ولما كان القارىء العربي يصادف صعوبة في قراءة هذه الرموز ، فقد اخترنا نظائر للرموز التى ابتكرتها الجمعية من بين الحـروف العربيـة سنقدمها للقارىء مع رموز الجمعية فى الجدول التالى •

Consonants السواكن	Bilabial شفوي ثنائي	Labiodental شفوي أسناني	Dental and Alveolar أسناني ولثوي	Retroflex التفافي	Palato-alveolar لثوي حنكي	Alveolo-palatal حنكي لثوي	Palatal حنكي	Velar رخو	Uvular لهوي	Pharyngal حلقي	Glottal حنجري
Plosive انفجاري	p b ب ب		t d ت د	ʈ ɖ			c ɟ	k g ك گ	q ɢ		ʔ ء
Nasal أنفي	m م	ɱ م	n ن	ɳ ں			ɲ	ŋ	ɴ		
Lateral جانبي			l ل	ɭ ل			ʎ ل				
Lateral fricative جانبي محتك			ɬ ɮ								
Rolled متردد			r ر						ʀ ر		
Flapped لمسي			ɾ ر	ɽ ر					ʀ ر		
Fricative احتكاكي	ɸ β	f v ف ڤ	ɹ | s z | θ ð ر | س ز | ث ذ	ʂ ʐ	ʃ ʒ ش ج	ɕ ʑ ش ج	ç j ش ی	x ɣ خ غ	χ ʁ خ غ	ħ ʕ ح ع	h ɦ ه ه
Semi-vowells نصف حركة	w | ɥ و	ʋ	ɹ				j (ɥ) ی	(w) ɰ (و) غ	ʁ غ		

Vowells الحركات	Rounded مستدير	Back Centr Front أمامي مركزي خلفي
Close ضيق	(u ʉ y) و و	u ɯ ʉ ɨ y i و و ی ی
Half-close نصف ضيق	(o ø) و	o ɤ ø e ə و و ی ی
Half-open نصف واسع	(ɔ œ) ا	ɔ ʌ œ ɛ ا ا
Open واسع	(ɒ) ا	ɒ ɑ a ا ا

ويلاحظ ما يأتي : -

١ - للحركات ثلاثة أعمدة فقط ، العمود الشفوي وتستدير الشفتان عند النطق بالحركات الموجودة فيه ، والعمود الصلب والعمود الرخو ويعينان موضع اللسان • ولا يكفي وصف حالة الشفتين لتحديد نوع الحركة ، بل لابد الى جانب هذا من وصف موضع اللسان ايضا • ومن أجل ذلك يجد القارىء الحركات الموجودة فى العمود الشفوي موجودة ايضا فى العمود الصلب أو العمود الرخو •

٢ - رتبت الحركات فى العمودين الصلب والرخو بحيث توجد احيانا حركتان متجاورتان • والحركة التي على اليسار من الحركتين المتجاورتين شفوية • ولذا توجد في نفس الوقت في العمود الشفوي •

٣ - توجد بعض الحركات التي تتوسط بين العمود الصلب والعمود الرخو وتظهر فى الجدول فى موضع متوسط وتسمى بالحركات الوسطى • ومن هذه الحركة (ə) وتسمى بالحركة المركزية لانها تقع فى مركز منطقة الحركات •

ثانيا - الرموز الثانوية :

قد يكون فى الصوت الى جانب الصفات التى يعينها جدول الرموز السابق صفات ثانوية أخرى • وعلى سبيل المثال يمكن ان توصف « الطاء » فى العراقية بانها « ساكن لثوى انفجار مهموس مفخم » • ولكن هذا الوصف نفسه ينطبق على الطاء في اللهجة المصرية • ومع هذا فمن الممكن للسامع ادراك الفرق بين هاتين الطائين • وهذا الفرق عبارة عن وجود احتكاك بلعومي قليل يحدث بعد الانفجار في الطاء العراقية • وهذا الاحتكاك البلعومي يعتبر صفة ثانوية • كذلك يدرك السامع الفرق بين الفتحة الطويلة في الكلمة « بات » والكلمة « مات » وهذا الفرق عبارة عن رنين أنفي يحدث

في الفتحة الطويلة في « مات » ولا يحدث في « بات » • وهذا الرنين الانفي يعتبر كذلك صفة ثانوية • وقد حصرت الجمعية الصوتية الدولية هــذه الصفات الثــانوية ، ووضعت لكل منها علامة تكتب مع الرمــز الدال على الصوت • وهذه العلامات أو الرموز الثانوية هي ما يأتي : ـ

١ ـ الانفيــة • ويـرمـز لهــا بمـدة توضـع فـوق الصـوت ومثاك ذلك (آ) وهي فتحة طويلة انفية •

٢ ـ الهمس • وقد يعرض للصوت المجهور في ظرف خاص ويرمز لذلك بوضع هذه العلامة (٥) تحت الصوت أو بعده •

٣ ـ الجهر • وقد يعرض للصــوت المهموس في ظرف خاص • ويرمز لذلك بوضع العلامة (٧) تحت الصوت أو بعده •

٤ ـ المركزية • وهي عبارة عن ميل اللسان نحو وسط الفــراغ الفموي • ويرمز لذلك بوضع العلامة (••) فوق الصوت •

٥ ـ ضيق الحركة• اذا كانت الحركة أضيق من احدى الحركات التي وصفت عند ذكر الحركات (واسعة ، نصف واسعة ، ونصف ضيقة الخ) رمز لذلك بوضع (┴) تحت رمز الحركة أو بعده •

٦ ـ اتساع الحركة • اذا كانت الحركة أوسع من احدى الحركات التي ذكرناها (ضيقة ، نصف واسعة) رمز لذلك بوضع (T) تحت رمــز الحركة أو بعده •

٧ ـ تقدم اللسان • اذا كان اللسان اكثر تقدما من الوضع المفروض لنطق الصوت رمز لذلك بالعلامة (+) توضع تحت رمز الصوت أو بعده •

٨ ـ تراجع اللسان • اذا كان اللسان أكثر خلفيه من الوضــــع المفروض لنطق الصوت رمز لذلك بالعلامة (-) توضع تحت رمز الصوت أو فوقه •

٩ ـ النطق الاسنانى • اذا كان طرف اللسان يلامس اللثة والاسنان أو الاسنان فقط ، مع ان المفروض في أوصافنا السابقة للاصوات ان الصوت لثوى رمز لذلك بالعلامة (͏̪) تحت الصوت أو فوقه •

١٠ ـ الشفوية • اذا استدارت الشفتان عند النطق بصوت لاتستدير فيه طبقا لاوصافنا السابقة رمز لذلك بالعلامة (د) توضع تحت الرمز أو فوقه •

١١ ـ زيادة استدارة الشفتين • اذا كانت الشفتان تستديران عند نطق صوت اكثر مما هو مذكور فىالاوصاف السابقة ، رمز لذلك بالعلامة (توضع بعد الرمز أو تحته •

١٢ ـ زيادة انفراج الشفتين • اذا كانت الشفتان تنفرجان عند نطق صوت اكثر مما هو مذكور في الاوصاف السابقة ، رمز لذلك بالعلامة (٢) بعد رمز الصوت أو تحته •

١٣ ـ نفس خفيف • بعد انفجار السواكن الانفجارية المهموسة ، قد ينطلق نفس خفيف • ويرمز لذلك بالعلامة (ه) فوق الرمز •

١٤ ـ همزة ثانوية • قد ينطق الصوت الانفجاري (غير الهمزة) مع انفجار حنجري الى جانب انفجاره • ويرمز لذلك بوضع همزة صغيرة فوق الرمز • مثل ك ساكن مهموس ذو انفجار مزدوج أحدهما في الحنجر وثانيهما في السقف الرخو • وقد يحدث انفجار حنجري عند النطق بحركة ما • ويرمز لذلك بنفس هذه العلامة مثل :

(أ) حركة أمامية نصف واسعة مع انفجار حنجري •

١٥ ـ الازدواج الصوتى • قد ينطق صوتان معا فى نفس الوقت ويرمز لذلك بكتابة الصوتين ووضع قوس فوقها أو تحتهما •

اذا كان أثر الصوت الثاني في الحالة السابقة قليلا كتب الصوت

الثاني بحرف صغير فوق الحرف الذي يرمز للصوت الاول .

١٦ - الاعلام . توضع العلامة ✡ في أول الكلمة اذا كانت علما . وذلك اذا اريد تمييزها عند كلمة مماثلة ليست علما .

✡ ح ا ا م ى د (حامد) اسم شخص

ح ا ا م ى د (حامد) اسم فاعل من حمد .

١٧ - الطول . يرمز لطول الصوت بوضع العلامة : بعده اذا كان شديد الطول والعلامة (.) بعده اذا كان متوسط الطول . ويشار للجزء الضعيف (أي القصير) من الحركة المزدوجة بوضع العلامة ٧ فوقه .

ثمة نقطة أخيرة نود الاشارة اليها ، هي أن الباحث قد يصادف أصواتا أو صفات صوتية لم تزوده الجمعية الدولية برموز لها . وله في هذه الحالة حق ابتكار ما يشاء من رموز على شريطة ان يوضح دلالة كل رمز وما يعنيه من حركات عضوية .وتجري العادة في اجتماعات الجمعية الدولية على ان يتقدم الاعضاء بالرموز الجديدة التي يصادفونها في بحوثهم لاقرارها وإضافتها للاصوات والصفات التي تعترف بها الجمعية والتي قدمناها اليك في الجدول السابق .

وتكتب الرموز العربية التي اخترناها من اليمين الى اليسار مع مراعاة الاعتبارات الآتية : -

١ - تكتب الرموز منفصلة بعضها عن بعض .

٢ - يراعى وجود فراغ يفصل بين كل كلمتين متجاورتين .

٣ - تكتب الحركات برموز على نفس السطر الذي تكتب عليه السواكن .

٤ - رموز الحركات المذكورة هنا تشير لحركات قصيرة . أما طول

الحركة فيشار اليه بتكرار الرمز أو بوضع علامة الطول التي ذكرت من قبل .

٥ ـ للباحث الحق في استعمال رمز مكان رمز قريب منه وذلك اذا كانت اللغة التي يدرسها لا تحتاج للرمزين معا . وعلى سبيل المثال الرمز مـ في الجدول يستعمل لميم شفوية ثنائية والرمز م يستعمل لميم شفوية أسنانية . وللباحث الخيار في استعمال الاخير بدلا من الاول اذا لم توجد في اللغة التي يدرسها ميم شفوية اسنانية .

٦ ـ للباحث الحق في ابتكار رمز يراه أكثر مناسبة أو سهولة شريطة ان يذكر وصف الصوت الذى يشير اليه الرمز .

٧ ـ قد يكون في الصوت صفات اخرى غير التي ذكرناها . ويشار لهذه الصفات برموز اضافية سبق ذكرها .

ملاحظة ـ فيما سبق لم نذكر أمثلة للرموز والعلامات الثانوية ، في غير الحالات التي يمكن فيها استعمال حروف المطبعة العربية . ويمكن للقاريء وضع هذه العلامات بخط اليد .

الاصوات العربية

نستطيع الآن أن نعرض للأصوات العربية ، في الفصحى واللهجات القديمة والحديثة ، بالوصف والمقارنة . وقد حظيت اصوات العربية الفصحى بعناية النحاة والقراء .

وسنكتفي هنا في وصف اصوات العربية الفصحى بما ذكره سيبويه في كتابه ، فكل ما قاله من بعده في رأينا مجرد اعادة لما قال أو تفسير له ، قد يجانب الصواب احيانا .

ذكر سيبويه الاصوات في العربية على هذا الترتيب « الهمزة والالف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو » ونلاحظ هنا ما يأتي : ـ

١ ـ رتب سيبويه الاصوات ترتيبا عضويا متواليا بدأ بالاصوات الحنجرية فالبلعومية فاللهوية (أو الرخوة) فالصلبة فاللثوية فالاسنانية الشفوية فالاسنانية فالشفوية الثنائية .

٢ ـ ذكر سيبويه ضمنا فيما نقلنا عنه وذكر فيما بعد صراحة أن مخرج الهمزة والهاء والالف واحد وهو ما أثار بعض التعليق بين من بعده من القدماء والمحدثين(١) .

٣ ـ وضع سيبويه « الضاد » بين الاصوات التي نطلق عليها « لهوية » ولكنه حين ذكر مخرجها فيما بعد قال بانها اسنانية ، حيث يتصل طرف

---

(١١) انظر ص ٨٤ ـ اصوات اللغة ـ للدكتور ابراهيم أنيس ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٩٦١ .

اللسان وجانباه بالاسنان الامامية والاضراس ، وهذا مشكل كما يبدو لأول وهلة .

ثم يستطرد سيبويه بذكر مخارج الاصوات بالتفصيل وذكر صفاتها فيصف بعضها بالجهر وبعضها الآخر بالهمس ، والجهر والهمس فى عرفه لا يختلفان عن مفهومنا لهما . ويستطرد مرة اخرى فيصفها بانها قد تكون شديدة (أي انفجارية) أو رخوة (أي احتكاكية) كما قد تكون منحرفة (أى جانبية) أو مكررة (أى مترددة) أو انفية .

والخلاصة ان وصف سيبويه للاصوات قد استعمل نفس الاعتبارات الثلاثة التى يعتمد عليها علم الاصوات الحديث وهي ذكر العضو او الاعضاء الي تشترك فى التدخل فى طريق الهواء وذكر طريقة خروج الهواء وذكر همس الصوت أو جهره .

وهو بذلك قدم لنا صورة واضحة للاصوات في العربية الفصحى على عهده .

اما الاصوات فى اللهجات العربية القديمة فليس بين أيدينا دراسة كاملة لأصوات لهجة واحدة منها.وكل ما نعرف عن أصوات هذه اللهجات ليس أكثر من ملاحظات ذكرها النحاة والقراء عن طريقة نطق كلمات بعينها عند قبيلة أو أخرى من القبائل القديمة . ويذكر سيبويه ان الاصوات فى اللهجات المستحسنة تبلغ خمسا وثلاثين هن فروع للاصوات التسعة والعشرين التي ذكرها وان الاصوات في اللهجات غير المستحسنة تبلغ اثنين واربعين ، وهي كذلك تتفرع عن الاصوات التسعة والعشرين . وهذه الاصوات « لا تتبين الا بالمشافهة » .

من أجل هذا نرى من المناسب هنا أن نذكر ملاحظات اللغويين العرب الصوتية عن اللهجات القديمة استطرادا لمناقشاتنا للفروق الصوتية بين العربية

الفصحى وما نذكره عن اللهجات الحديثة التي سنأخذ منها على سبيل المثال اللهجتين العراقية والمصرية .

أولا ـ السواكن :

أ ـ الاصوات الحنجرية والبلعومية :ـ

هذه الاصوات هي الهمزة والهاء والألف (كما ذكر سيبويه) والحاء والعين . ولنترك الحديث عن الالف مؤقتا . ونلاحظ ان القدماء قد وصفوا الهاء بأنها صوت مهموس . والهاء في المصرية والعراقية الحديثة صوت مجهور الا اذا وقعت في آخر الكلام .

ويروي اللغويون العرب ورود هذه الاصوات الثلاثة بعضها مكان بعض في مختلف اللهجات القديمة ، كما يأتي :ـ

١ ـ الهمزة تكون هاء مثل « أهعجمي » بدلا من « أأعجمي » و « هَنَّ » بدلا من « أن » .

٢ ـ الهمزة تكون عينا وتسمى هذه النزعة بالعنعنة وتنسب الى تميم فهم يقولون « عَنَّ » بدلا من « أن » . وهذه النزعة توجد في بعض اللهجات الحديثة فنحن نسمع في العراق وفي صعيد مصر « لع » بدلا من « لَأ » .

٣ ـ العين تصير همزة . وتقول طيء « دَأْني » بدلا من دعني و « تألى » بدلا من « تعالى » .

٤ ـ الحاء تصير عينا عند هذيل وقد روى عنهم قولهم « اللعم الاعمر أعسن من اللعم الابيض » أي « اللحم الاحمر أحسن من اللحم الابيض » ويسمي السيوطي هذه النزعة بفحفحة هذيل[٣] .

---

(٢) (Rabins) ٢٠١ .

(٣) نفس المرجع ص ٨٤ .

٥ ـ العين تصير حاء • وقد روى ابن هشام فى المغنى ان ابن مسعود قد قرأ « نحم » بدلا من « نعم » وتعزى هذه الظاهرة لقبيلة سعد بن بكر التي كانت تسكن شمال المدينة • وبهذا تكون قراءة ابن مسعود هـذه مدنية(٤) •

٦ ـ الحاء تصير عينا • ويذكر كونتينو فى هذا الصدد أن « عَطَا » (الصيغة غير المزيدة من أعطى) مأخوذة من « حَطَا » التي كانت تقولها قبيلة شمر وهي من طيء • ومن « حَطَا » هذه أخذ اسم الفعل « هات » •

نذكر هذه الحالات على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر •

الألف :

ذكر سيبويه الألف مع الهاء والهمزة والحاء والعين وقال بأنها جميعا من أصوات أقصى الحلق أي من الحنجرة أو البلعوم • ولا يجد الدكتور أنيس « فى كلام سيبويه ما يؤاخذ عليه بصدد اصوات الحلق سوى اقحامه ما أسماه « بالألف » • ولكنه يقول نقلا عن ابن جني فى « سر الصناعة » ان الألف التي فى أول المعجم هي صورة الهمزة ، ثم يستطرد فيقـول « ومقتضى هذا انه ما كان يصح في تعداد أصوات الحلق أن نذكر الهمزة والالف معا ، بل كان الواجب الاكتفاء بكلمة « الهمزة » التي هي رمز الصوت ، لا سيما ونحن فى مجال شرح الاصوات وتحديدها »(٥) • ثم يبرر مسلك سيبويه هذا بأنه تعبير عن تسهيل الهمزة لدى قريش • وبهذا تكون الهمزة هي همزة القطع أما الألف فهي الهمزة المسهلة • « ولعل مما يستأنس به لهذا التوجيه ان سيبويه ومن جاءوا بعده كانوا يذكرون نوعا ثانيا من الالف ويسمونه بألف المد » •

ووجه اعتراض الدكتور أنيس أن وصف الصوت بأنـه من أقصى

---

(٤) نفس المرجع ص ٨٥ ، ١٢٦ •
(٥) اصوات اللغة ص ٨٤ •

الحلق (أي حنجري أو بلعومي فى عرفنا) يعني بالضرورة أن ينسد مخرج الهواء فى هذه المنطقة أو أن يضيق بحيث يسبب احتكاكا مسموعا • وهذا لا يحدث الا عند النطق بالسواكن •

أما الحركات ومنها الفتحة الطويلة التي تسمى بالألف فلا يحدث هذا عند النطق بها•وسيبويه بناء على كلام الدكتور أنيس قد وقع فيأحد خطأين أولهما ، عدم ادراك الفرق بين الحركة والساكن وثانيهما ، ذكر ساكن واحد مرتين بين أصوات الحلق ، مرة حين سماه بالهمزة ومرة حين سماه بالألف •

ولا يقبل الدكتور ان يكون سيبويه وهو على ما هو عليه من معرفة بالاصوات وانتاجها عرضة للوقوع فى أحد هذين الخطأين •

وقد ذكر سيبويه الفرق بين الحركة والساكن وهو عنده يتلخص فى اتساع مخرج الحركة اكثر من اتساع مخرج الساكن • ثم ذكر ايضا ان اللسان يرتفع عند النطق بالياء (اى الكسرة) وان الشفتين تستديران عند النطق بالواو (أى الضمة) أما الألف (أي الفتحة) فانك لا ترفع فيها لسانك ولا تضم شفتيك • وهذا هو ما يقوله علماء الاصوات المحدثين فى التفريق بين الحركة والساكن •

واذن فان سيبويه لم يذكر الالف بجانب الهمزة والهاء جهلا منه بالفرق بين الحركة والساكن •

أما ان نتصور أنه كان من السذاجة والبساطة بحيث يذكر الشيء الواحد مرتين لمجرد اختلاف اسمه فهذا أمر لا يتفق وما عليه الرجل من قدرة عقلية ومعرفة عميقة •

ما سبب صنيع سيبويه هذا اذن ؟

يقول الدكتور انيس ان الهمزة التي ذكرها سيبويه هي همزة القطع

أما الألف فهي الهمزة المسهلة .

ونحن لا نقبل دفاع الدكتور أنيس هذا .. لأن الهمـــزة المسهلة حركة ، وبذا يكون سيبويه قد وقع فى نفس الخطأ حيث يكون قد ذكـر الحركة (التي هي تسهيل للهمزة) بين السواكن الحلقية (اى الحنجرية والبلعومية) . معنى هذا أن اعتذار الدكتور لسيبويه لم يُخرجـــه من المحظور .

ولابد من البحث عن تفسير آخر يبرر وضع الهمزة بين الأصـوات الحنجرية والبلعومية ونحن نقدم هنا أحد احتمالين تفسيرا لذلك .

الاول : احتمال وجود احتكاك بلعومي بسيط عند النطق بها ، ومثل هذا الاحتكاك يلاحظ فى بعض اللهجات العربية المعاصرة ، وقد سمعته من بعض العراقيين عند النطق بالفتحة ، كما يوجد فى اللغة الانجليزية أيضا مع الفتحة الطويلة فى مثل كلمة (man) ويطلق علماء الاصوات على هذه الصفة اسم (Creak) ولو وجدت هذه الصفة مع الفتحة الطويلة لكان سيبويه مصيبا كل الصواب فى تخصيص الحلقية (اى الاحتكاك الحنجرى أو البلعومي) بالألف دون الواو والياء .

اما الاحتمال الثاني : فقد وجهنا اليه الاستاذ رابين حين قال « لا يمثل رسم الهمزة بالضرورة انفجارا حنجريا ، ولكنه قد يكون علامة على كون المقطع ذا قمتين وهو أمر قد ينشأ عن النطق بحركة طويلة في مقطع مقفول . وقد يكون هذا هو السبب الصوتي فى نشأة الألف .... والعامل الذى دعا الى وجود مقطع ذي قمتين هو الرغبة فى المحافظة على طول الألف (الفتحة الطويلة) رغم النزعة الى تقصيرها اذا كانت ضعيفة النبر »[٦] .

ولفهم ما يقصده الكاتب نذكر أن المقطع الطويل المقفول عبـارة عن

---

(٦) (Rabins) ص ٢٠٢ .

صوت ساكن بعده حركة طويلة ثم ساكن آخر •• واذا حدث ان ضغطت الرئتان ضغطة قوية فى منتصف الحركة لسمعنا أثر هذه الضغطة فى صورة صوت شبيه بالهاء • ويسمى المقطع فى هذه الحالة مقطعا ذا قمتين •

ومن الناحية الصوتية يمكن اعتبار هذه الحركة حركة مزدوجة على أن يكون الصوت المتوسط بين جزئي الحركة الاول والثاني نصف حركة رسمها الخط العربي فى صورة ألف • وهكذا يكون فى الكتابة العربية ثلاثة أمور مختلفة فى الهمزة وهي صوت انفجارى حنجرى والألف التي تمثل نصف حركة وهي صوت حنجري كذلك لا يختلف فى مخرجه عن مخرج الهمزة الانفجارية ، ولكنه يختلف عنها فى الأداء ، وهذا هو المبرر لذكر سيبويه الهمزة والالف جنبا الى جنب مع الاصوات الحنجرية(٧) أما الصوت الثالث فالالف التي هي حركة خالصة وهي ألف المد •

على أحد هذين التفسيرين يكون سيبويه دقيقا فى ذكر الألف والهمزة معا ، ولا يكون ثمة مجال لما أخذه الدكتور أنيس عليه من اقحامه « ما اسماه بالألف » بين أصوات الحلق •

هذا ولا تختلف هذه الاصوات الحنجرية والبلعومية فى العراقية والمصرية عنها فى العربية الفصحى اختلافا يذكر •

ب ـ الاصوات اللهوية والرخوة :ـ

هذه الاصوات هي القاف والكاف والغين والخاء • ويقول سيبويه بأن مخرج الغين والخاء هو أدنى الحلق من الفم • ونحن نعرف ان هذين الصوتين قد يكونان لهويين أو رخوين • ولما كانت منطقة اللهاة هي المنطقة التي تلي مباشرة منطقة البلعوم (وهي التي يسميها سيبويه منطقة الحلق)

---

(٧) يمكن أن يفسر كلام سيبويه ايضا بان يكون فى الألف (الفتحة الطويلة) انحباس حنجرى يحدث فى نهاية النطق بها • ويكون هذا الانحباس صفة ثانوية لتلك التى توجد فى كلمة (fat) الانجليزية •

فان الواضح ان الخلاف بيننا وبينه خلاف فى تقسيم الاعضاء ، فهو يعتبر هـذه المنطقة استمرارا لما يسميه منطقة الحلق (أى أعلى البلعوم) ونحن نسميها منطقة اللهاة .

أما القاف فقد ذكر أن مخرجها « من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى » وهذه هي المنطقة التي نسميها بالمنطقة الرخوة من سقف الحنك . والظاهر أن القاف والكاف بناء على وصف سيبويه كانت اكثر تقدما من الغين والخاء . وقد كانت الكاف اكثر تقدما فى المنطقة الرخوة من القاف .

والشيء الذى يلفت النظر فى وصف سيبويه لهذه الاصوات هي وصفه للقاف بأنها صوت مجهور ، وذلك على العكس مما نسميه نحن اليوم بالقاف الفصحى التى نستعملها الآن فى العربية الحديثة كما ننطقها اليـوم وهى قاف مهموسة . وتشبه القاف الفصحى التي وصفها سيبويه الصوت الاول (گ) فى نطق العراقيين لكلمة (قلب) وهي صوت لهوي (أو بالادق فى نهاية المنطقة الرخوة وبدء اللهاة) انفجاري مجهور ، بينما القاف فى استعمالنـا اليوم صوت لهوي انفجارى مهموس .

ويلاحظ ان القاف الحديثة التي ينطقها العراقيون فى كلمة « دقيقة » و « قلم » صوت مهموس ولكن به بعض الاحتكاك البلعومي الذى يظهر فى الحركة التالية له .

أما نطق القاهريين للقاف فليس به هذا الاحتكاك البلعومي .

وفى لهجة 'أزد شنوءه (كما روى التبريزي فى تعليقـه على ديوان الحماسة[8]) كانت القاف في العلَم (مقشوش) جيماً معطشة كالجيم العراقية أو بعبارة أخرى كان هذا الصوت لديهم صلبا انفجاريا مجهورا بدلا مـن كونه رخواً انفجاريا مهموسا كما ننطق به اليوم فى الفصحى أو مجهـورا

(٨) (Rabin) ص ٢٤٤ .

طبقا لوصف سيبويه لصوت القاف • وهذه الظاهرة نفسها توجد في العراق في مثل « باب شرجي » بدلا من « باب شرقي » بجعل القاف جيما معطشة • ومن المعروف أن أزد شنوءه كانت تسكن على ساحل البحر الاحمر جنوب الحجاز • واذا صح ان «أزد عمان» التي كانت تسكن منطقة الخليج العربي فرع من « أزد شنوءه » لأمكن القول بان هذه الظاهرة الحديثة في العراق مأخوذة عن لهجة « أزد عمان » الذين كانوا يسكنون بالمنطقة التي تقع جنوب الكويت •

أما في لهجة تميم (كما في الجمهرة والصاحبي) فقد كانت القاف مهموسة ولكنها لم تكن لهوية بل رخوة ، أي قريبة من الكاف في نطقنا الفصيح اليوم ولكن مع تفخيم •

كذلك كانت قبيلة تميم تنطق الكاف « تش » اي صوتا صلبا لثويا مهموسا مثل كاف التأنيث في اللهجة العراقية في مثل « كتابك » ، وكانت هذه الظاهرة تسمى كشكشة تميم •

ج ـ الاصوات الصلبة :ـ

ذكر سيبويه أن في الفصحى من هذه الاصوات الجيم والشين والياء • وهو في هذا يتفق مع وصفنا لمخارج هذه الاصوات • والفرق الوحيد بين النطق بهذه الاصوات في اللهجات الحديثة وبين النطق بها في العربية القديمة ينحصر في صوت الجيم وقد حدث فيه ما يأتي :ـ

وصف سيبويه ومن بعده الجيم بأنها صوت شديد مجهور يخرج من وسط الحنك الاعلى ووسط اللسان • وبلغتنا نحن يمكن أن نعبر عن هذا بان الجيم العربية كما وصفوها « ساكن انفجاري مجهور ينطق بالتقاء مقدمة اللسان مع الجزء الصلب من سقف الحنك» أو بعبارة مختصرة توصف الجيم الفصحى بأنها « ساكن صلب انفجاري مجهور » •

والجيم العراقية كما ينطق بها سكان بغداد ، لا تختلف عن الجيم الفصحى التي وصفها سيبويه • **وينطق سكان مدينة البصرة الجيم** كما ننطق بالياء اي انهم يجعلونها « نصف حركة صلبة » وتفسير الاختلاف بين نطق الجيم فى البصرة والجيم الفصحى والعراقية البغدادية يتلخص ان وسط اللسان فى الجيم البصرية الحديثة لا يلتقي بالجزء الصلب من سقف الحنك بل يقرب منه ، وفى نفس الوقت يلمس جانبا اللسان الاضراس العليا من اليمين واليسار ثم يتحرك اللسان من هذا الموضع الى موضع الصوت التالي فيحدث هذا اثرا مسموعا هو الذي نسميه بالياء ، التي يستعملها سكان البصرة بدلا من الجيم في مثل « رجّال » • والجيم في اللهجة السورية « ساكن صلب احتكاكي مجهور » والفرق بينهما وبين الجيم القديمة والجيم العراقية يتلخص فى أنها فى السورية صوت احتكاكى ، أما فى العراقية والفصحى فانها صوت انفجارى •

أما الجيم في لهجة القاهرة فهي « ساكن رخو انفجاري مجهور » ويتمثل الفرق بينها وبين الجيم الفصحى والعراقية في تغير موضع التقاء اللسان بسقف الحنك • وفي المصرية تلتقي مؤخرة اللسان بالجزء الرخو منه ، بعكس العربية الفصحى والعراقية التي تلتقي فيها مقدمة اللسان بالجزء الصلب من سقف الحنك للنطق بالجيم •

والخلاصة أن اختلاف هذه الانواع من الجيم عن الفصحى يتمثل فيما يأتي :ـ

أ ـ بالنسبة للجيم البصرية الاختلاف ناتج عن اختلاف طريقة خروج الهواء من الفم فبعد أن كان يسبب انفجارا أصبح يخرج دون انفجار او احتكاك مسموع • وبذلك صارت الجيم البصرية كحركة الكسرة ولكنها تكوّن مع الحركة التي بعدها أو قبلها حركة مزدوجة • ونقطة الانتقال بين جزئي هذه الحركة المزدوجة هي ما نسميه بالياء ، **اي الصوت الذي** صارت اليه الجيم فى **لهجة البصرة** •

ب ـ بالنسبة للجيم السورية ، نتج الاختلاف عن اختلاف طريقة خروج الهواء من الفم فبعد أن كان يسبب انفجارا أصبح يسبب احتكاكا •

جـ ـ بالنسبة للجيم القاهرية ، نتج الاختلاف عن اختلاف النقطة التي يلتقي فيها اللسان بسقف الحنك فصارت الجزء الرخو منه بعد أن كانت الجزء الصلب منه •

* * *

اهم ما يستحق الذكر من اصوات اللهجات القديمة الصلبة هو ما يسمى بالعجعجة وهي تنسب لتميم • وهي النطق بالياء المشددة الاخيرة جيما معطشة ، اى جعل نصف الحركة الصلبة ساكنا صلبا انفجاريا مجهورا • والمثال المنقول عنهم قولهم « هـذا راعجّ خرج معج » اي « هذا راعيّ خرج معي » • وهذه الظاهرة عكس الظاهرة الحديثة التي وصفناها عند الحديث عن نطق سكان البصرة المعاصرين لصوت « الجيم » حيث ينطقون بها ياء ، اي انهم يفعلون عكس ما كانت تفعل قبيلة تميم من قبل •

د ـ الاصوات الاسنانية :ـ

يمكن تقسيم اللهجات العربية الحديثة الى قسمين ، القسم الشرقي ويشمل العراق والكويت وجنوب الجزيرة العربية والمملكة السعودية • وهذا القسم يحتفظ بنطق الاصوات الاسنانية • أما القسم الآخر ويشمل سوريا ولبنان والاردن ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، فقد تخلص من النطق بالاصوات الاسنانية •

والاصوات الاسنانية في العربية القديمة واللهجات الشرقية ، هي الثاء والذال والظاء وتنطق جميعا بوضع طرف اللسان بين الاسنان • أما في اللهجات الغربية ـ ممثلة في المصرية ـ فقد تخلصت من هذه الاصوات بالطريقة الآتية :ـ

١ ـ الثاء ، تقابل الثاء الفصحى تاء او سيناً في المصرية • كما في

الكلمات المصرية « توم » ، « تلاتة » ، « اتنين » الخ • وهي تناظر « ثوم » « ثلاثة » ، « اثنين » في العربية الفصحى والعراقية • وكما في الكلمات المصرية « مُسلَّس » و « سواب » و « سغر » بدلاً من « مثلث » و « ثواب » و « ثغر » •

٢ ـ الذال • تقابل الذال الفصحى دالاً أو زاياً في المصرية كما في الكلمات « ديل » ، « دهب » ، « دبانه » بدلاً من « ذيل » و « ذهب » و « ذبابه » • وكما في الكلمات « زليل » و « زمه » و « زنب » بدلاً من « ذيل » و « ذمة » و « ذنب » •

ويجب أن نذكر ان نطق الثاء تاء والذال دالاً يحدث في اللهجة المصرية بالنسبة للكلمات التي لم تؤخذ حديثا من الفصحى • أما نطق الثاء سيناً والذال زاياً ففي الكلمات التي أخذت من الفصحى حديثاً •

وقد ينتج وجود احتمالين لتغير كل من الثاء والذال في المصرية أن وجدت بعض الكلمات التي تتحد في الاصل التاريخي ولكنها تختلف في اصولها التصريفية • ومثال ذلك الكلمة تقيل (أي ثقيل) والكلمة سئيل (بمعنى ثقيل الظل) في المصرية وكلاهما من الكلمة العربية «ثقيل» وهي تستعمل بمعنى « ثقيل الوزن » أو « ثقيل الظل » • وقد خصصت المصرية الصورة الاولى للكلمة للمعنى الاول والصورة الثانية للمعنى الثاني •

ومع الاتحاد التاريخي في أصل الكلمتين فقد اختلف الصوت الاول من مادة الكلمتين فهو في احداهما « تاء » وفي الثانية « سين » •

وقد حدث هذا كذلك بالنسبة للكلمة « دهب » المصرية (بمعنى ذهب) فالصوت الاول فيها « دال » تقابل في الفصحى الذال • أما صفة النسب لهذه الكلمة ، فان الصوت الاول فيها زاي (مقابل الذال الفصحى) كما في مثل (مطه م العش الزهبي) « أي الذهبي » • وكان القياس ان

تكون صفة النسب من (دهب) بالدال « دهبي » بالدال أيضا .

٣ ـ الظاء . تغير نطق الظاء في المصرية فأصبحت لثوية احتكاكية مجهورة مفخمة بعد أن كانت في العربية الفصحى اسنانية احتكاكية مجهورة مفخمة . وبذلك أصبحت الظاء النظير المفخم للزاي بعد ان كانت في العربية الفصحى النظير الفخم للذال .

هـ ـ الاصوات الشفوية :ـ

أ ـ الباء المهموسة والفاء المجهورة :ـ

زاد في اللهجات العربية الحديثة هذان الصوتان بتأثير اقتراضهما مفردات من لغات اتصلت بها .

والباء المهموسة شائعة في العراقية في مثل پاجه ، وپانكه وپلشا الخ أما في المصرية فقد يستعملها من يجيد اللغات الاجنبية في الكلمات الاوربية التي يتداولها المصريون مثل «پاريس» حيث ينطقها المثقفون بالباء المهموسة. ولكن الغالبية العظمى من المصريين تتخلص من هذه الباء المهموسة وتنطقها باء مجهورة عربية . والامر كذلك بالنسبة للفاء المجهورة « V » . ويميل العراقيون لاستعمالها في بعض المفردات المقترضة ، مثل «ڤاتا» اسم شراب معروف . ومثل « ڤم » اسم المادة المستعملة لتنظيف الاواني المعدنية .

ثانيا ـ الحركات

أ ـ في العربية الفصحى ثلاث حركات الفتحة والكسرة والضمة . وهذه قد تكون قصيرة كفتحة الكاف في « كتب » وكسرة العين في « عند » وضمة الباء في « بكره » ؛ وقد تكون طويلة ، كالفتحة الممدودة بعد الكاف في « كاتب » والكسرة الممدودة بعد العين في « عيد » والضمة الممدودة بعد الباء في « ابوك » وتوصف هذه الحركات بأنها :ـ

١ ـ الفتحة ، حركة أمامية نصف واسعة مع انفراج الشفتين .

٢ ـ الكسرة حركة امامية ضيقة مع انفراج الشفتين •

٣ ـ الضمة حركة خلفية ضيقة مع استدارة الشفتين •

ولكن موضع اللسان عند النطق بهذه الحركات يتأثر بالساكن الذي يجاور الحركة ؛ فان كان هذا الساكن مفخما اكتسبت الحركة التفخيم • والتفخيم كما سبق أن ذكرنا نتيجة لتضيق فراغ البلعوم الفموي بواسطة تراجع اللسان الى الخلف بحيث تسبب مؤخرته هذا الضيق •

وعلى هذا ففي حالة الفتحة والكسرة وهما حركتان أماميتان يتحتم عند تفخيمها أن يتراجع اللسان الى الخلف وبهذا لا تظلان حركتين اماميتين بل تصل الكسرة الى منتصف الطريق بين الامامية والخلفية ، أما الفتحة فانها تصبح حركة خلفية •

بقيت الضمة وهي كما سبق حركة خلفية عليا (أي ضيقة) • وعند التفخيم تهبط مؤخرة اللسان قليلا حتى تضيّق البلعوم الفموي • وتكون النتيجة أن تتسع الضمة قليلا نتيجة للتفخيم • وهذا هو الفرق العضوي بين كل من الحركات في الكلمات الآتية ونظيرتها المفخمة التي توصف بأنها لهوية لأن اللهاة اسفل من الجزء الرخو من سقف الحنك • ومثال ذلك :

سال • والفتحة التي بعد السين أمامية نصف واسعة •

صال • والفتحة التي بعد الصاد أمامية نصف ضيقة •

نسيب • والكسرة التي بعد السين امامية ضيقة •

نصيب • والكسرة التي بعد الصاد أمامية متراجعة ضيقة •

كسوف • والضمة التي بعد السين خلفية ضيقة •

صوف • والضمة التي بعد الصاد خلفية أقل ضيقا واقرب للمركزية من السابقة •

وفي العربية الفصحى يوجد الى جانب هذه الحركات الثلاثة عدد من الحركات المزدوجة منها ما يسمى بالياء الساكنة بعد فتحة والواو الساكنة بعد فتحة ، وقد أصبحتا في بعض اللهجات الحديثة حركتين كما سترى • اما في اللهجات القديمة فأهم ما تردد على السنة القراء والنحاة بخصوص الحركات ما يسمى بالاشمام والامالة • ونود الآن أن نفسر هذين الأمرين •

١ ـ الاشمام ، هو استدارة الشفتين عند النطق بالكسرة • ومن المعروف ان الكسرة حركة تنفرج معها الشفتان • وعند اشمامها تصير حركة امامية مع استدارة الشفتين • وقد نسب الى النحوي أبى علي الشلوبين اشمام الكسرة في الفعل المبني للمجهول المعتل العين في مثل « بيع »•

٢ ـ الأمالة ، توصف الامالة بأنها طريقة معينة للنطق بالفتحة الطويلة • وهي مألوفة لنا في تلاوة الآية « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسيها » بدلاً من « مجراها » و « مرساها » •

والفرق بين الفتحة غير الممالة التي بعد الراء في « مجرى » والتي بعد السين في « مرسى » وبين الفتحة الممالة هو أن الاخيرة فيهما حركة أمامية نصف ضيقة أما الاولى فنصف واسعة •

وقد سبق أن ذكرنا طريقة لقياس الفرق بين ضيق الحركات واتساعها وذلك يتلخص في أن المسافة بين الفكين عند النطق بالحركة الواسعة بمقدار ثلاثة أصابع • أما في الحركة نصف الواسعة فالمسافة اصبعان • وفي الحركة نصف الضيقة تبلغ المسافة اصبعا واحدا • أما الضيقة فلا تسع حتى لاصبع واحد •

ومعنى هذا أن تكون الفتحة غير الممالة حركة يتسع البعد بين

الفكين عند نطقها بمقدار اصبعين • أمـا عند الامالة فان مقدار الاتساع يصبح اصبعا واحدا •

وبالنسبة للهجات الحديثة احتفظت اللهجـة المصريـــة بالحركات الفصحى الثلاثة قصيرة وطويلة كما احتفظت بتأثير السواكن المفخمة عليها بالتفخيم[1] • وكل ما طرأ على اللهجة المصرية من تغير هو زيادة حركتين هما :ـ

١ ـ الحركة الطويلة الامامية نصف الضيقة مع انفراج الشفتين• وهذه•توجد في مقابل الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في العربيـة الفصحى ومثال ذلك •

(لَيْل) (لـاىل) الفصحى تصير في المصرية « لِيل » (لـىىل) « بين » (بـاىن) الفصحى تصير في المصرية « بِين » (بـىىن) •
الخ •

٢ ـ الحركة الطويلة الخلفية نصف الضيقة • وهذه توجـــد في مقابل الواو الساكنة المسبوقة بفتحة في العربية الفصحى • ومثال ذلك•

لَوْم (لـاوم) الفصحى تصـــير في المصـــرية « لُوم » (لـووم)
نَوع (نـاوع) الفصحى تصير في المصرية « نوع » (نـووع)
الخ •

أما اللهجة العراقية فقد احتفظت بالحركات الفصحى الثلاثة كذلك، كما أصبحت الواو الساكنة المســـبوقة بفتحة في الفصحى فيها حركـــة خلفية نصف ضيقة مثل « لُوم » (لـووم) ونُوع (نـووع) بدلاً

---

(١) الواقع ان التفخيم فى اللهجة المصرية يختلف اختلافا جوهرياً عنه في الفصحى ولن نتعرض لهذا الامر هنا بالتفصيل •

من « لَوْم » (لاوم) و نَوْع (ناوع) في الفصحى تماما كما حدث في المصرية •

والفرق الوحيد بين اللهجتين هو معاملة الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحى حيث جعلتها العراقية احدى حركتين :ـ

١ ـ في بعض الكلمات تكون الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحى حركة مزدوجة جزؤها الاول حركة ضيقة أمامية مع انفراج الشفتين وجزؤها الثاني حركة نصف ضيقة أمامية مع انفراج الشفتين • ومثال ذلك الكلمات :ـ

اثنين (ىءثنىىن)

زين (زىىن)

وين (وىىن)

لويش (لوىىش)

الخ[1] •

٢ ـ في كلمات اخرى تكون الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحى حركة بسيطة توصف بأنها حركة طويلة أمامية نصف ضيقة مع انفراج الشفتين • ومثال ذلك الكلمات :ـ

١ ـ خير (خىىر)

٢ ـ غير (غىىر)

٣ ـ عين (عىىن)

٤ ـ غيم (غىىم)

هذا ويجب أن ننبه القارىء الى اختلاط اللهجات في مدينة بغداد

---

(١) يبدو لى أن هذا يحدث عندما تلى الحركة صوتا رخوا أو بلعوميا او حنجريا •

مما قد يجعل بعض المتكلمين من سكانها لا يتبع الطريقة الذي ذكرناها في نطق هذه الكلمات او بعضها •

وقد سبق أن ذكرنا أن المدن الكبرى تجذب السكان من الاقاليم المختلفة ولكل لهجته الخاصة • ثم تنصهر هذه اللهجات المختلفة جميعا في لهجة موحدة • وفي السنوات العشر الاخيرة زادت الهجرة من الريف الى بغداد ، ولكن عملية الانسجام اللغوي بين السكان الاصليين والسكان الوافدين لم تتم بعد • وهذا هو السبب فيما يجده الباحث من خلاف بين المتكلمين في هذا الصدد •

ـ المقاطع ـ

من مجموعات الاصوات سواكنها وحركاتها يتكون الكلام في أي لغة من اللغات • ولكن الكلام ليس المرحلة التي تلي الاصوات ، بل هناك مراحل متعددة تشبه المراحل التركيبية التي تمر بها المادة حتى يوجد ما نسميه بالدار ، فمن التراب والماء وقطع القش تتكون اللبنات ومن مجموعة من اللبنات ـ توضع بعضها مع بعض على نحو خاص ـ يتكون ما نسميه بالحائط ، ومن مجموعة من الحيطان ـ مرتبة ترتيبا خاصا ـ يكون مانسميه بالغرفة ، ومن مجموعة من الغرفات ـ مرتبة كذلك ترتيبا خاصا ـ يكون ما نسميه بالدار • ومادة الكلام الانساني الأصوات ، وهي تتكون من الصفات السمعية الناتجة عن حركات الاعضاء الصوتية كالانفجار أو الاحتكاك ، والهمس ، والجهر وغير ذلك من الصفات التي تعرضنا لها من قبل • والاصوات شبيهة باللبنات • ومن الاصوات تتكون المقاطع وهي تشبه الجدران • ومن المقاطع تتكون الكلمات التي نشبهها بالغرف • ومن الكلمات تتكون الجمل التي تشبه الدور في مثالنا •

ولابد لنا حتى نبين المقصود بكلمة مقطع من أن نتحدث عما يسمى بدرجة انتقال الصوت أو بقوة إسماعه • ومن الملاحظ أن بعض الاصوات أقوى انتقالا أو أكثر سماعا ، من بعض الاصوات الاخرى • وأضعف الاصوات انتقالا هي الاصوات الانحباسية وهي التي تنتج عن حبس الهواء دون انفجاره ، مثل (التاء) في كلمة (بات) والباء في كلمة (باب) • ثم يليها في القوة ، الاصوات الاحتكاكية مثل (السين) في الكلمة العربية « راس » والزاي في الكلمة « هز » • ثم يليها في القوة الاصوات الأنفية والجانبية مثل النون في كلمة (من) ، والميم في كلمة (دم) واللام في كلمة (مال) • وأقوى الاصوات انتقالا على الاطلاق هي الحركات •

ويمكن القول بشيء من التساهل ، بأن هناك نوعين من الاصوات ، أصوات ضعيفة الانتقال وهي السواكن ، وأصوات قوية الانتقال وهي الحركات • ولو نظرنا الى أية عبارة تنطق بها لوجدناها تتكون من انتقال ضعيف ، ثم انتقال قوي ثم انتقال ضعيف وهكذا ••• اي انه من الممكن تقسيم العبارة الى انتقال منخفض ومرتفع ومنخفض ومرتفع ••• الخ • وتسمى الاصوات المنخفضة بالقواعد اما الاصوات المرتفعة فتسمى بالقمم •

والمقطع : هو عبارة عن مجموعة من الاصوات تمثل (قاعدة وقمة وقاعدة) • وقد تكون القاعدة السكون السابق على الكلام ، أو السكون اللاحق له • ولنأخذ على سبيل المثال الجملة العربية :ـ

(ناقش أخاك) • وسنجدها تنقسم الى المقاطع التالية : ن + فتحة طويلة (س ح ح) ، ق + كسرة + ش (س ح س) ، ء + فتحة (س ح) ، خ + فتحة طويلة + ك (س ح ح س) • والسين التي بين القوسين رمز للساكن والحاء رمز للحركة، أما تكرار السين أو الحاء فرمز للطول•

ويكشف هذا التقسيم عن وجود انواع مختلفة من المقاطع • وذلك حسب ترتيب السواكن والحركات التي تتكون منها وعددها • وسنكتفي الآن بذكر أنواع المقاطع التي توجد في كل من العربية الفصحى والمصرية والعراقية :ـ

١ ـ المقطع (س ح) ويسمى المقطع القصير المفتوح • أما أنه قصير فلأنه يتكون من ساكن وحركة فقط • واما انه مفتوح فلأنه ينتهي بحركة • وهذا المقطع يوجد في العربية الفصحى وفي المصرية والعراقية على السواء • ومثاله المقطع الاول من الكلمة (ضرب) •

٢ ـ المقطع (س ح س) ويسمى المقطع المتوسط المقفول • وهو متوسط لأنه يتكون من ثلاثة أصوات • وهو مقفول ، لأنه ينتهي بساكن •

ومثاله المقطع الاول من كلمة (كلبي) (ك + فتحة + ل) في كل من العربية والمصرية والعراقية .

٣ ـ المقطع (س ح ح) ويسمى المقطع المتوسط المفتوح . وهو متوسط ، لأنه من ثلاثة أصوات ، ومفتوح لأنه ينتهي بحركة . ومثاله المقطع الاول من الكلمة (بابي) (ب + فتحة طويلة) في كل من العربية والمصرية والعراقية .

٤ ـ المقطع س ح ح س : ويسمى المقطع الطويل المقفول وهو طويل ، لأنه يتكون من أربعة أصوات . وهو مقفول ، لأنه ينتهي بساكن. ومثاله المقطع الذى يكون كلمة (باب) فى العربية والمصرية والعراقية . وهذا المقطع لا يوجد إلا في آخر الكلام في العربية والمصرية . أما فى العراقية فيمكن أن يوجد فى غير الموضع الاخير ، مثل المقطع « شَاىْ » من الكلمة « شايفْك » في العراقية .

٥ ـ المقطع (س ح س س) : وهو مقطع طويل مقفول أيضا . ويوجد هذا المقطع فى آخر الكلام فى كل من العربية الفصحى والمصرية مثل كلمة (كلب) . وهي تتكون من ك + فتحة + ل + ب ، أي (س ح س س) . ولا يوجد هذا المقطع في العراقية ، حيث انها تفصل بين الساكنين الأخيرين بكسره كما فى كلمة (كلب) ، أو بضمة كما في (گلُب) أي (قلب) ، أو بفتحة مثل « نخل » بنون مفتوحة وخاء مفتوحة .

٦ ـ المقطع س س ح

٧ ـ المقطع س س ح ح

٨ ـ المقطع س س ح س

٩ ـ والمقطع س س ح ح س

وهي لا توجد في العربية الفصحى أو المصرية ، ولكنها توجد فى

العراقية • ومثال الاول المقطع الاول في الكلمة (شگلت) أي (ماذا قلت ؟) وتكون من ش + ج + ضمة (س س ح) ، ل + كسرة + ت (س ح س) ولا يوجد هذا المقطع فى العراقية الا في اول الكلام ، ومثال الثاني ، المقطع الاول فى الكلمة (شلونك) أي (كيف حالك) • وهي تتكون من ش + ل + ضمة طويلة (س س ح ح) ، ن + فتحة + ك (س ح س) • ولا يوجد هذا المقطع في العراقية الا في أول الكلام • ومثال الثالث : المقطع الاول فى الكلمة (شعندك) اى (ماذا عندك) وهي تتكون من ش + ع + كسرة + ن (س س ح س) ، د + فتحة + ك (س ح س) وهذا المقطع لا يوجد الا فى أول الكلام • ومثال الرابع كلمة (شلون) (كيف ؟) وهي تتكون من مقطع واحد : ش + ل + ضمة طويلة + ن (س س ح ح س) وهذا المقطع يوجد فى آخر الكلام فى العراقية كذلك • وقد لا يكون اخيراً كما فى المثال (شلون حالكم) •

والمعروف أن حركة الاعراب التي في العربية الفصحى قد سقطت فى اللهجات الحديثة ومن بينها المصرية والعراقية • وبتطبيق هذه الظاهرة على كلمة (باب) مضافة للضمير المتصل (نا) نجد ما يأتي :ـ

١ ـ فى العربية تكون الباء الثانية متحركة بحركة الاعراب ، (بابُنا) •

٢ ـ فى المصرية تسقط حركة الاعراب وينتج عن ذلك وجود حركة طويلة (تمثلها الألف في باب) وبعدها باء ساكنة • وهذا ممكن في آخر الكلام لا فى وسطه ولهذا تقصر هذه الحركة الطويلة فى المصرية ، سيراً مع ما ذكرنا من امتناع ورود هذا المقطع (س ح ح س) في وسط الكلام اى ان « باب » بفتحة طويلة تصير (بَبْنا) بفتحة قصيرة •

٣ ـ فى العراقية تسقط حركة الاعراب • ومع هذا تبقى الحركة

الطويلة كما هي رغم التقاء الساكنين (بابْنا) . يضاف الى ما ذكرنا كذلك انه لا يمكن فى المصرية اجتماع اكثر من مقطع واحد ذي حركة طويلة في كلمة واحدة . ولهذا السبب نجد ان الكلمات العربية : فيران ، عيدان ، ايمان ، تنطق بحركة قصيرة بعد الساكن الاول في المصرية ... الخ . أما فى العراقية فلا مانع من التقاء مقطعين فى كل منها حركة طويلة . ولهـذا فهي تبقى على النطق الفصيح للكلمات السابقة وعلى هذا تكون هذه الكلمات مكونة من المقاطع الآتية :ـ

أ ـ فى العربية والعراقية : سحح + سححس

ب ـ فى المصرية : سح + سححس

هذه مجرد أمثلة للتركيب المقطعي في الفصحى والمصرية والعراقية نكتفي بها في هذا المجال .

ـ النبر ـ

سبق أن ذكرنا ان الرئتين تضغطان على الهواء الذي يوجد بهما وتدفعه عن طريق القصبة الهوائية الى مخرجه من الفم والانف • وضغط الرئتين يحدث على شكل تقلصات هوائية لاعلى شكل تقلص واحد • وكل من هذه التقلصات يحدث ضغطا قائما بذاته • ويشبه عمل الرئتين هذا ما يحدث بضغط الطفل ضغطا متواليا على بالونة من المطاط منتفخة ومنتهية بمزمار • ولو تركت البالونة وشأنها لخرج الهواء محدثا في المزمار صوتا متصلا • ولكن الطفل حين يضغط بيديه ضغطات متوالية يسبب نوعا من انقسام الصوت الذي يحدثه المزمار • وذلك دون ان يتوقف الصوت • وهذا هو الذي يحدث عندما ترسل الرئتان الهواء فينقسم كما ينقسم صوت مزمار البالونة • وكل قسم من هذه الاقسام هو الذي يمثل المقطع بالمعنى العضوى • والضغط الذي تقوم به الرئتان لانتاج هذه الانقسامات ، يتفاوت بين قوي وضعيف • والمقطع الذى ينتج عن ضغط قوى يسمى مقطعا قوى النبر • اما الذى ينتج عن ضغط خفيف فيسمى مقطعا ضعيف النبر •

ولكل لغة طرقها في اختيار المقاطع ذات النبر القوي والمقاطع ذات النبر الضعيف • وستعرض الآن للعربية ولهجاتها من وجهة النظر هذه :ـ

اولا : في العربية : لم يحظ النبر باهتمام اللغة العرب الأولين ولذلك لم يصفه النحاة ولا علماء القراءات كما وصفوا السواكن والحركات• وليس امامنا لمعرفة النبر في العربية الا الدراسة المقارنة للنبر في اللهجات العربية الحديثة • وقد نشر الاستاذ هاريس بيركلاند بحثا

القاه في المؤتمر المستشرقين الذي انعقد في كمبردج بانجلترا عام ١٩٥٤ موضوعه (النبر في العربية) وهو فيه يقوم بمثل هذه المقارنة. ونحن هنا لا نرى المجال مناسبا لذكر خلاصة بحثه . ولهذا نستكفي بمقارنة النبر في المصرية والعراقية .

ثانيا : في العراقية : تتلخص قواعد النبر في لهجة بغداد فيما يأتي :ـ

١ ـ اذا كان في الكلمة حركة طويلة أو أكثر كان النبر في المقطع الذى توجد به الحركة الطويلة الاخيرة مثل « جامات » والنبر على المقطع (مات) أى الاخير في الكلمة . ومثل (اشوفك) والنبر على المقطع (شو) وهو المقطع الطويل الحركة الاخير حيث ان المقطع الذى بعده قصير الحركة .

٢ ـ اذا لم يوجد في الكلمة حركة طويلة ، كان النبر على المقطع المقفول الذي قبل الاخير مثل (بتمشى) . والنبر منها على المقطع (ـِتمْ) وهو المقطع المقفول السابق للمقطع الاخير .

٣ ـ اذا لم يتوفر أحد هذين الشرطين كان النبر على المقطع الاول في الكلمة مثل (حجر) . والنبر هنا على المقطع (حَـ) لأنه لا يوجد في هذه الكلمة حركة طويلة ولا مقطع مقفول قبل المقطع الاخير .

ويستثنى من هذه القواعد ما يأتي :ـ

آ ـ اذا كانت الكلمة منتهية بحرف مشدد . والنبر يكون في هذه الحالة على المقطع الاخير مثـل (يحب) . وكان الطبيعي حسب القاعدة رقم (٣) ان يكون النبر على المقطع الاول كما في (حجر) . ولـكن الباء الاخيرة في (يحب) مشددة . ولهذا كان النبر على المقطع (حب) الاخير .

ب ـ صيغة الفعل الماضى للمتكلم والمخاطب المفرد . يكون النبر فيها

على المقطع السابق على الاخير مثل (انا كتبت أو انت كتبت) والنبر هنا على المقطع (تَ) الذى قبل الاخير • وكان من الطبيعي حسب القاعدة رقم (٣) أن يكون على المقطع الاول (كَ) •

جـ الفعل المتصل بضمير يبدأ بحركة • ويقع النبر فيه على المقطع السابق على الضمير المتصل ، مثل (كِتْبَه) والنبر على المقطع (كِتْ) حيث أنه هو السابق على المقطع الذى فيه الفتحة الأخيرة التى تمثل في العراقية ضمير الغائب • ومثل (يُعرُفْك) والنبر فيه على المقطع (عُر) وهو السابق على المقطع الذى فيه الضمير المتصل المكوّن من الفتحة والكاف •

ثالثا ـ فى المصرية : تتلخص قواعد النبر فى لهجة القاهرة فيما يلى :ـ

أ ـ اذا كان فى الكلمة مقطع ذو حركة طويلة أخذ هذا المقطع النبر مثل (أبوه) والنبر على المقطع (بوه) ومثل (واحد) والنبر على المقطع (وا) أي حيث توجد الحركة الطويلة •

ب ـ اذا لم يكن فى الكلمة مقطع ذو حركة طويلة وكان المقطع الأخير (س ح) أو (س ح س) ، وكان السابق على الأخير (س ح س) وقع النبر على المقطع السابق على الأخير مثل كَتَبْتُه والمقطع الأخير (س ح) اى (تُ)[1] اما السابق على الاخير فهو (س ح س) (تَبْ) وهو الواقع عليه النبر • ومثل (ضَرَبْتَك) ، والنبر على المقطع (رب) وهو (س ح س) وبعده (س ح س) •

جـ ـ اذا انتهت الكلمة بالمقطع (س ح س س) وقع النبر على هذا المقطع الأخير مثل (عَمَلْت) والمقطع الأخير منها (مَلْت) س ح س س هو الذي يأخذ النبر •

---

(١) هذا على اعتبار أن ضمير الغائب المفرد في هذا المثال الضمة فقط حيث ان الهاء لا تنطق •

د ـ اذا كانت الكلمة مكونة من اكثر من مقطعين فى غير الحالات الثلاثة السابقة وكان المقطع الأول منها (س ح س) كان النبر على المقطع الثانى مثل (مكتبة) وهى تبدأ بالمقطع (مك) (س ح س) وبعده مقطعان والنبر واقع على المقطع الثاني (ت + فتحة) • (س ح س) وبعده مقطعان من أربع مقاطع أولها (س ح س) والنبر واقع على المقطع الثاني (ت + فتحة) •

هـ ـ فى غير ما تقدم يكون النبر على المقطع الاول من الكلمة مثل (كتبت) (للمفردة المؤنثة) والنبر المقطع الأول (ك + فتحة) • ومثل (كُل) وهي من مقطع واحد •

ويستثنى مما تقدم ما يأتى :ـ

١ ـ اذا كان الصوت الأخير حرفا مشددا وفى هذه الحالة يقع النبر على المقطع الذى يكون الحرف المشدد قاعدته الثانية مثل (يحب) و (يحبه) والنبر على المقطع الذى ينتهى بالباء (المشددة) وهو (حب) وكان مقتضى القواعد السابقة أن يكون النبر على المقطع الأول (ي + كسرة) •

٢ ـ فى صيغة الفعل الماضى المسند للمؤنثة الغائبة اذا اتصل بضمير يبدأ بحركة أي بضمير المخاطب المفرد مذكرا أو مؤنثا وضمير الغائب المفرد المذكر • وفى هذه الحالة يقع النبر على المقطع السابق على الأخير مثل (كَتَبِته) والنبر على المقطع (ب + كسرة) وهو السابق على المقطع الذى يوجد فيضمير الغائب • ومثل (شَفتَك) أي (رأتْك) والنبر على المقطع (ف + فتحة) وهو السابق على الأخير الذى يوجد فيه ضمير المخاطب المفرد المذكر •

ثانيــاً

المفــردات

« مصادر المفـردات »

تستمد اللغة مفرداتها فى عصر من عصورها ، مما تخلف لها من العصور الماضية بصفة أساسية ، سواء كان ذلك عن لهجة من لهجاتها أو عن مجموع اللهجات جميعا • ثم هي تضيف الى هذه الذخيرة ما يتجمع لها من نتائج التطورات اللغوية التى قد تغير مفردات اللهجات القديمة في صيغها ومعانيها ، بحيث قد يتعذر على غير اللغويين ربط المفردات المتطورة بصورها الأولى قبل التطور • والى جانب هذا تقترض اللغة مفردات من اللغات التى تتصل بها ، وتعمل على تحقيق الانسجام بين هذه المفردات وبين مفرداتها التي ورثتها عن عصورها السابقة • والى كل هذا يضيف الابتكار اللغوى نوعا ثالثا فى المفردات الى النوعين السابقين • وقد يكون الابتكار اللغوى ناتجا عن استعمال الالفاظ استعمالا مجازيا ، يتسبب عنه تغير فى نوع الكلمة النحوى أو مدلولها أو صيغتها • كما قد يكون ابتكارا كليا لا يعتمد على مادة سابقة من مواد اللغة •

مصادر المفردات الاساسية

سنعالج هذه المصادر بالنسبة للعربية الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة فيما يلى :ـ

أ ـ فى اللهجات القديمة :ـ

اللغة السامية الاولى لغة نموذج ، كما سبق أن أشرنا ، بمعنى أننا لا نعرف لغة الساميين الأوائل عن طريق نصوص مدونة بقيت منذ العصر السحيق الذى كان الساميون جميعا يتكلمون فيه لغة واحدة •

وكل ما نعرف عن هذه اللغة ، مجرد نماذج مفترضة وصلنا اليها بمقارنة اللغات السامية المعروفة بعضها ببعض • وعندما نكتب نموذجا

مفترضا نضع أمامه نجمة ، اشارة الى أننا لا نكتب لفظا واقعيا مأخوذا عن لغة معينة ، بل صورة افترضنا وجودها بعد مقارنة صور هذا اللفظ في مختلف اللغات التى تشترك فى الاصل • وقد سبق أن قدمنا للقارىء مقارنة لثلاثة ألفاظ مشتركة بين الاكادية والعبرية والارامية والاثيوبية والعربية ، وكلها من اللغات السامية[1] ومن الواضح أن هذه الالفاظ لا تتماثل كل التماثل فى هذه اللغات جميعا ولكنها تتشابه الى حد كبير • وبعد مقارنتها بعضها ببعض يمكن افتراض النماذج الثلاثة التى سنكتبها فيما بعد مع وضع نجمة أمام كل منها اشارة لانها مجرد نماذج للالفاظ فى السامية الاولى :ـ

✲ كَلْبُ • وقد صارت فى الاكادية « كَلْبُ » والعبرية « كيلِب » والآرامية « كَلْبَ » والاثيوبية « كَلْبْ » والعربية « كَلْب » •

✲ قَلبُ • وقد صارت في الاكادية « قلبُ » والعبرية « قيليب » والآرامية « قَلْبَ » والاثيوبية « قَلْبْ » والعربية « قَلْب » •

✲ ريشُ • وقد صارت في الاكادية « ريشُ » والعبرية « رُيش » والآرامية « ريشَ » والاثيوبية « رئيش » والعربية « ريش » •

هذا كل ما نطمع في الوصول اليه من اللغة السامية الأولى أو الهندو أوربية الأولى أو سواهما من اللغات الأم التي تولدت عنها اللغات واللهجات التي نعرفها •

ب ـ فى اللغة العربية الفصحى :ـ

المصادر الاساسية لمفردات اللغة العربية الفصحى هى بطبيعة الحال اللهجات العربية القديمة التى تولدت عنها اللغة الفصحى • وقد دونت هذه المفردات بصفة رئيسية فى الشعر الجاهلى والقرآن الكريم والحديث

---

(١) انظر ص ٥١ •

الشريف • وفى عصر تدوين اللغة نشط جامعو المعجمات فى تدوين مفردات العربية الفصحى • وقد بدأوا بطبيعة الحال باحصاء المفردات فى هذه المصادر الثلاثة المدونة(٢) •

ثم أكملوا هذا العمل بجمع مفردات اللغة من أفواه متكلميها • وقد تجنبوا أخذ المفردات عن بعض القبائل العربية وعمن تشوب لهجته لكنه من أبناء بعض الطبقات الاجتماعية المعينة • وقد كانوا من أجل هذا يرحلون الى البادية ويقيمون بين أهلها زمنا طويلا يدونون ما يسمعون عنهم •

« والذين نقلت عنهم اللغة العربية بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين • ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم • وبالجملة فانه لم يؤخذ عن مضري قط ، ولامن لخم وجذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون العبرية ، ولا من تغلب لمجاورتهم للروم ، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزدعمان ، لانهم كانوا بالبحرين مخالطين لاهل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار الحبشة والهند ، ولامن بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المعينين وغيرهم ، وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن ألسنة أهلها كانت قد فسدت حينئذ لامتزاجهم بأمم كثيرة » •

ويقول ابن خلدون « كانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وأسد وبني تميم • فأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وأياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين للفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم • وعلى

---

(٢) باعتبار ان الحفظ نوع من التدوين •

نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية[٣] » .

والذى يلاحظ بصفة عامة غنى مفردات العربية الفصحى بالالفاظ المترادفة الى درجة تجاوز الحد العملى المعقول ، فللاسد خمسمائة اسم وللثعبان مائتان . والمفردات العربية المتصلة بالجمل وشئونه تبلغ خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعين اسما ، حسب احصاء الاستاذ دوهامر De Hammer الذى نقله عنه الدكتور وافي . وسبب مثل هذه المبالغة أن جامعي القواميس قد خلطوا بين اللهجات ، فجمعوا أسماء الشيء الواحد فيها جميعا ، ودونوها في قواميسهم باعتبارها مترادفات . وكان الواجب عليهم جمع مفردات كل لهجة على حدة دون الخلط بينها وبين مفردات اللهجات الأخرى .

وعلى كل حال فقد تخلص الاستعمال من هذه الكثرة المفرطة في المترادفات فلم يشع في الاستعمال الأدبي من أسماء الاسد الخمسمائة أكثر من خمسة ألفاظ مترادفة ، هي « الأسد » و « السبع » و « الليث » و « الهزبر » و « الغضنفر » وبهذا وضع الاستعمال حدا لهذا الافراط المخل .

ج ـ في اللهجات الحديثة

استمدت اللهجات العربية الحديثة مفرداتها بصفة رئيسية من اللهجات العربية القديمة التي تعتبر هذه اللهجات تسلسلا تاريخيا لها ، ومن مفردات العربية الفصحى التى اصبحت بفضل تدوينها فى القواميس واستعمالها في الشعر والنثر لغة قطاع هام من حياتنا الحديثة وهو قطاع الحياة العقلية

---

(٣) هذان النصان منقولان عن « فقه اللغة » للدكتور وافى ص ١٦٥ واولهما ملخص من المزهر للسيوطى ص ١٠٤ .
وثانيهما مأخوذ عن مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٥ (طبعة مطبعة التقدم سنة ١٩٣٩ م) .

والفنية • والى جانب هذا الميراث اضافت اللهجات الحديثة الى مادتها ما افادته من لغات الشعوب لتي اتصلت بها في عصور مختلفة وهذا يعني اننا حين نحاول الوصول الى معرفة الاصل التاريخي للفظ فاننا نلتمس ذلك من المجالات الثلاثة ، ميراثنا عن العربية الفصحى وعن اللهجات القديمة وما اقترضنا من لغات اخرى • يضاف الى كل هذا ماجد على الفاظ هذه اللهجات من تغيرات في اصواتها ودلالتها جعلتها تبعد عن الأصل الذى أخذت عنه •

ولو تركنا الالفاظ المقترضة جانبا ، لاستطعنا القول بأن اللهجات القديمة واللهجات الحديثة واللغة العربية الفصحى ، زوايا ثلاث متكاملة يفسر ما في بعضها ما في بعضها الآخر ويكمله • والى القارىء بعض الامثلة :ـ

١ ـ يقرر النحاة أن « ال » تدخل شذوذا على الفعل في مثل قول الشاعر « ما انت بالحكم الترضى حكومته » ولكن شيوع هذا الاستعمال في العراق يشير الى ان هذا لم يكن شذوذا ولكن « ال » كانت اسم موصول لدى بعض القبائل التي ورثت العراقية الحديثة استعمالاتها اللغوية •

ومثال هذا الاستعمال في العراقية :ـ

« اليْباع لا يرد » أي الذي يباع لا يرد •

« الدكاكين التؤجر » اى الدكاكين التى تؤجر •

« الكتب التُقرأ » أي الكتب التي تقرأ •

••• الخ •

٢ ـ نلاحظ فى العربية الفصحى اختلاف ضمائر الفاعل والمخاطب المفرد المتصلة عنها عندما تقع مفعول أو مجرورا متصلة بالاسم والفعل والحرف فهي التاء فى الحالة الاولى والياء أو الكاف في الحالة الثانية كما ترى فيما يلى :ـ

ضربتُ ، ضربني ، كتابي ، لي

ضربت ، ضربك ، كتابكِ ، لك

ضربتِ ، ضربكِ ، كتابُكِ ، لكِ

وهذا الاختلاف يدفع الى القول بأحد الفرضين الآتين :ـ

أ ـ كانت التاء تستعمل في الرفع والنصب والجر في مرحلة مبكرة ثم اقحمت الكاف عليها واستعملت فى جميع الحالات غير حالات الرفع •

ب ـ كانت الكاف تستعمل في الرفع والنصب والجر فى مرحلة مبكرة ثم اقحمت التاء واستعملت في حالات الرفع وبقيت الكاف مستعملة فيما عداها •

وبالرجوع الى ما أثر عن بعض اللهجات القديمة نجد من بقاياها ما يرجع القول بالفرض الثاني ، واليك هذين النصين :ـ

روي ان ام وهب بن منَبه قالت قبل ولادته (سنة ٣٤ هـ) :

« رأيْكُ بنحلم كولدكُ ابنا من طيب »

اى « رأيت بالحلم أني ولدت ابنا من ذهب » •

وفي هذا النص الحميري القديم نجد الكاف مستعملة ضمير رفع متصل للمتكلم • وروي ان جنود يزيد الاول كانوا يغنون بالابيات الآتية عند حصار ابن الزبير في مكة :ـ

« يا ابن زبير طال ما عَصَيْكا »

« وطال ما عَنَيْكنا اليكا »

« لنضربن بسيفنا قفيكا »

وفيها « عصَيْك » بدلا من « عصيتَ »

و « عنيكنا » بدلا من « عنيتنا » اى اتعبتنا

و « اتيْك » بدلا من « اتيت »

٣ ـ عطى ونطى

تستعمل اللهجة العراقية « انطى » بينما تستعمل الفصحى واغلب اللهجات الفعل « اعطى » ويمكن تفسير العلاقة بين هذين الفعلين بالرجوع الى اللهجات القديمة والحديثة .

ومن المعروف ان القبائل اليمنية التى كانت تسكن شرق الجزيرة مثل « ازد وهذيل وقيس » كانت تستعمل لفظ « أنطى » بالنون . أما الحجازيون فكانوا يستعملون « اعطى » بالعين . وقد قال البعض بأن « أعطى » هي الصيغة القديمة وأن العين كانت تنطق أنفية بجوار الساكن المفخم . وصفة الأنفية هذه قد تطورت الى نون .

ويمكن تفسير ذلك صوتيا بأن العين اذا اكتسبت صفة الأنفية تصبح (احتكاكا بلعوميا مجهورا يخرج الهواء معه عن طريق الأنف بعد سد اللهاة ممره فى الفم) . واذا لاحظنا أن صوت الطاء لثوى ، لأمكن أن نتصور وجود اللثوية (الناتجة عن نطق الطاء) في نفس الوقت الذى توجد فيه الانفية والجهر . والنون صوت يتكون من هذه الصفات الثلاثة « اللثوية والانفية والجهر » .

ولكن آخرين يرون عكس هذا فيقولون بأن « أنطى » اقدم من « اعطى » بدليل ان الفعل الذى يناظرها في العبرية بالنون لا بالعين حيث انه « ناتا » وبدليل أن العربية الفصحى قد احتفظت بهذه المادة بالنون في الفعل « ناط » (مثل ناط به الأمر) . ويرى هؤلاء ان الفعل القديم هو « انطى » وعنه أخذ الفعل « ناط » والفعل « اعطى » الذى يستعمل في اللهجة الحجازية . ويقول كانتينو أن اسم فعل الأمر « هات » مأخوذ من مادة « اعطى » بعد أن صارت العين هاء .

والواضح مما نرى في اللهجات الحديثة ، أن الفعل « انطى » قد

انتقل الى لعراق مع قبائل هاجرت من الشرق عن طريق فلسطين وسوريا ، حيث كان هذا الفعل يوجد قديما فقد استعملت « اعطى » بالعين ولا تزال عنيزة بصحراء سوريا ثم في بغداد وجنوب العراق • أما بلاد اليمن نفسها حيث كان هذا الفعل يوجد قديما فقد استعملت « اعطى » بالعين ولا تزال تستعملها حتى اليوم •

٤ ـ ادلعدي المصرية • تستعمل هذه الكلمة للاشارة لشخص ما ، مثل « فلان » ولا يعرف لهذه الكلمة أصل يمكن أن تنسب اليه • وقد سمعت عرضا بعض الاغاني اللبنانية تستعمل كلمة يمكن أن تفسر هذه الكلمة المصرية وهذه الكلمة هي « الدلعوني » ومذكرها « الدلعون » • وهذه الكلمة اللبنانية يمكن أن تكون مأخوذة من مادة « دلع » وهي من مفردات المصرية ، وهذا يرجح أن تكون « ادلعدي » في الأصل هي « ادلعوني » للبنانية مأخوذة من هذا الفعل وأن النون فيها قد تغيرت الى « دال » •

هذا المثال يبين لنا كيف يمكن تفسير مسألة لغوية غامضة فى لهجة من اللهجات بما قد يوجد فى لهجة اخرى ، من اللهجات القريبة منها •

٥ ـ « متروس » المصرية :

فى المصرية كلمة « متروس » وهي كما هو ظاهر على وزن اسم المفعول ولا يوجد فى المصرية فعل يمكن أن يقال باشتقاق اسم المفعول هذا منه • ولكن هذا الفعل يوجد فى العراقية تام التصرف حيث يقال « يترس » و « متروس » و « ترس » الخ •

٦ ـ كلمة « سِبْيَه » في المصرية :

معنى هذه الكلمة خطاف حديدي ذو ثلاثة فروع تعلق به الذبائح أو ميزان ذو ثلاثة قوائم توزن به اكياس القطن أو الحنطة ويمكن تفسير

الاصل التاريخي لهذا الفعل بالاستعانة بالكلمة العراقية المقترضة من التركية « سي بايه » أي « حامل ذو ثلاثة أرجل » والشبه الصوتي والدلالي واضح بين « سيبه » و « سي بايه » فلكل منهما ثلاثة فروع . وهكذا احتفظت العراقية بالكلمتين « سي » بمعنى ثلاثة و « بايه » بمعنى قدم منفصلتين مما ساعد على تفسير أصل الكلمة المصرية التي ذهبت فيها معالم الكلمتين بعد أن امتزجتا في صورة كلمة واحدة .

هذه مجرد أمثله تبين للقارىء كيف تتكامل الحقائق اللغوية في لهجات اللغة الواحدة بحيث يمكن بعد دراسة هذه اللهجات مجتمعة أن نفسر بعض الامور المستغلقة علينا عندما تقتصر دراستنا على اللغة الفصحى وحدها .

٧ ـ الفعل « اشَّل » في المصرية :

والفعل العراقي المناظر لهذا الفعل المصري في المعنى هو « وشَل » وهو يستعمل على احدى طريقتين :ـ

أ ـ كما في المثال « وَشَل البلم(٤) » اى افرغه من الماء .

ب ـ كما في المثال « وَشَل محمد » بمعنى أخذ كل ما معه من مال .

والمثال الثاني بصفة خاصة يستعمل فيه الفعل « وشل » بنفس المعنى الذى للفعل المصرى « اشل » .

وبطبيعة الحال نلاحظ العلاقة الصوتية والدلالة بين الفعلين . وبالرجوع الى القاموس المحيط نجد فيه ما يأتي :

« الوشل محركةً ، الماء العليل يتحلب من جبل أو صخر ، ولا يتصل قطره ولا يكون الا من أعلى الجبل ... وَشَل يشِل وشلا سال أو قطر ، والرجل ضعف واحتاج وافتقر » .

---

(٤) البلم ـ قارب صغير مستدير يستعمله الفلاحون العراقيون لعبور القنوات المتفرعة من نهرى دجلة والفرات .

وفي هذا النص نجد الأصل الذى نتج عنه الاستعمال العراقي بمعنى (نزح الماء وبمعنى أخذ مال شخص آخر) والاستعمال المصري (بمعنى أخذ مال الشخص أى أفلسه) .

ومن اجل هذا تحتم ان نقول بأن الواو فى اللفظ الفصيح قد بقيت واواً فى العراقية فى هذه الحالة وانها قد صارت فى المصرية همزة .

٨ ـ ليت ورأيت :

يرى البعض أن الأصل التاريخى لاداة التمني « ليت » هو الفعل رأيت . ويمكن تبرير هذه العلاقة التاريخية بينهما بعدد من الامور .

اولا ـ الشبه الصوتي .

ليس بين الكلمتين من الناحية الصوتية خلاف الا فى ناحيتين ، اولاهما وجود الراء فى احداهما مكان اللام فى الاخرى ، وثانيهما وجود همزة القطع فى احداهما وعدم وجودها فى الاخرى . أما وجود اللام مكان الراء فانه يحدث فعلا في العربية ولهجاتها . ومثاله « يا ليت » الفصحى وتناظرها في المصرية والعراقية « يا ريت » بالراء . و « الآخر » الفصحى الفصحى وتناظرها فى المصرية « راخر » بالراء مكان لام التعريف . أما سقوط همزة القطع فأمر ثابت الحدوث فقد كانت لهجة الحجاز قديما تسقط همزة القطع ، كما انها تسقط كذلك فى اللهجات الحديثة مثل « رأس » الفصحى ويقابلها « راس » فى اللهجات الحديثة ولهجة الحجاز القديمة ومثل « امرأة » ويقابلها في هذه اللهجات « مره » بدون همزة .

ثانيا ـ استعمال ليت .

يلاحظ أن « ليت » تنتهي بتاء مفتوحة تشبه تاء المخاطب المفرد المذكر فى رأيت . ويلاحظ أيضا أن نون الوقاية تدخل على « ليت » عند اتصالها بياء المتكلم ، مع أن نون الوقاية لا تدخل على غير الافعال . وهذا شاهد على

الارتباط التاريخي بين « ليت » والصيغة الفعلية • حيث يقال « ليتني » كما يقال « رأيتني » • كذلك تدخل « يا » على « ليت » فيقال « يا ليتـه جاء » مع أننا نعرف أن « يا » تدخل على الاسماء •

ودخول « يا » على « ليت » استمرار لاستعمال غير فعلي عرض للفعل « ترى » كما في الامثلة التى سنذكرها فيما بعد •

ثالثا ـ استعمال الفعل « ترى » و « رأيت » •

أ ـ فى العربية :ـ

نلاحظ أن هذا الفعل يستعمل استعمالات خاصـة لا تتفـق مـع الاستعمالات الفعلية المعروفة واليك هذه الامثلة :

أ ـ تُرى جاء ، تُرى هل جاء

ب ـ يا تُرى جاء ، يا ترى هل جاء

حـ ـ تراه جاء ـ ترى محمد جاء

د ـ هل تراه جاء ـ هل ترى محمد جاء

هـ ـ هل تراك تحضر غدا •

و ـ أرأيتك هذا الذى كرمت علي •

وفي هذه الاستعمالات نلاحظ ما يأتي :

١ ـ استعمال مضارع « رأى » فى صيغة المفرد المخاطب بضم التـاء لا بفتحها •

٢ ـ استعمال هذه الصيغة مع « يا » أو بدونها مع أن المعروف أن « يا » لا تدخل على الافعال • (يلاحظ ان « يا » تدخل ايضا على « ليت ») •

٣ ـ دخول هذه الصيغة على الاسم الظاهر ورفعه بعدها •

٤ ـ دخولها على ضمير النصب المتصل ، وكان مقتضى رفـع الاسـم الظاهر بعدها أن يكون الضمير المتصل ضمير الرفع ، والا فكان اللازم نصب الاسم الظاهر حتى يتفق مع محل ضمير النصب المتصل •

٥ ـ اسناد هذه الصيغة وصيغة الماضى في الآية (رقم أ) الى المخاطب المفرد المذكر واتصال ضمير النصب للمخاطب المفرد المذكر فى نفس الوقت بها ، مع أن المألوف فى هذه الحالة عدم اتصال ضمير النصب بالفعل بل كون المفعول لفظ «نفس» مضافا الى الضمير فيقال «رأيتَ نفسك» و «ترى نفسك» • فى هذه الحالات كلها اختلف استعمال « ترى » و « رأيت » عن الفعل « ترى » و « رأيت » بمعنى « أبصرت » أو « علمت » • وهذه الاختلافات تدل على حدوث تطور فى استعمال هذا الفعل جعله يختلف عما نعرف من من استعمالات الافعال •

أما من ناحية المعنى فان استعمال « تُرى » و « رأيت » هذا لاستعمال غير الفعلي يصحب دلالة غير فعلية فليس فى الامثلة السابقة كلها حدث بمعنى « علم » أو « أبصر » ، ولكن استعمال « رأيت » و « ترى » قد أفاد معنى عاما يمكن أن يعبر عنه بالتوقع • والتوقع من المعاني النفسية التي تشبه التمنى •

ب ـ فى المصرية :

يا ترى جه

وفي هذا المثال استعملت صيغة « ترى » مسندة الى المخاطب المفرد بعد ياء النداء • وقياسا على هذا الاستعمال يمكن أن نتصور امكان استعمال « رأيت » (أى صيغة الماضى من ترى) بعد ياء النداء أيضا على هذا النحو :

« يا ترى » و « يا رأيت » بعد خضوعها لتأثير قانونين من قوانين التطور الصوتي فى اللهجة المصرية على هذا النحو •

١ ـ قانون سقوط همزة القطع فى وسط الكلمة مثل « امرأة » تصير « مره » و رأس تصير « راس » • وبتطبيقه على « يا رأيت » تصير «يا رَيْت» (ى١١ راىت) •

٢ ـ قانون تحول الفتحة والياء الساكنة التي بعدها الى فتحة طويلة

مما له (أي حركة امامية نصف ضيقة طويلة مع انفراج الشفتين) •
وبمقتضاه تصير « ياريت » (ي اا راي ت) « ياريت » (ي اا رنيرنيت)،
أى بصيغتها التي تستعمل للتمنى •

لـ محمد سافر ترى (فى العراقية) :

وهذا الاستعمال خاص بالعراقية وهو تطور آخر لهذا الفعل ، أفقده معنى الفعل وخرج به من الاستعمال الفعلي •

هذا مثال آخر لتفسير ظاهرة عربية فصحى بالاستعانة بما يوجد فيها وفى اللهجات الحديثة من استعمالات لغوية •

٩ ـ « ان » و « بعد » و « اصل » :

«ان» في العربية الفصحى اداة تأكيد تدخل على المبتدأ والخبر • وقد يكون المبتدأ اسما ظاهرا أو ضميرا متصلا بها • والظاهر من ترجمةالاستاذ رابين لفظ « ان » باللفظ الانجليزى (behold) أنه يعتبر أنها من وجهة النظر التاريخية كانت فعل أمر تحول عن الفعلية وتخصص فى هذا الاستعمال الذى بمقتضاه يدخل على الجملة الاسمية لافادة التأكيد • وقد حدث مثل هذا التغير التاريخي بالنسبة للكلمة « ليت » التي تفيد التمني •

والذى يهمنا هنا هو أن نسجل أن هذه الظاهرة ـ التي تتحول بمقتضاها الكلمةالى أداة تدخل على الجملة الاسمية للتعبير عن معنى اضافي فيها كالتمني أو التأكيد ـ لا تزال مستمرة فى اللهجات الحديثة • ولدينا مثال فى اللهجة العراقية وآخر فى اللهجة المصرية يثبتان ما نقول :

أ ـ فى اللهجة العراقية تستعمل الكلمة « بعد » استعمال « ان » فتدخل علىالجملة الاسمية ويتصلبها الضمير أو يأتي بعدها اسم ظاهر يكون مسنداً اليه في جملة اسمية • وكما نقول في العربية الفصحى « محمد قائم » ثم ندخل « ان » فنقول « ان محمدا قائم » أو « انت قائم » ثم

تدخلها فنقول « انك قائم » ، تقول في العراقية « محمد واكف » و « انت واكف » ثم تدخل « بعد » فنقول « بعد محمد واكف و «بعدك واكف ». وبعد هنا تعنى « لا زلت » .

ب ـ فى اللهجة المصرية تستعمل الكلمة « اصل » استعمال « ان » فتدخل على الجملة الاسمية لافادة تأكيدها . وكما تقول فى العربية الفصحى « محمد قائم » و « انت قائم » تقول فى المصرية « انت نايم » و « محمد نايم » ثم تدخل « اصل » لافادة التأكيد فتقول « أصلك نايم » و « أصل محمد نايم » .

وليس هناك من فرق بين « ان » الفصحى و « بعد » العراقية و « اصل » المصرية الا عدم تأثيرهما تأثيرا اعرابيا في الكلمات التي بعدهما ، وذلك لانقراض الاعراب من اللهجات الحديثة .

☆ ☆ ☆

نكتفى بهذه الامثلة لدراسة تاريخ المفردات وهى دراسة تساهم اللهجات الحديثة والقديمة والعربية الفصحى واللغات السامية جميعا فى كشف مستغلقاتها .

وسنستعرض الآن عددا من الوسائل التي تستخدمها اللغة لزيادة مفرداتها .

١ ـ الاشتقاق

سبق أن ذكرنا أن من خصائص اللغات السامية « بناء كلماتها من مادة اشتقاقية وفق موازين معينة »[١] وسنستعرض الآن لخاصة الاشتقاق هذه باعتبارها أهم الوسائل التى تتبعها العربية ولهجاتها في زيادة مفرداتها .

وقبل أن نتعرض لهذا الموضوع بالتفصيل نبادر برفض نظرية النحاة القائلة بأن الأصل الذى تشتق منه الكلمات في العربية هو المصدر . وهم في هذا واقعون تحت تأثير الرأى الفلسفى القائل بأن « الجوهر الفرد » هو أصل الموجودات لانه أبسطها والبسيط أسبق وجودا من المركب .

ولما كان المصدر يدل على مجرد الحدث ، فانه أبسط من غيره من الصيغ المشتقة كالفعل واسم الفاعل واسم المفعول الخ لأنها تدل على الحدث وأمر آخر .

والواقع أن الاشتقاق عملية تتم بها صناعة الكلمات من المادة ، والمادة في العربية لا تمثل كلمة يمكن النطق بها بل هى مجرد مجموعة من الاصوات يلاحظ وجودها بترتيب معين في جميع المفردات التي توصف بأنها مشتقة منها .

وعلى سبيل المثال ، لو استعرضنا الكلمة « لعِب ، يلعب ، العب ، لاعب ، لعِبٌ ، لعبة ، ملاعب ، تلاعب » الخ لوجدنا فيها جميعا السواكن الثلاثة « ل ، ع ، ب » بهذا الترتيب .

وهذه السواكن الثلاثة وحدها لا تمثل كلمة في العربية ، حيث لايمكن النطق بها الا بوجود حركات تلى هذه السواكن على طريقة من الطرق التى تحددها كتب الصرف .

---

(١) انظر ص ٤٩ ـ ٥٠ .

وكل طريقة من هذه الطرق تسمى « وزنا » • وعلى هذا فالكلمة « لعب» تتكون من « ل ، ع ، ب » ووزن يتمثل في فتحه بعد اللام وكسرة بعد العين وفتحة (او سكون في حالة الوقف) بعد الباء • والمصدر (مثل لعِبٌ) يتكون كذلك من المادة « ل ، ع ، ب » والوزن الذى هو فتحة بعد اللام وكسرة بعد العين ، وسكون الباء فى حالة الوقف ، او وجود فتحة أو كسرة أو ضمة بعدها حسب حالة الكلمة الاعرابية• ومعنى هذا أن المصدر نفسه مشتق من المادة على وزن معين وليس هناك مبرر لافتراض أن الفل مشتق من المصدر حيث انه كذلك مكون من المادة ووزن خاص •

وفي العربية الفصحى مواد اشتقاقية فعلية يبلغ عددها ثلاثة آلاف وخمسمائة مادة ، الى جانب المواد الاسمية • ومن هذه الذخيرة الضخمة تشتق العربية ولهجاتها مفرداتها • اما المواد الفعلية فهي التى تكثر فيها ظاهرة الاشتقاق (وهو صياغة اللفظ من المادة على نسق وزن من الاوزان)• وقد تكون المادة مجردة مثل (ق ت ل) وقد تكون مزيدة مثل (ء ك ر م) و (ق ا ت ل) و (ا ن ق ت ل) الخ •

ومن كل من المواد المجردة والمزيدة يمكن اشتقاق نوعين من الصيغ هي الصيغ الفعلية والصيغ الاسمية •

اما الصيغ الفعلية فهي صيغ الماضي والمضارع مبنيين للمعلوم او للمجهول وصيغ الامر •

واما الصيغ الاسمية فهي المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم المرة واسم الهيئة واسم الزمان والمكان والمصدر الميمي وصيغ التعجب والتفضيل ••• الخ • وعلى هذا فمن الممكن أن نشتق المفردات الاتية من المادة (ق ت ل) :ـ

آ ـ المادة المجردة (ق ت ل)

قتل يقتل قُتِل يُقْتَل اقتل

وهذه هي الصيغ الفعلية . اما الصيغ الاسمية منها ما يلي :ـ

قاتل مقتول قتيل قتال قتول قتل مقتل

ما اقتله اقتل به أقتل منه ... الخ

ب ـ المادة المزيدة بالهمزة (أ ق ت ل) :ـ

اقتل يقتل أُقْتِل يُقْتَل اقتل

وهذه هي الصيغ الفعلية .

ومن الصيغ الاسمية :ـ

مُقتل مُقتَل اقتال ... الخ

ج ـ المادة المزيدة بالتضعيف (ق ت ت ل) :ـ

قتّل يقتّل قُتّل يُقتّل قتّل

ومن الصيغ الاسمية :ـ

تقتيل مُقتِّل مُقتَّل ... الخ

د ـ المادة المزيدة بالالف (ق ا ت ل) :ـ

قاتل يقاتل قُوتِل يُقاتل قاتِل

ومن الصيغ الاسمية :ـ

مقاتِل مقاتَل مقاتلة ... الخ

هـ ـ المادة المزيدة بالالف والنون (ا ن ق ت ل) ومنها :ـ

انقتل ينقتل منقتل انقتال منقتل ... الخ

ز ـ المادة المزيدة بالتاء (ت ق ت ل) ومنها :ـ

تقتل يتقتل متقتل ... الخ

ويكفي هذا مثالا للامكانيات الواسعة لاشتقاق المفردات من المـــواد الفعلية .

اما المادة الاسمية فالاشتقاق فيها باحدى طريقتين هما :ـ

١ ـ تحويل المـادة الاسمية الى مادة فعليـة بالزيادة مثل « استنوق » . من الاسـم (ناقة) ويؤخـذ منها الفعل ماضيا ومضارعا وأمرا (مثـل استنوق الجمل ... الخ) واسم الفاعل واسم المفعول وسواهما من الصيغ الاسمية . ومثل المادة :ـ (تكالب) من الاسم (كلب) مثل (تكالب على الامر) . ومن هذا الاسم اخذ الفعل العراقي (جلّب) بمعنى تمسك بالشيء .

٢ ـ اشتقاق صيغ اسمية معينة كصيغة النسب والتصغير مثل (عراقي) صفة من (العراق) ومثل ُطفيل تصغير طفل .

ومثل المصدر الصناعي ، وهو صيغة النسب مضافا اليها تاء التأنيث مثل:ـ (وطنيـــة) وهي من (وطـن) و (قوميـــة) وهي من الاسـم (قوم) وجمهورية من الاسم (جمهور) .

وهكذا نجد ان الوصف يمكن ان يؤخذ من المادة الفعلية على وزن اسم الفاعل أو اسم المفعول أو من المادة الاسمية باضافة ياء النسب .

هذا الى جانب صيغ التثنية وجمع المذكر والمؤنث السالمين وجمـوع التكسير .

الاصوات التى تتكون منها المادة :

قام الاستاذ الامريكي جوزيف هـ جرينبرج[١] بدراسة إحصائيـة

---

(١) انظر بحثه :

The Patterning of Root Morphemes In Semetic.

وقد نشره فى مجلة Word الامريكية .

للاصوات التي تتكون منها المادة في اللغات السامية والعربية بصفة خاصة • وقد استعرض في هذه الدراسة ثلاثة آلاف وخمسمائة مادة فعلية وخرج منها بنتيجة وضعها ملخصة في اول بحثه ونحن فيما يلي ننقلها للقارىء :ـ

« من الحقائق الواضحة التي لا تلتفت اليها الأذهان أن المادة الثلاثية التي تتميز بها اللغات السامية لا يمكن أن يكون الصوت الثاني فيها هو نفس الصوت الأول • ولكن من ناحية أخرى نجد أن الصوت الثالث كثيرا ما يكون نفس الصوت الثاني ، وهذا هو ما يطلق عليه المادة المضعفة • وعلى هذا فانه في الوقت الذى لا يمكن فيه أن نجد مادة مثل م • م • د • في اللغات السامية نجد مادة مثل م• د• د (مدّ) ومثل ف• ر• ر• (فرّ) كثيرة الشيوع • وقد قمت بدراسة جميع المواد الثلاثية فى اللغات السامية وبخاصة العربية • وانا ابدأ المقال بتقديم نتائج هذا البحث العامة حتى أهيء ذهن القارىء للمناقشة التفصيلية التي تتلو ذلك وهذه النتائج هي :ـ

١ ـ بالنسبة للصوت الأول والثاني يمتنع أن يكونا نفس الصوت ، أو صوتين من نفس المخرج • وعلى سبيل المثال لا توجد مادة فعلية سامية تبدأ بالصوتين ب م لأنهما صوتان شفويان أو گ ک حيث انهما صوتان رخوان •

٢ ـ بالنسبة للصوت الثاني والثالث من المادة يمتنع أن يكونا من نفس المخرج • ولكن هذه القاعدة قد لا تنطبق في حالات نادرة • ومع هذا فان من الجائز أن يكون ثاني المادة وثالثها نفس الصوت ، اي انه من الممكن أن تجد في العربية مثل المادة ش ل ل (شلّ) ولكن ليس من الممكن ان نجد مثل المادة س گ ک أى حيث يكون الثاني والثالث صوتين انفجاريين رخوين أولهما مهموس والثاني مجهور •••

٣ ـ بالنسبة للصوت الأول والثالث من المادة يقل ان نجدهما نفس الصوت أو صوتين من نفس المخرج • ومعنى هذا أن احتمال كونهما نفس الصوت أو من نفس المخرج أكثر من الحالتين السابقتين • وهكذا نجد عددا قليلا من المواد مثل ق ل ق (قلق) أى مع كون الأول والثالث نفس الصوت أو مثل ل ف ت (لفت)(١) أى مع كون الاول والثالث من نفس المخرج وهو اللثة » •

وقد قرر الكاتب أن هذه الملاحظات تتفق مع تقسيم العرب وسيبويه بصفة خاصة لمخارج الأصوات ثم استطرد في بحث إحصائي طويل لا محل هنا لمناقشته •

ويهمنا نحن هنا الاشارة الى هذه الظاهرة الهامة التي تربط المواد الاشتقاقية بأصوات اللغة مما يؤيد النظرية التي ندعو اليها وهي أن دراسة اللغة دون دراسة اصواتها دراسة بتراء •

بقيت نقطة نود التعرض اليها • وهي الملاحظة التي وردت من قبل من شيوع المواد المضعفة في اللغة العربية واللغات السامية مثل (ردّ) •

وقد فسرت هذه الظاهرة احد تفسيرين :ـ

اولا ـ قال بعض العلماء بان أصل المادة في اللغات السامية ثلاثي ، وأن المواد المضعفة كانت في الأصل مواد ثنائية ثم حدث تكرار الصوت الثاني حتى تتمشى مع بقية المواد الثلاثية •

ثانيا ـ قالت طائفة اخرى بان المواد المضعفة هي في الواقع أقدم المواد • وقد كانت المواد ثنائية في الأصل ثم جعلت ثلاثية في فترة متأخرة •

وسواء صح هذا الرأي أو ذاك ، فان الحقيقة الهامة هي ثلاثية أغلب المواد العربية ، واعتماد اللغة العربية ولهجاتها على الاشتقاق باعتباره أعظم وسيلة لزيادة مفرداتها •

---

(١) اورد الكاتب مادة من اللغة السوريانية وقد وضعنا مكانها مادة من العربية •

٢ ـ القلب المكاني

القلب المكاني عملية نفسية فردية تنتج عن نوع من الخطأ السيكولوجي الذى قد يكون سببه عضويا أو نفسيا • والعوامل العضوية التي تؤثر مثل هذا الأثر هي اضطراب الجهاز السمعي أو الجهاز النطقي عند الفرد ، مما يجعله غير قادر ، على تلقي الاصوات وانتاجها على نحو سليم • ولا تؤثر العوامل العضوية البحتة على تطور لغة الجماعة ، لان العيوب العضـــوية اذا عمت حتى شملت النوع الانساني كله لم تصبح عيوبا • ولو قدر للجنس البشري مثلا أن يفقد الشفة السفلى وبالتالي ألا يستطيع النطق بالفاء أو الباء ، فانه لايمكن ان نسمي ذلك عيبا أو اضطرابا في جهاز النطق عند الناس • ومع ذلك فمثل هذا التطور العضوي الشامل لا يحدث الا على اجيال تتجاوز آلافاً من السنين • ومن اجل هذا نسقط من حسابنا العوامل العضوية باعتبارهـا وحدها من اسباب التطور في الاصوات وبالتالى من اسباب التطور فى المفردات • ولكن العوامل النفسية قد تكون فردية وجماعية • وهنـاك ولا شك حب الفرد لأحد أصدقائه وحب الجماعة لبطل أو قائد شعبي وكلاهما مـن العوامل النفسية • واذا صح أن العوامل النفسية تسبب عند الفرد اضطرابا في ترتيب الأصوات فانها تسبب لدى الجماعة مثل هذه الظاهرة ، ولكنا لا نسميها اضطرابا بل تطورا •

وفي العامية المصرية الفاظ كثيرة حدث فيها قلب مكاني واختلفت عن نظائرها الفصيحة أو عن الصيغ التي كان يفترض أن تكون عليهـا حسب الموازين الصرفية المعروفة • وسنعرض عليك بعضا منها :ـ

أ ـ فى اللهجة المصرية :

أنارب : جمع أرنب وتستعمل ايضا على القياس الطبيعي فنقول أرانب ،

أما في اللهجة العراقية تطلق كلمة « أرانب » على الجمع •

بطرمان : ونقول ايضا برطمان •

طبسية : ويقال ايضا بطسية أو (سلطانية) والكلمة مقترضة من الكلمة التركية « تبسى » بمعنى اناء صغير •

معلقة : وهي اسم آلة من « لعق » ومقتضى القياس أن نقوله « ملعقة » ولكن المصرية قلبت موضع العين واللام •

جضع : وهي نظيرة الكلمة الفصحى « ضجع » والفعل الفصيح متعد ويؤتى منه بالصيغة اللازمة على وزن افتعل فتقول « اضطجع » أما في المصرية والعراقية كذلك فيؤتى بالصيغة المناظرة لهذه الأخيرة وزن انفعل فتقول « انجضع » وتستعمل لازمة ، أما صيغة « جضع » فتستعمل لازمة ومتعدية •

اهتيالي : ومعناها أتخيل أو أظن • وفي المصرية عبارة أخرى تناظرها هي « يتهيأ لي » (في العراقية كذلك) • وهذه الأخيرة مكونة من فعل مضارع ولام جر يتصل بها ضميرا المتكلم المفرد ـ على حد آراء النحاة ـ •

وفي العربية الفصحى يعبر عن معنى العبارتين بالعبارة « يتهيأ لي » •

وقد حدث في الصيغة المصرية « اهتيأ لي » قلب مكاني فتقدمت الهاء على التاء الزائدة في الصيغة العربية ـ والمصرية « يتهيأ لي » • كذلك اقترن هذا القلب المكاني بأمر آخر هو بناء الكلمة على وزن المصدر « افتعال » فخرجنا بالصيغة « اهتيال » وفيها تعتبر اللام جزءا من بنية الكلمة لا حرف جر • وعلى هذا الفرض تكون هذه الصيغة تشتمل على هذه المظاهر التطورية •

١ ـ قلب مكاني تقدمت بسببه الهاء على التاء •

٢ ـ اشتقاق اصبحت الصيغة بواسطته على وزن المصدر ـ افتعال •

٣ ـ تحويل اللام من حرف جر الى أصل من أصول الصيغة •

٤ ـ اعتبار الياء مضافا اليه ـ على حد التعبير النحوى ـ لا مجرورة بحرف جر كما هي في التعبير الفصيح والتعبير المصري الآخر •

وهناك من الكلمات في العامية المصرية مالا نعرف أصله التاريخى معرفة وثيقة ولكنها تشبه في صيغتها ودلالتها بعض الكلمات الفصيحة أو المقترضة التي يمكن أن نفترض أصلا لها اذا ما قبلنا القول باختلاف الصيغة العامية عن العربية أو عن اللغة المقترض منها في ترتيب اصواتها •

لخفن : بمعنى خلط الأمور بعضها ببعض • والواضح انها كلمة ليست مقترضة كما انه لا يوجد في قواميس العربية من الكلمات ما يمكن أن يعتبر أصلا لها • ومع ذلك فمن الممكن أن نفترض انها قد انحدرت من الأصول العربية « خ ل ف » التي بنيت منها الكلمة الفصيحة « اختلف » وعلى هذا الفرض تكون الاصوات في المصرية مختلفة الترتيب عنها في الفصيحة ، حيث تكون اللام متقدمة على الخاء •

لخبط : ويمكن أن نفترض انها مأخوذة من الأصول العربية « خ ل ط » والصلة المعنوية واضحة بين « لخبط » المصرية • و « خلط » والفصيحة • هذا ونسمع هذه الكلمة المصرية على نحو آخر يختلف فيه ترتيب اصواتها هكذا « خلبط » مما يؤيد نظريتنا بوجود قلب مكانى فيها •

أما في اللهجة العراقية :ـ فان الكلمة « خلط » الفصحى تناظر « خربط » وفيها تقابل الراء العراقية اللام المصرية •

القرش : اسم لنوع من السمك المفترس • ومن الملاحظ الشبه الواضح بين اصوات هذه الكلمة واصوات الكلمة الانجليزية الدالة على نفس المعنى وهي (Shark) ولو صح انها مقترضة عن هذه الكلمة الانجليزية ، لكان هذا القرض قد اصطحب بتغير في ترتيب الاصوات ، حيث بدأت الكلمة العربية بالقاف وانتهت بالشين ، بينما تبدأ الكلمة

الانجليزية بالشين وتنتهي بالكاف وهي الصوت الذي يقـــرب من القاف العربية في الانجليزية •

وفى اللهجة العراقية ما ياتى :

دحج : بمعنى انظر تقابل الكلمة الفصحى «حَدق»[1] وفي الكلمة العراقية نجد الجيم المقابلة للقاف في الفصحى واقعة فاء للكلمة بينما هي فى الفصحى لامها •

زميج : بمعنى التـراب الذي يجلب ليوضـع على أرض حـدائق المنـازل قبـل زرعهـا • وهي تقـابل اللفـظ الفصيح « مزيج » • وهنا ايضا نجد الزاي في اللفظ العراقي متقدمة على الميم ، أما في الفصحى ولهجة الموصل فان الميم هي التي تتقدم على الزاي •

صِـگِـد • بمعنى صدق • ويلاحظ في اللفظ العراقي أن الدال قد تأخرت عن الجيم الرخوة (گـ) التي تقابل القاف في الفصحى ، بينـما تتأخر القاف في الفصحى عن الدال •

« راوي » هذا الفعل في العراقية بمعنى « أرى » على وزن أفعــل المتعدي بالهمزة وفيه « راويني » بمعنى « أرني » ومادة هــذا الفعل في الفصحى هي « الراء والهمزة وحرف العلة الأخير » •

وتميل العربية الفصحى لتسهيل هذه الهمزة بجعلها « واوا » كمـا حدث في صيغة « تفعّل » من هذه المادة وهي « تروّى » حيث صـارت الهمزة هنا واوا •

وفى المصرية ايضـا الفعـل « ورّى » (ورّاه الكتاب) وهــو على

---

(١) فى الموصل يقال « دحّق » بنفس هذا المعنى • وفيها نفس الظاهرة •

صيغة « فَعَل » المتعدية من هذه المادة . وقد صارت الهمزة فيه واواً ، وحدث فيه قلب مكاني صارت الواو بمقتضاه في موضع فاء الكلمة والراء في موضع عينها .

أما الفعل العراقي « راوى » مثل (راويني الكتاب) فنحن نرى ان الواو فيه بديله عن الهمزة (في رأى الفصحى) كما نلاحظ أن أصول مادته قد احتفظت بنفس ترتيبها في الفصحى ، ففاء الكلمة هي الراء وعينها الواو (المناظرة للهمزة في رأى) ولامه حرف العلة .

والفعل العراقي هذا صيغة تعدية ، لأنه يتصل بضمير المتكلم المفعول مع وجود مفعول ثان هو الكتاب . وفي العربية صيغتان للتعدية هي صيغة فعّل (أي تضعيف عين الفعل) وقد استعملت في الفعل المصري (ورّيني الكتاب) وهذه الصيغة كما هو واضح لم تستعمل في الفعل العراقي . وبهذا لم يبق سوى الفرض الآخر وهو استعمال صيغة « أفعل » لتعدية الفعل لمفعولين . وعلى هذا الفرض يتحتم أن نقول بأن الفعل العراقي قد مر بمرحلتين الأولى مرحلة القلب المكاني التي تم بمقتضاها تقديم الراء على همزة التعدية ، وثانيتهما تسهيل همزة التعدية ، وهي همزة قطع، بحيث صارت فتحة طويلة وبهذا تفسر العلاقة بين الصورة الفصحى للفعل وصورته في العراقية في المثال المذكور .

القلب المكانى وموازين الكلمات :

تلتزم المصرية ـ شأنها في ذلك شأن بقية اللهجات العربية والسامية عموما ـ نحت كلماتها وفق موازين خاصة . ومن هذه الموازين ما يزيد على اصول الكلمات مجرد حركات ، ومنها ما يزيد عليها حركات وحروفا .

---

(٢) تستعمل لهجة الموصل صيغة « فعّل » لتعدية هذا الفعل وتجعل همزة المادة واواً كالمصرية مثل « روّيني هذا » .

والنوع الأخير هو ما يسميه النحاة بالموازين المزيدة • ومن امثال الموازين المجردة وزن « فعل » « مثل » « ضرب » التي لم يزد على حروفها الاصلية حرف جديد • ومثال الموازين المزيدة وزن انفعل مثل انكسر وافتعل مثل اشتهر • وقد حدث في المصرية بالنسبة للوزن الأخير قلب مكاني فأصبح حرف التاء الزائد سابقا على الأصل الأول من اصول الكلمة ـ أي الشين في المثال المذكور ـ بينما هو فى العربية الفصحى غير سابق عليه •

ومثال ما يحدث في المصرية :ـ

اتْفَـأَع	في العربية	افتقع
اتشهر	في العربية	اشتهر
اتجضع	في العربية	اضطجع
اتعدل	في العربية	اعتدل
اتمنع	في العربية	امتنع

أمّا السبب في تقدم التاء الزائدة على الأصل الأول من أصـــول الكلمة فاننا نوضحه كما يلي :ـ

هناك تناظر بين وزن « انفعل » ووزن « افتعل » فكلاهما يدل عـلى معنى ووزن المبنى للمجهول • وقـد أثر هـذا التناظـر الدلالي فى حلول الوزن ذي التاء الزائدة محل الوزن ذي النون الزائدة فى بعض الامثـلة المصرية • ومثال ذلك انكسر واتكسر ، وانعدل واتعدل • وقد يفضي هذا في النهاية الى الاكتفاء باحد الوزنين عن الآخر •

ومن أجل هـذا التشابه الدلالي قيس وزن « افتعل » على « انفعل » فتقدمت التاء الزائدة كما تتقدم النون على الاصل الاول •

☆ ☆ ☆

هذه أمثلة لتأثير القلب المكاني في صيغ اللغة وأوزانها • وأني اقـرر

ان ما أعرض من فروض لتفسير هذه الامثلة من التطور اللغوي أمور تقبل المراجعة وتفسح المجال لفروض أخرى ، قد تكون أقرب الى الحقيقة من هذه التي أقدمها • وكل ما يعنيني هو أن يهتم الباحث اللغوي بهذه الظاهرة التطورية التي قد تساعد على فهم بعض ما يستغلق من دراسة لتاريـــخ المفردات •

٣ ـ التغيرات الصوتية

اولا التفخيم في المصرية •

اختلف التفخيم في اللهجة المصرية عنه في العربية الفصحى ، وتنج عن هذا الاختلاف في بعض الحالات أن اضطررنا لتغيير وجهة نظرنا بالنسبة لبعض المفردات المتشابهة في العامية المصرية والعربية الفصحى واليك بعض الأمثلة :ـ

أ ـ الكلمة الفصيحة « درب » ـ بمعنى الطريق ـ كلمة لا تفخيم فيها ، ولكنها في المصرية مفخمة • وقد نتج عن ذلك أن تشابهت في نطقها مع الكلمة الفصيحة والمصرية « ضَرْب » ولا يشعر متكلم مصري بأي فرق صوتي بين الكلمة الاولى فى كل من عبارتي « ضرب الاولاد » و « درب المهابيل » ـ وهو اسم شارع من شوارع القاهرة القديمة • ومن نتيجة هذا الاختلاف في التفخيم بين المصرية والعربية أن اصبح لدينا كلمة واحدة متعددة الدلالات بدلا من أن يكون لدينا كلمتان • والموقف في المصرية على هذا الاعتبار يشبه موقفنا من الكلمة الفصيحة « عين » بمعنى « جاسوس » وبمعنى « الباصرة » وسواء رضينا اعتبار « عين » بالمعنى الاول نفس الكلمة « عين » بالمعنى الثاني أو لم نرض ، فاننا ولاشك سوف نلتزم بنفس الاعتبار بالنسبة لكلمة « درب » بمعنى « طريق » و « ضرب » مصدر الفعل « يضرب » •

هذا مثال لتوحد كلمتين مختلفتي الأصل نتيجة لتطور أحداهما في صفة صوتية هي التفخيم بحيث اتفقت مع الكلمة الاخرى اتفاقا تاما •

ب ـ وقد يكون الامر على العكس من ذلك فنجد بين ايدينا لفظين مختلفين من اصل تاريخي واحد كما هو ظاهر بالنسبة لكلمة « فرد » المفخمة و « فرد » غير المفخمة •

وفى الكلمة الاولى عوملت الكلمة حسب ما تقتضيه تقاليد اللهجة المصرية بالنسبة للتفخيم ومن ثم نطقت رقيقة الاصوات في عمومها ·

وتستعمل في مثل العبارة « عندُه فرد وبندقية » ـ و « فرد » هنا بمعنى سلاح ناري صغير ، والعبارة « جوز وفرد » و « فردة حمام » و « فردة جزمة » ... الخ وكلمة « فرد » تظهر رقيقة الاصوات فيها جميعاً · ثم أخذت المصرية في احدث اطوارها تستعمل كلمة « فرد » في عبارات مقتبسة عن العربية الفصيحة الحديثة فاستعملتها مفخمة في مثل « الفرد خدام الجماعة والجماعة خدامة الفرد » والفرق الصوتي واضح بين نطق « فرد » هنا ونطق « فرد » في العبارات السابقة · ويمكن التمييز بين معنى الكلمة في الحالتين بمقارنتهما بالكلمتين الانجليزيتين (individual) وهي بمعنى « فرد » المفخمة و (one) وهي بمعنى الكلمة المصرية غير المفخمة ·

وهكذا يوجد فرق دلالي وفرق دلالي وفرق صوتي بين هذه وتلك في وقت واحد ووجود هذين الفرقين مبرر لاعتبار احداهما كلمة مختلفة عن الأخرى ·

ج ـ تجنح اللهجة المصرية الى استعمال نغمة مفخمة خاصة للتهويل ، وكثيراً ما تستعمل مثل هذه النغمة المفخمة لتخويف الأطفال أو للمبالغة · وقد تباورت هذه النزعة في بعض الكلمات المصرية التي تستعمل للتعجب · ومن هذه الكلمات ما هي مفخمة ومنها ما هي رقيقة · وبالرغم من اتحاد الاصل التاريخي فاننا نجد انفسنا مرغمين على اعتبار الصورة المفخمة كلمة مختلفة عن الصورة الرقيقة لاختلاف معنى كل عن الآخرى مع اختلافهما صوتياً بترقيق احداهما وتفخيم الاخرى · ويحضرنا من هذه ما يأتي :ـ

١ ـ الله	مفخمة	وتفيد الاعتراض
الله	رقيقة	وتفيد الاستهزاء
٢ ـ ياباي	مفخمة	وتفيد الاستهجان مع الضيق
ياباي	رقيقة	وتفيد الاستهزاء مع الضيق
٣ ـ ياه	مفخمة	وتفيد الضيق الشديد
ياه	رقيقة	وتفيد الضيق أو التعجب بدرجة اقل من سابقتها

ومن الواضح اشتراك كل زوج من هذه في الاصل التاريخي ولكن تبلور ما يمكن أن نطلق عليه فكرة المبالغة الى جانب الاختلاف الصوتي بالتفخيم والترقيق لا يترك لنا مجالاً سوى أن نعتبر كلا مختلفة عن رفيقتها •

ثانيا ـ أثر تغير السواكن في المفردات

أ ـ برتقالة في المصرية :

وهي اسم يطلق على الفاكهة المعروفة التي دخلت البلاد العربية من بلاد الاندلس أو من « البرتغال » • وقد أطلق هذا الاسم على هذه الفاكهة مع فرق صوتي ينسجم مع ما هو معروف من تبادل القاف والغين في بعض اللهجات العربية • وفي بعض القرى المصرية تنطق عبارة « ما أدرشي » (أي لا أقدر) بالغين لا بالهمزة فيقال « ما اغدرش » • وهذا التبادل بين القاف الفصيحة والهمزة والغين شائع في السودان ويشيع في السودان ايضا نطق الغين الفصيحة قافا • وكثيرا ما سمعت بعض تلاميذي من السودانيين يقولون « قير هذا » أي « غير هذا » (يحدث هذا ايضا في بعض قرى الأرياف العراقية) •

وفي فلسطين الشمالية تسمع كلمة « كال » بمعنى « قال » وفيها تقابل الكاف القاف الفصيحة •

وخلاصة القول ان هذه الاصوات : ق ، ك ، غ ، ء ، ج • تتبادل بعضها وبعض •

وقد أثرت هذه الحقيقة في كلمة (برتغال) التي اقترضت واطلقت على هذه الفاكهة المجلوبة من هذه البلاد فسمعنا في المصرية الكلمة منطوقة باحدى هذه الطرق :

برتقال ، برتؤان ، برتكان ، برتجان •

وبالرغم من أن الكلمة مقترضة وأنه لا يصح لي بذلك أن اوعى أنها عربية فصيحة فان الذي لاشك فيه أن استعمال الكلمة بالقاف استعمال أدبي أسبق من استعمالها بالهمزة أو الكاف أو الجيم • وبهـــذا يصح لنا أن نفترض وجود تطور صوتي انتهى بالكلمة الى هذه الامكانيات الاربعة •

ب ـ ورقة فى العراقية :

في العراقية نحن نعرف ان القاف الفصحى تصير جيما رخوه (اي غير معطشة كالجيم القاهرية) فتصير « قال » الفصحى فيها « گال » • ولكن العراقية نزعت اخيرا الى الاحتفاظ بالقاف الفصحى في الكلمات التي اخذت حديثا عن هذه اللغة مثل « دقيقة » « قرآن » « قانون » الخ •

ومن هذه الكلمات « ورقة » التي تستعمل في العراقية بالقاف الــى جانب الصورة العراقية القديمة لهذا اللفظ وهي « وَرْگَة » • وكانت النتيجة أن اصبح في العراقية كلمتان أولاهما « وَرْگَة » وتعني « ورقة الشجر » وثانيهما « وَرَقَة » وتعني « ورقة الكتابة » •

ج ـ قتل فى العراقية :

وفي العراقية كذلك لفظ « كتلَ » بمعنى « ضرب » وهو واضـح

الصلة بلفظ « قَتَلَ » العربي ، بل ان اللفظ العبري المناظر لقتل العربية له نفس المعنى الذي للفظ العراقي « كتل » .

وقد استعملت العراقية من الفصحى لفظ « قَتَلَ » محتفظة فيه بالقاف ، واستعملته بمعنى « ذبح » وبهذا اصبح في العراقية لفظان مختلفان « كتل » و « قتل » ولكنهما متحدان في اصلهما التاريخي

أ ـ كلمات العدد المركب فى المصرية :

نعني بالعدد المركب ما زاد على عشرة أو مكراراتها مثل عشرين ومائة والف ... الخ وتعامل العربية الفصيحة هذه الاعداد بتركيبها تركيبا نحويا يختلف في الاعداد من (١١) الى (١٩) عنه في سواها ويتخلص في فتح كل من جزئيها . أما الاعداد المركبة الأخرى مثل (٢٥ ، ١٠٥) الخ فتركبها بطريق عطف كلمة لاحقة على كلمة سابقة حساب ما هو واضح في كتب النحو العربي .

أما المصرية فانها تميل الى التخفيف من درجة احتكاك صوت العين مما يقرب بها الى الحركة ، والملاحظ ان هذه النزعة قد زادت بالنسبة للعين في الاعداد المركبة من (١١) الى (١٩) بحيث تخلصت هذه الاعداد نهائيا من العين فوجدنا « الشين » في الجزء الثاني من المركب مسبوقة بفتحة طويلة لا بعين مفتوحة كما في الجزء « عشر » في العبارات الفصحى . وقد نتج عن ذلك انه لم يصبح من الممكن اعتبار العدد المركب من بين التركيبات النحوية كما في العربية الفصيحة ، حيث قد صار بناء على هذا التطور الصوتي كلمة واحدة .

وقد سبق أن ذكرنا اننا نلجأ لتقسيم الحدث اللغوي الى كلمات بالبحث عما اذا كان من الممكن ان نقدم جزءاً من اجزائه أو نؤخره أو نضع مكانه جزءاً آخر . فاذا امكن ذلك عرفنا اننا بازاء قسم دلالي ـ أي كلمة أو لاصقة ـ

من أقسام الحدث • ولتمييز الكلمة من اللاصقة نلجأ الى اختبار آخر هو أن نتعرف عما اذا كان الممكن أن يستقل الجزء بنفسه مع أدائه معنى كاملا ، فاذا أمكن استقلاله فهو كلمة ـ أو صيغة حرة ـ وان لم يكن فهو لاصقة ـ أو صيغة غير حرة •

وباجراء هذين الاختبارين على العدد « اربعطاشر »[1] مثلاً نجد ما يأتي :ـ

١ ـ يوجد الجزء الاول « أربع » في استعمالات مصرية أخرى منفصلاً عن الجزء الثاني مثل « أربع جمال » •

٢ ـ ليس في المصرية نظير للجزء الثاني في كلمات العدد ، حيث أن كلمة « عشر » متبدئة بعين مفتوحة بينما يبتدىء الجزء الثاني من « اربعطاشر » بحركة طويلة •

ولما كانت المصرية لا تبدأ كلماتها بالحركة بل بهمزة وصل ، فان هذا الجزء لو صح وكان كلمة من الكلمات المصرية لكان « آشر » وليس « عشر » وهو مالا يوجد بين مفرداتها •

٣ ـ توجد تاء بعد العين تناظر التاء التي في العدد المركب الفصيح « أربعة عشر » وهذه التاء في الفصيحة تاء تأنيث تلحق الجزء الاول من العدد المركب اذا كان مميزة مذكراً • وهذه القاعدة نفسها تنطبق على العدد المفرد مثل « أربعة رجال » وفي هذا ما يؤيد كون « أربع » في « أربعة عشر رجلاً » و « أربع عشرة امرأة » و « أربع نساء » و « أربعة رجال » كلمة واحدة •

---

(١) فى اللهجة العراقية يقال « أرباطعش » •

٤ ــ تستعمل هذه التاء في الفاظ العدد المفرد في المصرية ولكن لوظيفة آخرى غير التمييز بين المذكر والمؤنث . وانت لا تجدها مستعملة مع المميز المذكر ولا مع المميز المؤنث في المثالين الآتين :ــ

أربع عيال ، أربع بنات

ولكنا نجد مستعملة مرة وغير مستعملة مرة أخرى والمميز مذكر في كل من المثالين :ــ

أربعة ألام (أربعة أقلام) ، أربع جمال .

٥ ــ وظيفة هذه التاء في المصرية هي الفصل بين كلمة العدد ومميزها الذي يبدأ بهمزة وصل . ولهذا لانجدها في المثال « أربع أرانب » لأن الهمزة في أول الكلمة الثانية همزة قطع ، ولا في « أربع بنات » أو « أربع عيال » لعدم وجود الهمزة .

٦ ــ هذه حقيقة تطورية انتقلت بالتاء التي تستعمل في العربية الفصحى للتفريق بين المذكر والمؤنث الى تاء فاصلة بين همزة الوصل والكلمة السابقة عليها ، أو بعبارة اخرى فان وظيفة هذه التاء قد صارت مجرد خاصة صوتية بعد أن كانت كما تشهد الفصيحة حقيقة نحوية .

٧ ــ كلمات العدد من (١٣ الى ١٩) تحتوي على هذه التاء التي لا يمكن أن تعتبر للتأنيث ولا للفصل لأن كلاً منها كما قلنا كلمة واحدة وليست تركيباً يحتوي على اكثر من كلمة . وأدوات التأنيث والخاصات الصوتية الفاصلة تلحق أواخر الكلمات لا أوائلها في المصرية .

٨ ــ اذا قارنا كلمة « أربعطاشر » بكلمة « مسلمون » لاحظنا امكان تقسيم كل منهما بحيث يتشابه الجزء الأول فيهما مع كلمة أخرى يمكن أن تستقل بنفسها بينما لا يمكن استقلال الجزء الثاني على هذا الوضع .

أربعطاشر ، أربعة ِ وْلاد ـ والجزء المشترك « أربع »

رجال مسلمون ، رجل مسلم ـ والجزء المشترك « مسلم »

ومعنى هذا ان لدينا في كلا الحالتين صيغة حرة هي « مسلم » و « أربع » وصيغة غير حرة هي « ون » و « آشر » .

ثالثا أثر تغير الحركات في المفردات :

نعرض الأمثلة الآتية لبيان هذه الظاهرة :ـ

(أ) الضمة الطويلة فى آخر الكلمة .

المصرية تتخلص من الضمة الطويلة في أواخر كلماتها . ويظهر ذلك في الافعال التي تنتهي في الفصيحة بمثل هذه الضمة وهي الكلمات التي تعرف بالافعال المعتلة الأخر بالواو . ومثالها : يدعو ويعلو . وقد تخلصت المصرية من هذه الضمة الطويلة بأن جعلتها فتحة أو كسرة . فنحن نقول يدعي ويعلا .

وقد عاملت المصرية كلمة « مانجو » المقترضة نفس هذه المعاملة فتخلصت من الضمة الأخيرة وجعلتها فتحة ، ثم لم تلبث أن انهت الكلمة بهاء أو بتاء مربوطة ، حسب قانون صوتي آخر .

وأصل هذه الكلمة من الملايو وقد أخذها الأنجليز من هذه البلاد[١] ومن الأنجليزية أخذتها العربية على ما اعتقد .

(ب) هاء السكت في المصرية .

وهي الهاء الزائدة للسكت في أواخر الكلمات المصرية المنتهية بفتحة

---

(١) انظر قاموس : Concise English Dictihary . كلمة Mango

وتسقط هذه الهاء في الوصل ومن امثلتها :ـ

الفعل « نده »

يذكر الاستاذ ريتشارد س • هاريل في بحثه القيم « أصوات اللهجة المصرية العربية »(٢) ان الهاء نادرة الوقوع في آخر الكلمة المصرية وانها كثيرا ما تسقط في الوصل • وقد مثل لذلك بالكلمات « منبه » و « نزيه » و « نده » التى تسمع ايضاً هكذا « نادى» ونحن نذكر للقارىء ما نراه من زيادة الهاء في اواخر الكلمات المنتهية بفتحة وبسقوط الأخيرة اذا كانت مسبوقة بفتحة عند الوصل مثل « بيضة » • وكلمتا « منبه » و « نزيه » تنتهيان بهاء مسبوقة بكسرة ومن ثم فانها لاتسقط •

وفي رأينا أن « نده » هي الكلمة المصرية ، أما « نادى » فافتراض حديث من الفصحى احتفظت فيه المصرية بالفتحة الطويلة الأخيرة دون زيادة هاء في نهاية الكلمة حسب ما تقتضي به القوانين الصوتية في الفصيحة •

ومع ذلك فهناك فرق بين « نده » و « أرْه » (قرأ) يتمثل في سقوط الهاء في الأخيرة في الكلمة الثانية عند الوصل ولزومها في الاولى في الوصل والوقف • وهنا نلمح تطوراً لا في الصوت ذاته بل في سلوكه • وهذا التطور هو عدم سقوط الهاء الاخيرة في « نده » في الوصل •

ونحن نفترض ما يأتي :

١ ـ الفعل الفصيح « نادى » ينتهي بفتحة طويلة ، وطبق ما ذكرنا يتحتم في المصرية أن تقصر الفتحة وان ينتهي بهاء عارضة تلزم آخره في نهاية الكلام •

---

(٢) Richards Harrel's Phonology of colloqual Egyptian.

وقد نشر فى نيويورك سنة ١٩٥٧ ٠ انظر ص 1—5—6—

٢ ـ اصبحت هذه الهاء العارضة لازمة وبهذا صارت احدى أصول الصيغة • وربما ساعد على ذلك اللزوم قصر الفتحة الطويلة بعد النون ممـا جعل الفعل يبدو على صورة حرفين • وقد عرض لزوم الهاء للصيغة بسبب هذا النقص الكمي ، وبواسطتها اصبحت الصيغة ثلاثية بعد أن كانت نتيجة لقصر الفتحة بعد النون ثنائية •

٣ ـ نتيجة هذا ، تطور خاصة الهاء الزائدة الى وحدة صوتية ثابتة في هذه الكلمة •

« نادي » و « نده » :

يعتبر الاستاذ هاريل « نده » طريقة اخرى من نطـق « نادي » • ونحن نختلف معه في ذلك ونعتبر « نده » فعلاً آخر مختلفاً عن « نادي » أما دليلنا على ذلك فهو اختلاف تصريفهما • والصيغة الفعلية مرتبطة بتصريفاتها ، أي انها لا تتعين بمجرد مظهرها الصوتي بل بما يتصـرف عنها من صيغ كذلك • وبالتالي يكون اختلاف الصيغ المتصرفة عن « نده » عن الصيغ المتصرفة عن « نادي » دليلاً على اختلاف الصيغتين أي على عدم اعتبار احداهما طريقة ثانية لنطق الأخرى • واليك مثالين لاختلاف الصيغ المتصرفة عن كل من « نده » و « نادي » •

(أ) اسم الفاعل « مِنادي » من نادى : ويناظره من « نده » اسم الفاعل المؤنث وله معنى خاص ، نَدّاهَة = انثى الجن •

(ب) اسم الفاعل المستعمل بعد الافعال المسـاعدة مثل « راح » و « قام » • « فات على قمت ناده له » أو « رحت ناده له » و « ناده » صيغة متصرفة عن « نده » •

« فات على قمت منادية » أو « رحت منادية » • و « منادي » صيغة متصرفة عن « نادي » •

واختلاف تصريف اسم الفاعل بحيث يبدأ بميم زائدة في حالة دون الأخرى دليل على اختلاف الفعل الذي اشتق منه •

٤ ـ تخفيف الصيغ

تخفيف الصيغ ظاهرة صوتية توجد في جميع اللغات • ولما لهـذه الظاهرة من آثار على تطور مفردات اللغة رأينا ضرورة الحديث عنها مع هذه الظواهر الصوتية التي نشير اليها •

ومعنى تخفيف الصيغة أن ينطق بالكلمة مع نقص بعض اصواتها ، أو مع اختفاء بعض العناصر النطقية منها مما يجعل الصيغة المخففة لكلمة ما تبدو مختلفة عن الصيغة العادية للكلمة نفسها • ولدينا في المصرية كلمة « شاء » وتنطق بهمزة أخيرة في صيغتها العادية • ولكن لهذه الكلمة صيغة مخففة أخرى لا تنطق فيها الهمزة • ويتضح ذلك من مقارنة العبارتين :ـ

« ما شاء الله ! ! » في المصرية « ماشا الله عليك » •

أما في اللهجة العراقية فتنطق « ماشا الله » •

وتشيع ظاهرة تخفيف الصيغ في الكلمات التي يكثر استعمالها ، اما لانها تستعمل في قواعد اللغة استعمال الادوات مثل أداة الاستقبال في المصرية « رَح » وهي صيغة مخففة للصيغة « رايح » وفي العراقية « راح » •

وقد يكون سبب تخفيف الصيغة كثرة استعمالها في عبارات تجري مجرى الامثال كصيغة « شاء » المخففة في العبارة السابقة التي تستعمل في التعجب والتهكم وغير ذلك •

ومما يلاحظ ايضا ان الصيغ المخففة تشيع في الكلمات التي تكـون أجزاءاً من العبارات الثابتة (الكليشهات التعبيرية) مثل « السلام عليكم » « عليكم السلام » « رحمك الله » ، « حرماً » ••• الخ •

ولقد يكون الدافع لتخفيف الصيغ دافعا اجتماعيا كما قـد يكون تركيبيا ، ونعني بالدافع التركيبي ما ذكرنا من استعمال الادوات •

أما الدافع الاجتماعي فهو أن يتحدد استعمال عبارة من العبارات بظرف اجتماعي خاص ولا غير ، بحيث لا يجوز استعمالها في سواه مع الاحتفاظ بالوظيفة الدلالية التي تؤديها ، واليك عدداً من الظروف الاجتماعية التي نستعمل فيها نحن متكلمي العامية بعض العبارات الخاصة في اللهجة المصرية والعراقية :-

١ ـ التحية : ونستعمل فيها التعبيرات ، « السلام عليكم » ، « مساء الخير » « صباح الخير » بالذات دون سواها من التعبيرات التي تؤدي نفس معانيها ؛ فمثلا لا يجوز أن نقول « الامان عليكم » أو « السلام لكم » بدلا من « السلام عليكم » كما لا نستطيع أن نقول « غروب الخير » أو « شروق الخير » أو « مساء البركة » أو « صباح النعمة » الخ • بدلا من « مساء الخير » و « صباح الخير » •

وتكون هذه في اللهجة المصرية والعراقية على السواء •

٢ ـ تشميت العاطس • ونقول في هذا الظرف بالمصرية ، « رحمك الله » أو « رحمكم الله » وفي العراقية كذلك •• دون عبارات مماثلة لها في دلالتها مثل « غفران الله لك » أو «الله يرحمك » الخ ••

٣ ـ التبريك بالعودة سالماً : وفي هذ الظرف نقول « حمد الله ع السلامة » وفي اللهجة العراقية كذلك ، دون عبارة « شكر الى ع السلامة » التي تحل فيها كلمة « شكر » المماثلة دلالة لحمد بدلاً عنها •

ويقوم الظرف الاجتماعي بدور خطير في تحديد دلالات هذه العبارات بحيث أن لو سقطت بعض أصوات هذه العبارات أو اختلف أداؤها بعض الاختلاف لما عاق ذلك فهمها فهما كاملا •

ومن ثم ينزع المتحدث الى عدم الاكتراث بالاداء السليم الدقيـــق ، ليقينه من قيام الظرف الاجتماعي المساعد الذي يعوض بعض ما قد يتعرض

له الحدث اللغوي من اهمال في الاداء • ومن اجل هذا نسمع – ونفهم – عبارة « سامْ اليكم » بل و « سلمْ عَ » أو « ساعيكم » الخ بدلاً من الصيغة الكاملة « السلام عليكم » كما نسمع « سالخير » بدلاً من « مساء الخير » و « َحمك الله » بدلاً من « رحمك الله » • كما نلاحظ ان لفظ الجلالة ينطق « الله » بكسر اللام الرقيقة بدلاً من « الله » باللام المفتوحة المفخمة في عبارات « حمد الله ع السلامة » ، « بسم الله »[1] •

كذلك يخصص الظرف الاجتماعي عبارات بذاتها للرد على مثل هذه التحيات ، فعبارة « عليكم السلام » لا تصلح مكان عبارة « السلام عليكم » وعبارة « هداكم الله » لا تصلح مكان عبارة « رحمك الله » الخ ، بالرغم من أن الفرق بين بدء التحية والرد عليها قد يكون مجرد فرق تركيبي ولا أكثر ، كما هو ظاهر في عبارتي « السلام عليكم » و « عليكم السلام » التي تفترق كل منهما عن الأخرى في مكان المبتدأ بالنسبة للخبر ولا غير •

أما الدافع التركيبي لتخفيف الصيغ فهو تخصص لفظ من الالفاظ باستعمال تركيبي معين ، كاختصاص استعمال « سوف » بالدخول على صيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستقبال،ويعتبر هذا سببا تركيبيا لتخفيف صيغتها الى « سين » الاستقبال •

وقد يصح ما ذكره النحاة من أن « سوف » للمستقبل البعيد والسين للمستقبل القريب ، كما قد يكون قولهم هذا – كما عودونا – مجرد التماس للاسباب ، قد يصح هذا وقد يصح ذاك ولكن الشبه الواضح في

---

(١) لا تكفي الكتابة العادية المستعملة فى المطابع العربية لضبط النطق بهذه العبارات المخففة • ولذا نترك للقارىء تصور النطق الواقعي لها من تجاربه الخاصة •

الصيغة والوظيفة بين هاتين الاداتين يشير اشارة قوية لوحدة اصلهما ؛ أو بعبارة أخرى لكون الثانية مجرد تخفيف للصيغة الأولى .

وما يقال عن « سوف » و « السين » يقال كذلك عن « هو » و « هُ » الضمير المتصل بالفعل والاسم فهناك شبه واضح في الصيغة والدلالة . وقد حدث ـ كما نستطيع أن نفترض ـ ان كانت الصيغة التامة « هو » تستعمل في أول لجملة أي مبتدأ ـ كما تستعمل مفعولا بعد الفعل ، أو مضاف اليه ـ بعد الاسم ـ ، فنقول ـ فرضاً ايضاً ـ « هو محمد » ، « ضربت هو » ، « كتاب هو » . ويجدر بنا أن نشير هنا الى نزوع العربية الفصيحة الى النطق بالضمير « هو » دون تحريك الواو بالفتحة كما في « لا اله الا ُهو » أما سبب ذلك ـ على ما نفترض ايضاً ـ فهو أن الوقف على آخر الكلمات العربية يكون بالسكون . وقد مهد ضم الهاء لأن يكون هذا السكون مدّاً للضمة ؛ والمد في عرف اللغويين العرب سكون كذلك . واذا صح هذا الفرض فان عبارة « ضربت هوَ » في الوقف تكون « ضربت ُهو » بضم الهاء ضمه طويلة أو قصيرة ، وهذه الأخيرة هي نفس الصورة التي يظهر بها ضمير الغائب المفرد المذكر المتصل ، أو الهاء المضمومة في مثل ضربته وكتابه .

الصيغ المخففة وتخفيف الصيغ :

هناك فرق لا يصح اهماله بين كل من السين وسوف من ناحية وهو وضمير الغائب المفرد المذكر المتصل من ناحية أخرى . ذلك أن كلاً من السين وسوف تستعمل في نفس المواضع والنفس الوظيفة التي تستعمل فيها الأخرى ؛ بينما أن هناك فرقاً استعمالياً بين « هو » و « هُ » الضمير المتصل . وذلك الفرق هو استعمال احداهما في حالة الرفع والأخرى في في حالتي النصب والجر . ومعنى هذا أن هناك تكاملاً وظيفياً بينهما وهذا التكامل الوظيفي يمنع اعتبار احداهما صيغة مخففة للاخرى ، لأن الصيغة

المخففة لا تكمل الصيغة الاصلية بل تحل محلها على سبيل الاختيار •

ولتوضيح معنى التكامل الوظيفي أذكر لك أن كلمة مثل « محمد » تقع في جميع المواقع الاعرابية التي يقع فيها اسم الذات اي انها تقع في مواقع الرفع ومواقع النصب ومواقع الجر • وبهذا الاعتبار لا يوجد تكامل وظيفي بين « محمد » وبين سواها من الكلمات كما يوجد بين « هو » و « هُ » •

ويمكن تشبيه « محمد » بحارس البيت الذي تقع مسئولية حراسته عليه طول الوقت • كما ويمكن تشبيه « هو » بحارس الطريق و « ه » بزميله الذي يتناوب معه الحراسة • وتقع مسئولية كل منهما في وقت معين من أوقات اليوم ، هو ساعات نوبته ، فاذا ما انتهت هذه الساعات صارت المسئولية الى حارس سواه •

حارس البيت في هذه الحالة حارس كامل أما حارس الطريق فحارس يكمله من يقوم مقامه من حراس عند انتهاء نوبته • وبهذا لو قلت « حارس البيت » فاني أعني أحد افراد يختص كل منهم بظرف معين ولا يمكن اعطاء أحدهما أهمية اكثر من سواه •

ونستطيع ان نخلص من كل هذا بالتفريق بين تخفيف الصيغ والصيغ المخففة • وتخفيف الصيغ عملية اجتماعية لغوية تؤثر في الصورة النطقية للفظ من الالفاظ تأثيرا ينتج عنه وجود صيغتين متشابهتين تشابها صوتيا ووظيفيا • وينتج عن هذا تكامل وظيفي بين الصيغتين كما رأيت بالنسبة للضميرين « هو » و « هُ » أو تماثل وظيفي بينهما بحيث يمكن احلال احداهما محل الأخرى دون فرق تركيبي كما يمكن احلال « أحمد » محل « محمد » أو السين محل سوف •

والصيغ المخففة هي الصيغ ذات الاصل التأريخي الواحد التي تنشأ عن عملية تخفيف الصيغ والتي يقوم بينها تماثل وظيفي • ومثالها السين

وسوف في الفصحى و « مش » و « ماهش » في المصرية « وشون » و « شلون » في العراقية •

وتلعب عملية تخفيف الصيغ دوراً خطيراً في التطور اللغوي وتنتهي في كثير من الاحايين بتولد لاصقات أمامية وخلفية في بعض الكلمات •

ولدينا كلمة « أنا » وعنها تولدت همزة المضارعة في مثل أكتب وضمير المتكلم المتصل في مثل « ضربني »[١] وكلمة « أنت » وعنها تولدت التاء في أول المضارع وفي آخر الماضي ••• الخ •

وتحدث عملية تخفيف الصيغ عادة في الكلمات التي تزيد درجة تواترها frequency كأداة التعريف وأدوات التوكيد والنفي والضمائر وغيرها • وهذا هو العامل التركيبي الذي أشرنا اليه • كما تحدث ظاهرة تخفيف الصيغ ايضاً في العبارات ذات الوظيفة الاجتماعية المحددة كعبارات التحية والترحيب والمجاملة والتعزية وغيرها • وفي هذه الحالة يقوم الظرف الاجتماعي بدور كبير في تعيين دلالة الحدث اللغوي ، ان لم تكتمل أصواته في عددها أو في اداء كل منها كما يعين الوضع التركيبي ، في الحالة الأولى ، للكلمة التي ينتابها التخفيف بحيث لاتختلط بسواها من الكلمات •

« أكو » في العراقية

يختلف استعمال « كان » في العراقية عن استعمالها في العربية الفصحى

---

(١) نذكر القارىء هنا بما يحدث في نطق المصريين والعراقيين لضمير المتكلم المفرد على هذا النحو « آني » أي بنون مكسورة بعدها ياء وهي بهذا الشكل قريبة من اللاحقة « ني » في آخر الفعل • ومن ثم لا يكون هناك محل اعتراض على ما نقول ، لأن النون في « أنا » متلوة بفتحة و « ني » متلوة بكسرة • وعلى فرض صحة مانقول تكون النون التي يسميها النحاة نون الوقاية ذات صلة تاريخية بضمير المتكلم « أنا » اكثر مما للياء التي أصبحت ـ بفعل وظيفتها عند اضافة الاسماء اليها ـ أولى من النون باعتبارها ضميرا •

فهي في العراقية تستعمل للدلالة على الزمن الماضي فحسب ومن ثم لا يستعمل مضارعها ولا ماضيها ولا اسم فاعل منها ، بل يستعمل الفعل « صار » في هذه الحالات • فالتعبير العراقي المناظر للتعبير الفصيح « سيكون طيباً » هو « حيصير زين » والتعبير العراقي المناظر للتعبير الفصيح « هذا لن يكون » هو « هذا ما يصير » والتعبير العراقي المناظر للتعبير الفصيح « لقد كان » هو « صار » ••• الخ •

أما « كان » في العراقية فتستعمل للدلالة على المضي في الجملة الاسمية ، مثل « محمد في البيت » يصير زمنها ماضياً باضافة « كان » فيقال « محمد كان في البيت » •

والواضح أن « أكو » ترتبط تاريخيا بكان التامة في صيغة المضارع في الفصحى، فهي تشبهها في الدلالة حيث أن كليهما بمعنى يوجد كما تشبهها في الصيغة مع فرقين هامين اولهما سقوط النون وثانيهما البدء بالهمزة •

وسقوط النون أمر مألوف في مضارع كان المجزوم ومنه « ولم أك بغيا » أما الهمزة فهي همزة المتكلم في صيغة المضارع • ويكون الذي حدث بالنسبة لهذا الفعل في العراقية هو تخصصه في هذه الصيغة بحيث اصبحت صيغة « أك » وحدها دون تغير تستعمل للمتكلم والمخاطب والغائب المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث ، بحذف نونها الأخير حتى في غير النفي (الذي يصحب الجزم وسقوط النون في الفصحى) •

أما التخصص في المعنى فهو اقتصار هذه الصيغة على الدلالة على الوجود ، بعد ان كانت في الفصحى تستعمل للدلالة على مجرد الوجود اذا كانت « تامة » أو على الزمن ان كانت ناقصة •

« فد » العراقية

يمكن القول بأن الأصل التاريخي لهذه الكلمة هو كلمة « فرد »

الفصحى • ولا تزال « فرد » بالراء تسمع من بعض سكان بغداد مستعملة نفس استعمال « فد » مما يؤكد هذه الصلة التاريخية بينهما •

وقد اصبحت « فد » في العراقية اداة تنكير تقابل اداة التعريف « ال » وتخصص استعمالها في هذا ففقدت الدلالة على الوحدة ، ولهذا يقال في العراقية ما يأتي :ـ

جيب فد واحد	وقد استعملت هنا للدلالة على المفرد المذكر
جيب فد واحدة	وقد استعملت هنا للدلالة على المفرد المؤنث
جيب فد خمسة	وقد استعملت للدلالة على الجمع

رايح وراح و ح

تفيد صيغ اسم الفاعل في جميع أفعال الحركة في المصرية استقبال الفعل الذى يليها وذلك مثل « نازل يلعب » « سافر يزور أخوه » الخ • ومن هذه الصيغ « رايح » اسم فاعل من « راح » • وقد تخصصت « رايح » دون سواها من اسـماء الفاعل المشتقة من افعال الحركة في الدلالـة على الاستقبال ثم خففت صيغتها الى « راح » و « حَ » وصارت ثلاثتها أداة تفيد استقبال الفعل المضارع مثل :

« رايح آكل » ، « راح آكل » ، « حاكل »

ونلاحظ هنا ان « رايح » غير المخففة قد فقدت دلالتها الفعلية ولكنها احتفظت بتغير صيغها مع المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث ، أما « راح » و « ح » الصيغتان المخففتان فقد لزمتا صيغة واحدة في كل هذه الحالات كما ترى في الامثلة :ـ

انا رايح آجي	أنا راح آجي	انا حاجي
انتي رايحة تيجي	انتي راح تيجي	انتي حتيجي
هم رايحين يجو	هم راح يجو	هم حيجو
الـخ	الـخ	الـخ

٥ ـ تداخل الصيغ

نعني بتداخل الصيغ توحد كلمتين أو أكثر توحداً لا يمكن معه أن نقسم الصيغة الناتجة منه الى صيغ حرة أو غير حرة •

وللتمثيل لذلك نذكر ان الكلمة المصرية « معلش » تتصل كما هو ظاهر اتصالا تاريخيا بالعبارة « ما عليه شيء » • وهذه العبارة ـ كما هو ظاهر أيضا ـ تقسم الى الصيغ ما ، على ، ه ، شيء • وقد تداخلت هذه الصيغ كلها واتحدت في الكلمة المصرية التي لم يعد من الممكن أن تقسم هذا التقسيم أو تقسيما قريبا منه دون الاخلال بشكلها الصوتي ودلالتها في نفس الوقت ، اذ لا يقال « علش » باسقاط الميم ولا « ما علَي » باسقاط الشين الاخيرة مثلا •

وقد ينتج تداخل الصيغ في المصرية بعد نشاط ظاهرة تخفيف الصيغ كما حدث في المثال السابق الذي خففت فيه صيغة « ما » بقصر حركتها وصيغة « ـه » بسقوطها تماما في « معلش » ـ وان كان يمكن أن توجد في « معلهش » ـ وصيغة شيء بأن اصبحت مجرد « ش » أخيرة •

ولكن تداخل الصيغ في المصرية يحدث كذلك باندماج حرف الجر مع الكلمة السابقة عليه اندماجا تحدث معه صيغة جديدة تضاف الى مفردات اللغة • وسنعرض ما يأتي أمثلة لذلك •

١ ـ زَأل = قذف بحجر •

نستطيع ان نفترض ارتباطا تاريخيا بين هذا الفعل وبين « زأّلـه » أي دفع شيئا نحوه • ولو صح هذا لكان قد عانى تغيرين •

١ ـ تداخل الصيغ الذي سبب توحد « زأ » مع اللام •

٢ ـ سقوط شدة الهمزة وبقاء الفتحة مما تكون معه النتيجة

« زَأل » لا « زَأَل » •

ومما يساعد على هذا الفرض أن « زأَل » على وزن « فعّل » وهي صيغة تدل على المبالغة في الحدث مثل « قتّل » • وعلى هذا يتلخص فرضنا في حدوث التطور على خطوات ثلاث ، كما يأتي :-

عندما تداخلت صيغة الفعل « زأ » واللام نتج عنها فعل على وزن « فعَل » ولما كان هذا الوزن في الافعال وزن يشتق للدلالة على المبالغة في الحدث من فعل على وزن « فَعَلَ » مثل « قَتَلَ » وهي مشتقة من « قَتَل » فقد اعتبرت المصرية الصيغة « زأَل » للدلالة على كثرة الحدث ثم ابتكرت صيغة أخرى على وزن فعل « زأَل » وهي نظيرة « قَتَل » وتستعملان للحدث العادي و « زأَل » وهي نظيرة « قتّل » وتستعملان للحدث مع المبالغة فيه •

٢ ـ عابالك « عقبالك »

حدث في هذا التعبير ما حدث في التعبير « زأله » وأصله التاريخي يرتبط بالعبارة العربية « عقبى لك » • وقد تداخلت صيغة « عقبى » وصيغة لام الجر فكونتا كلمة جديدة هي عأبال (عقبال) • ونحن نحس بدلالة المصدر في هذه الكلمة كما نحس بقرب هذا الوزن من وزن المصادر العربية •

ومع ذلك فليس هناك تصريفات أخرى تؤيد اعتباره مصدرا مثله «ضرب» و «مضروب» مثلا وسواهما من الصيغ التصريفية المتصلة بالمصدر « ضَرْب » وسبب هذا النقص التصريفي في كلمة « عقبال » انها قد تطورت عن اصلها تطورا جديدا لم يمكن من نحت صيغ تصريفية مختلفة تساوي بينها وبين سواها من المصادر التي ترتبط تصريفيا بصيغها الفعلية والوصفية المختلفة •

ولكن ما الذي يدلنا على أن « عقبا لك » ليست مكونة من « عقبى » واللام والكاف ؟!؟

سنقدم الدليل على ذلك مما نعرف من قوانين صوتية • ولعل القارىء يلاحظ أن لام الجر المكسورة اذا دخلت على كلمة « محمد » مثلا سقطت كسرة ميم « محمد » وكونت مع اللام السابقة عليها وحركتها مقطعاً على هذا النحو :ـ

لمحمد = لِمْ + حَمْ + مد •

ولكن العبارة « عقبال محمد » لا تخضع لهذا القانون ، فلا تزال « محمد » محتفظة بالكسرة التالية لميمها الاولى • وسبب ذلك أن اللام الأخيرة في « عقبال » لام ساكنة لأنها آخر كلمة وأواخر الكلمات المصرية ساكنة ـ وليست لام جر مكسورة •

٣ ـ « وياك » بمعنى معك وهي ترجع تاريخيا الى عنصرين واو العطف والضمير المنفصل • وفي الفصحى لا يأتي بعد « ايا » اسم ظاهر فلا يقال «ايا محمد» ولكن تداخل واو العطف و «إيا» جعل ذلك ممكنا حيث يقال في كل من المصرية والعراقية «وياك» و «وياه» الى جانب « ويا محمد »

٤ ـ مال :

في العربية الفصحى عبارة « مالَكَ »(١) مكونة من « ما » الاستفهامية ولام الجر وكاف المخاطب • وكما حدث فيما تقدم من امثلة اتحدت ما واللام وتكونت كلمة مصرية جديدة تعتبر اسما تتصل به الكاف • أما كيف نستدل على أن اللام قد اتحدت مع ما ، ومن ثم لم تظل حرف جر ، فهو سلوكها الصوتي اذا ماوليتها كلمة مبدوءة بساكن مثل «محمد» ولام الجر كما سبق أن رأيت تفقد الحركة ، ثم تكون أول مقطع نهايته في الكلمة

---

(١) أما في اللهجة العراقية فيناظرها كلمة « شبِيك » •

التي تليها فنقول « لِمحْمد » أما هنا فلا نقول « ما ْلمحْد » بكسر اللام بل « مالْ محِمد » بسكون اللام وكسر الميم • وما حدث هنا شبيه بما حدث في « عقبال » •

وتستعمل اللهجة العراقيـــة اللفظ المركب « مال » للدلالة عـلى الملكية بمعنى اللفظ المصري « بتاع » والانجليزي « of » • وقد سارت العراقية خطوة اوسع من المصرية في تأكيد استقلال هذه الكلمة عن اصلهـا التاريخي (اي ما ولام والجر) وذلك بجواز تأنيثها كما تؤنث الاسماء حيث يقال في العراقية « هذي مالتي » للمؤنث و « هذا مالي » للمذكر •

وتستعمل اللهجة السورية « مال » اداة للنفى فيقال « انا مالي نايم » بمعنى « انا لست نائما » •

ويمكن ارجاع هذه التطورات الثلاثة المختلفة الى استعمال « ما » في العربية الفصحى • و « ما » في الفصحى قد تكون موصولة أو استفهامية أو نافية • وعن « ما » الموصولة واللام تطورت الكلمة الفصحى « مالك » (بمعنى الذي لك اي الذي تملكه) **والكلمة العراقية « مال » التي** تذكر وتؤنث (مالك ومالتك) وعن « ما » الاستفهامية نشأت اداة الاستفهام المصرية في مثل « مالك وماله » (بمعنى ما شأنك به) •

وعن « ما » النافية ممتزجة بلا النافية ، نشأت اداة النفي السورية « مال » كما في المثال الذي اشرنا اليه •

٦ ـ جاب ـ نشأ هذا الفعل في اللهجات الحديثـة بامتزاج الفعـل جاء مع باء الجر في مثل العبارة « جاء بالكتاب » • وقـد سقطت الهمزة الاخيرة من « جاء » ثم اتصل ما بقى من الصيغة الفعلية بالباء وتنتج فعـل جديد يتصرف الى « يجيب » وجايب الخ •

٦ ـ القرض اللغـوي

تختلف مفردات اللغة عن قواعدها في أن الاولى ـ أي المفردات تمثل من الناحية السيكولوجية انعكاسا سريعا لما يطرأ على الجماعة اللغوية من تغير مادي ونفسي • أما الوظيفة السيكولوجية للقواعد فانها اكثر ثباتا واستمرارا • ومن أجل هذا نلاحظ أنه من اليسير حدوث تطور في معاني المفردات أو في صيغها نتيجة لاتصال الجماعة بسواها من الجماعات او الاختلاف الثقافي الذي يطرأ مع الزمن على الجماعة •

ولنأخذ اللغة العربية الفصحى مثالا لتوضيح ما نريد • ومن المسلم به ان المجتمع العربي الحديث قد اختلفت قيمة الحضارية عن المجتمع العربي القديم • وقد ظهر أثر هذا بالتالي في معاني المفردات العربية التي أصبح الكثير منها مدلولات تختلف عن المدلولات التي كانت لها في العصور القديمة من ذلك لفظ (صحيفة) وقد اصبحت ذات معنى خاص لم يكن لها في العصور السابقة ، واشتق منها كلمة صحافة وصحفي ، لتعني نوعا من العمل جد في عصرنا الحديث • وكلمة محرر ومراسل ورئيس تحرير وسوى ذلك من الالفاظ التي لا شك في عربيتها ، والتي لاشك ايضا في أنها قد اكتسبت مدلولا حضاريا لم يكن لها من قبل • أما قواعد اللغة فان درجة تأثرها باللون الحضاري المعاصر لاتبلغ ما تبلغ درجة تأثر المفردات • وليس ثمة من شك في أن ترتيب الجملة العربية الفصحى لا يزال بوجه عام كما كان في العصور الأولى ، ولم يطرأ عليه الا قدر ضئيل من الاختلاف ، مثل التزام ترتيب مفردات الجملة ، بحيث لا تقدم المفعول على الفاعل ، ومثل الاختلاف في استعمال الاعلام فاصبح الشخص يسمى بأسمه واسم ابيه وجده ، فعائلته ، بدلا من استعمال اسم الشخص ثم كنيته ثم لقبه الشخصي • والقرض من أهم وسائل التغير في مفردات اللغة بحيث

تتلاءم وما يجدّ على الجماعة اللغوية من حاجات مادية ونفسية • وهـــو عبارة عن أن تأخذ لغة مفردات من لغة أخرى ، لأن مدلول هذه المفردات قد أخذ من أهل هذه اللغة الأخرى ولم يكن موجوداً في اللغة المقترضة • ومثال ذلك لفظ (تلفون) و (تلغراف) و (ماكينة) الخ • وقد يحدث القرض من اللغة الأخرى مع وجود ألفاظ في اللغة المقترضة تؤدي نفس المعنى • وفي هذه الحالة يكون الدافع للقرض تقليد أهل اللغة الأخرى لما لهم من مكانة اجتماعية معينة في نظر أصحاب اللغة المقترضة •

ومثال ذلك (ميرسي) الفرنسية ، وهي تستعمل في اللهجات العربية المعاصرة بدلا من (اشكرك) او جنبا الى جنب معها •

وقد اقترضت اللغة العربية من سواها من اللغات واقترضت منهـــا لغات اخرى على مختلف العصور ومن ذلك •

(١) أخذت العربية عن الفارسية في الجاهلية وصدر الاسلام الألفاظ (كوز) و « ابريق » و « طشت » و « خوان » و « طبق » و « قصعة » و « خز » و « ابرسيم » و « ديباج » و « سندس » و « اســتبرق » و « ياقوت » و « فيروزج » و « كعك » و « دار صيني » و « فلفل » و « كرويا » و « قرفة » و « زنجبيل » و « نرجس » و « ورد » و « بنفسج » و « ياسمين » و « مســك » و « عنبر » و « كـافور » و « صندل » و « قرنفل » و « جوز » و « لوز » و « خندق » الخ •

(٢) اخذت العربيـــة عن اليونانية في الجاهلية ومصدر الاســـلام « قنطرة » و « فردوس » و « قراميد » (الآجـــر) و « قسطاس » و « قنطار » و « بطاقة » و « سجنجل » و « اسطرلاب » الخ •

(٣) اخذت عن الحبشة في الجاهلية وصدر الاســـلام « مشكاة » و « كفل » و « هرج » و « منبر » و « ارائك » الخ •

(٤) اخذت عن العبرية والسوريانية في عصر الجاهلية وصدر الاسلام « طور » و « ربانيون » « طه » و « أبراهيم » ، « اسماعيل » ، « سمؤل » ، « عادياء » الخ[١] . وقد حدث في العربية أن قضت بعض المفردات المقترضة على ما يساويها في المعنى .

ومن مفردات اللغة العربية كثير في اللغة الفارسية ولغة الاردو التي يتكلمها شعب الباكستان ولغة اندونيسيا والملايو واللغة التركية والكردية حيث لا تقل عدد المفردات العربية في هذه اللغات عن خمسة وعشرين بالمائة من مفرداتها .

ولما دخل المسلمون الاندلس صارت اللغة العربية لسان سكان هذه البلاد ثم طرد الفرنجة المسلمين وعادت الأسبانية لتكون لغة الناس هناك . ولا تزال الأسبانية حتى اليوم ، تحتفظ بعدد ضخم من مفرداتها التي اقترضتها من اللغة العربية ، يبلغ نحواً من سبعة عشر بالمائة من مجموع مفرداتها ، فمثلا يسمون الحجام « الفاجيم » والمخزن « الماسين »[٢] الخ .

ومن المفردات العربية التي اقترضت في اللغات الاوربية ما يأتي :ـ

١ ـ الفعل (Cipher) بمعنى « يحل الرموز الكتابية » وهي مأخوذة من الكلمة العربية « اصفر » .

٢ ـ الكلمة (Muslin) (مازلين) في الانجليزية اسم لنوع من

---

(١) انظر فقه اللغة لعلي عبدالواحد وافي ص ٢٤٣ ـ ص ٢٤٤ . والجزء الاول من مجلة المجتمع اللغوى ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، والجزء الاول من المزهر للسيوطي ١٣٦ ـ ١٣٧ . وشفاء العليل فيما ورد على لسان العرب من الدخيل لشهاب الدين الحضاص (المعرب من الكلام الاعجمي) لابي منصور الجواليفي .

(٢) انظر الى مجلة اللغات العدد الاول سنة ١٩٦٤ ص ٣٦ ـ ٣٧ « اصل اللغة الاسبانية بقلم جوزيه » اورنانوكاستيلو .

القماش الرقيق أخذت من اسم مدينة « الموصل » وكانت تعرف بهذا النوع من القماش •

٣ ـ الكلمة (Cuffia) الايطالية « كوفيا » والكلمة (Coiffe) (كواف) في الفرنسية والانجليزيـة مأخوذة عن « كوفيـة » أي لباس الـرأس المنسوب الى مدينـة « الكوفـة » ومعنى هـذه الكلمـة في الايطاليـة والفـرنسية والانجليزيـة « قبعـة سيدات » • ومنها أخذت كلمة (Coiffure) (كوافير) اي حلاق شعر السيدات ، ولعل من الطريف ان كلمة (كوافير) قد وجدت طريقها الى اللهجـات العربية المختلفة ، وتصورها الكثيرون كلمة اوربية غير مدركين اصلهـا العربي •

وقد يلجأ المثقفون من أبناء اللغة الى أن يستبدلوا بالمفردات الاجنبية المقترضة مفردات أخرى ، يشتقونها من المواد اللغوية في لغتهم حتى تحل في لغة الأدب على الأقل محل هذه المفردات الأجنبية • وقد حدث هـذا في العربية الحديثة فدخلت فيها كلمـات « السـيارة » و « الطيارة » و « الدبابة » ، وهي ألفاظ مؤنثة اخذت عن صيغة « فَعَّال » التي هـي للمبالغة في العربية من المواد « سار » و « طار » ، « دب » • قد يحدث أن يلجأ ابناء اللغة الى ترجمة المفردات المقترضة للتخلص من الألفاظ الأجنبية • ومثال ذلك لفظ (الهاتف) وهتف تعني نادى على شخص بعيد ، وهو المعنى الأصلى للفظ تليفون أى الحديث البعيد • ومنها لفظ فريق الاشارة بالجيش بدلا من (Signal Corps) فكلمة الأشارة ترجمة حرفية للفظ الانجليزي (Signal) وفريق الخيالة ترجمة للفظ الانجليزي (Cavalry) اى راكب الخيل • ومن هذا النوع المصطلحات العلمية مثل « خلية » وهي ترجمة للفظ (Cell) والوجودية ترجمـة للفظ (existentialism) والرمزية ترجمة للفظ (symbolism) الخ ••

ويشيع الاقتراض بالترجمة أو ما يسمى باقتراض الدلالة في ترجمة عبارات كثير دخلت الى لغتنا العربية من لغات اقوام اتصلنا بهم لاسباب سياسية او اجتماعية مختلفة • ومثال ذلك « لعب دورة » وهي عبارة ترجمة عن played his part و « اعطاني كلمته » وهي ترجمة للعبارة (gave me his word) الخ(٢) •

تتحدث الان عن تأثير المفردات المقترضة في اللغة التي تقترضها وتأثرها بها • والمفردات في هذا الصدد تشبه الفرد الذى هاجر من وطنه الى وطن آخر ، فهو يتأثر بالمجتمع الجديد الذى انتقل اليه ، ولكنه يظل الى حد كبير محتفظا بخصائصه القومية ، فالهندي الذي يعيش في بغداد مثلا يكتسب كثيرا من صفات البغداديين وعاداتهم ، ولكنه يظل الى حد كبير هنديا • ومن ناحية أخرى يؤثر بدوره في المجتمع الجديد ، بدرجة تتفاوت طبقا لصلاته بالناس فلو هاجر مليون هندي الى العراق ، لنتج عن ذلك بطبيعة الحال اختلاف جوهري في عادات العراقيين • والمفردات المقترضة اذا زادت نسبتها أثرت في اللغة التي تقترضها وتأثرت هي كذلك بهذه اللغة • وقد يبلغ تأثر هذه المفردات الى درجة لا نعرف معها أنها مفردات أجنبية الا بالبحث العلمي الدقيق • ومثال ذلك المفردات المعربة التي استعملت في القرآن الكريم مثل (آمين) « سندس » و « فردوس » وهي مفردات لاتكاد تحس بأنها غير عربية ، حيث انها تخضع لقواعد اللغة فلا تمنع من الصرف لعجمتها مثلا • ومع هذا فانه من الملاحظ أن الكلمات المقترضة تختلف عن مفردات اللغة الأصلية في أوزانها الصرفية وتركيباتها الصوتية ، أو في بعض هذه او تلك • وقد سبق أن لاحظنا مثلا أن فاء الكلمة وعين الكلمة في العربية لا يمكن أن يكونا صوتا واحدا او صوتين

(٢) اقرأ مقال « تعابير اوربية فى العربية الحديثة ص ٢٣٩ من كتاب دراسات فى اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي سنة ١٩٦١ » •

قريبي المخرج ، وأن عين الكلمة ولام الكلمة قد يكونان صوتا واحدا وهو ما عرف باسم « التضعيف » ولكنهما لا يكونان متقاربي المخرج • وتطبيقا لهذه النظرية نحكم بأن الكلمات التي تنتهي بدال وزاي مثـل « مهندز » والكلمات التي تجمع فيها الصاد والجيم مثل « جص » ليست عربية الأصل لانها خالفت القاعدة المذكورة •• وكذلك نحكم بعدم عربية الألفاظ التي لا تتفق مع الأوزان العربية المعروفة مثل ابراهيم وجبريل •• وسنتعرض من الآن لبعض الامثلة التي تأثرت فيها الكلمات المقترضة باللغة ، ثم ننتهي الى ذكر بعض الأمثلة لتأثير الكلمات المقترضة في اللغة •

نضرب هنا مثلين من اللهجة العراقية ومثلا من اللهجة المصرية •

١ ـ في اللهجة العراقية (فعل) « فوّل » بمعنى « ملأ السيارة بالبنزين » وليس هذا اللفظ عربي الاصل ، ولكنه مأخوذ عن اللفظ الانكليزي (full) أو (fuel) والاول بمعنى « مليء » والثاني بمعنى « وقود » • وعلى أي الفرضين نرى ان العربية قد قاست هاتين الكلمتين على مادة الفعل الثلاثي المعتل العين باللام مثل « قال » التي منها « قل » • وهي تناسب في الوزن (full) ثم طبقت على هذه المادة (ف • و • ل) قاعدة الزيادة بتضعيف عينها ، فاشتقت منها الفعل « فَوّل » على قياس « صَوّب » من « صاب » • واشتقت منها كذلك الصيغ الأخرى كالمضارع والأمر •• الخ •

هنا خضعت الكلمة المقترضة لقواعد الزيادة والاشتقاق العربية ، كما تتمثل في لهجة العراق •

٢ ـ من المعروف أن اللهجة العراقية لا تقبل أن تبدأ الكلمة بثلاثة سواكن « او بعبارة اخرى لا يوجد في العراقية المقطع (س س س ح) او (س س س س ح س) » • وقد اقترضت العراقية من اللغة الانكليزية لفظ

(spring) وهو يبدأ بثلاثة سواكن هي « س ت ر » وقد طبقت العراقية على هذه الكلمة المقترضة نظامها المقطعي ، حين زادت حركة الكسرة بعد السين فصارت الكلمة في العراقية « سِبرِنْج » بكسر السين . وبهذا اصبح تقسيمها المقطعي هكذا (س + كسرة + ب) أو(س ح س) و(ر + كسرة + ن + ج) (س ح س س) وهو نظام مقطعي مقبول في العراقية .

٣ ـ شاعت في اللهجة المصرية عبارة « بلادي فول » في الفترة التي تلت الحرب العالمية الاولى والثانية . وكانت تستعمل للسباب ، وقد وجد أن هذه العبارة تستعمل بصفة خاصة بين عمال المعسكرات البريطانية . وهي في الواقع تحريف للعبارة الانجليزية (bloody fool) التي تستعمل في السباب . ويلاحظ هنا وجود شبه صوتي بين لفظ (blood) الانجليزي ولفظ « بلاد » المصري .ولفظ (fool) الانجليزي ولفظ « فول » المصري . كما أن هناك شبها آخر بين مدلول هذه العبارة الانجليزية (فهي تستعمل لوصف شخص بالغباء) وبين ما يشير اليه لفظ « فول » حيث أن المعروف انه غذاء للحمير ، والحمير مثل للغباء في المصرية . وعلى هذا فان وصف الشخص بأنه من بلاد تأكل الفول ، يمكن ان يفهم بأنه وصف له بالغباء . ومن أجل هذا الشبه في الصوت والدلالة اقترضت العبارة الانجليزية بعد ان خضعت لهذا التحليل اللغوي المصري .

نتحدث الآن عن تأثير الاقتراض في تركيبات اللغة وسنمثل له بما يأتي :ـ

« استعمال اللاصقة التركية » « جي » في النسب في اللهجة المصرية والعراقية في مثل « جزمجى » و « عرْبجي » « في المصرية » و «عربانجي» في العراقية ، مع ملاحظة اختلاف نطق « الجيم » في المصرية عنها في العراقية . وهذا يعني الاتساع في قواعد النسب المعروفة في العربية بحيث

يصبح للنسب في هاتين اللهجتين اداتان هي « جي » أو « الياء » وحدها •
ويلاحظ فى المصرية أن النسب باللاصقة التركية يشيع فى الألفاظ التي تدل على حرفة ذليلة القدر مثل « طرشجي » و « جزمجي » أما الألفاظ التي تدل على حرفة ذات مكانة عالية فلا تستعمل فيها هذه اللاصقة •

ـ يطلق بعض التجار في مصر على متاجرهم عبارة مثل «اسلام اخوان» بدلا من « اخوان اسلام » أى بتقديم المضاف اليه على المضاف • وهم هنا متأثرون بمثل التركيب الانجليزي (Smith Brothers) وقد شاهدت على بعض لافتات القاهرة عبارة « افرينو اولاد عم » بدلا من « اولاد عم افرينو » •

ـ في اللهجة العراقية أمر شبيه بما حدث في اللهجة المصرية يظهر في الامثلة « خوش رجال » و« فلان يوم » و «غير شيء» ولنعالج هذه الامثلة•

المعروف ان الكلمة « خوب » تعني بالفارسية « طيب » ويلاحظ أن هذه الكلمة تستعمل في اللهجة العراقية في مثل العبارة « خوب ايش تريد » اي حسنا • ماذا تريد ؟ ويمكن بناء على هذا ان نفترض ان « خوش » هي « خوب » مع ابدال الباء الاخيرة شينا وهذه الشين هي الصيغة المخففة لكلمة شيء العربية ، التصقت باللفظ الفارسي ، وادغمت الباء فيها كما التصقت باللفظ « كلش » العراقية و « ماهو » المصرية في اللفظ « ماهش » • وبعد هذا الالتصاق استعملت « خوش » فى العراقيـة صفة • ولكن الذى يلفت النظر انها تسبق الموصوف على خلاف القاعدة العربية السائدة في اللهجة العراقية ، والتي تتطلب ان تتأخر الصفة على الموصوف • ولهـذا تقـول « خوش ولد » فاذا ستعملت صفة عربية مثل « طويل » أو « كريم » تأخرت الصفة فقلت « ولد طويل » لا « طويل ولد » •

وتفسير هذا أن العراقية حين اقترضت هـذا اللفـظ ، واستعملته اقترضت معه قاعدة تقديم الصفة على الموصوف عند استعمال هـذا اللفظ بالخصوص •

وعلى هذا الاساس يمكن تفسير عبارة « فلان يوم » وفيها نجد أن الصيغة العراقية قد خالفت العربية في أمرين :ـ

١ ـ استعمال لفظ « فلان » لغير العلم ، حيث أن العربية تستعمله بدلا من استعمال اسم الشخص فنقول « فلان بن فلان » والعربية لا تستعمل « فلان » وصفا الا بعد اضافة ياء النسب اليه فنقول « اليوم الفلاني » •

٢ ـ مثل هـذا التركيب لا يمكن أن يكون الا صفة تقدمت على موصوفها أو مضافا ومضافا اليه • وهنا لا يتحقق معنى الاضافة ويتحتم معنى الوصفية • وهذا يعني ان الصفة تقدمت على موصوفها • ويمكن تعليل ذلك بأن العراقية قد تأثرت فى هذا ببعض اللغات غير العربيـة التى تستعمل (فلان) صفة تتقدم على موصوفها كالكردية مثلا •

أما (غير شي) فان معناها يحتم أن تكون (غير) صفة مقدمة لشيء • وهي هنا تشبه التعبير الانكليزى (another thing) • وقد يمكن تفسير تغيير نظام ترتيب الكلمات فى هذا المثال بما ذكرناه سابقا من أنه تأثر بلغة اقترضت هذا التعبير من العربية ، وفيها تتقدم الصفة على الموصوف • ثم جاءت العراقية فقلدت هذا التركيب فقدمت الصفة على الموصوف •

كذلك نشير في النهاية الى نوعين من القرض اللغوي ، اولهما قرض اللهجات من اللغـة الفصحى ، وثانيهما ما نسميه بالقرض المركب • اما قرض اللهجات من اللغة الفصحى فأمر شائع فى اللهجات العربية المعاصرة • وذلك لأن ازدياد التعليم جعل اللغة الفصحى فى متنـاول أغلب الطبقات وخاصة فى العواصم • ولهذا نجد بعض العبارات العربية الفصحى تشيع على ألسنة العامة فى العواصم والمدن مثـل (كذلك) (ولـهذا السبب) (اما ان) ولم تكن من قبل من عباراتهم • وقد يتسبب هذا النوع الحديث من القرض في أحداث لفظين مختلفين في اللهجة العامية من مصدر لغوي واحد •

ولدي هنا مثالان واحد من اللهجة المصرية والآخر من لهجة بغداد .

١ ـ فى المصرية يوجد لفظ (فرد) وهو ينطق بأصوات رقيقة لا تفخيم فيها ويستعمل في عبارات (جوز وفرد) و (فردة حمام) و (فرد) بمعنى مسدس ذي طلقة واحد . وبدخول مصر فى عهدها الدستوري الجديد ترجم بعض المثقفين العبارة الانكليزية (Right of Individual) بعبارة (حق الفرد) . ونطق لفظ (فرد) هذه المرة مفخما حسب النطق الفصيح الجاري على ألسنة المصريين . وقد شاع هذا اللفظ بصورته المفخمة في اللهجة المصرية المعاصرة في العبارات السياسية مثل (الفرد والجماعة) و (حق الفرد) ، أما لفظ (فرد) غير المفخم فقد ظل موجودا ولكنه بمعنى « واحد » . ولا يعني بالضرورة ما يدل اللفظ الانجليزي عليه[١] .

٢ ـ المعروف عن اللهجة العراقية أنها تجعل القاف العربية جيما غير معطشة مثل الجيم القاهرية . ولذلك فان كلمة (ورقة) الفصحى تنطق فى العراقية هكذا (ورْگه) ، ثم شاع التعليم فأخذت العراقية من العربية لفظ (وَرَقَـة) واحتفظت بالنطق الفصيح وصار في العراقية لفظان من مصدر تاريخي واحد أحدهما (وَرْگه) وتعني ورقةَ الشجر والآخر (وَرَقَـة) وتعني ورقة الكتابة .

واما القرض المركب فهو أن تقترض لغة ما لفظا من لغة اخرى . وبعد مرور الزمن تقترض اللغة الاخرى نفس اللفظ الذي اقترضته منها . ومثال ذلك لفظ (ترسانة) في المصرية ويقصد به مصانع اصلاح السفن والقاطرات وهو مأخوذ من اللفظ الانكليزى (arsinal) وهذا اللفظ في الانجليزية مأخوذ من اللفظ العربي (دار الصناعة) .

ومثل لفظ « كوافير » الذى أخذته اللهجات العربية الحديثة عن اللغات الاوربية مع أنه فى الاصل مشتق عن « كوفية » اى غطاء الرأس .

---

(١) « فرد » المفخمة تستعمل للانسان فقط ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث ، بعكس « فرد » غير المفخمة .

ثالثا

التراكيب

أولاً ـ بنـاء الكلمـة

قواعد اللغة هي النظم التي تسير عليها في تكوين مفرداتها وتراكيبها • وقد جرى اصطلاح العرب على تسمية القواعد الخاصة بناء الكلمة بعلم الصرف والقواعد الخاصة بتركيب الجمل بعلم النحو •

وقواعد اللغة أشبه بالرسم التخطيطي الذي يقدمه المهندس الى البناء ليبين له الطريقة التي يرتب بها الوحدات التي تسمى بالجدران حتى تصير غرفا ذات شكل معين ، والطريقة التي ترتب بها الغرف بعضها الى جوار بعض تصير دارا ذات شكل معين • وعلينا أولا أن نعرف ما نريد هنا بلفظ وحدات قبل ان نعالج بالدراسة بناء الكلمة •

الفرد والنوع والجنس

يقرر علم المنطق أن الكون مكون من أفراد ، فانت فرد وأنا فرد آخر وهذا فرد ثالث • ولكننا جميعا برغم اختلاف كل منا عن الآخر نكون نوعا من الانواع يسمى بالانسان • والبقرة التي في بيتك فرد والبقرة التي في بيت جارك فرد آخر والبقرة التي اراها تسير أمامي فرد ثالث وهكذا ، ولكن كل هذه الافراد تجتمع في نوع يسمى البقرة • كذلك تتكون الانواع التي تسمى بالحمار وبالحصان وبالشاة •• الخ من أفراد كل منها مستقل عن الآخر • وهذه الانواع كلها تكون جنسا يشملها جميعا هو الحيوان ، فالانسان نوع من انواع الحيوان والبقرة نوع آخر والحصان نوع ثالث وهكذا • وهذا التقسيم الى فرد ونوع وجنس ينطبق كذلك على موضوع دراستنا •

الصوت والصوتيم

لو نطقت انا بالنون العربية فى الكلمة « نار » ونطق آخر بها لكان

لدينا فردان من افراد النوع الذي يسمى « النون في أول الكلام » ولو نطق كل منا بالنون التي قبل الكاف في كلمة « انكتب » لكان لدينا فردان من نوع آخر من انواع النون • والنوع الاول مختلف عن الثاني ، فالاول صوت (لثوي انفي مجهور) أما الثاني فصوت (لهوي أنفي مجهور) ولاجل هذا الفرق الواضح بينهما قلنا بانهما نوعان مختلفان من النون ، أو بعبارة أخرى فان النون جنس يتدرج تحته انواع • ويسمى هذا الجنس (بالصوتيم) أما كل نوع من الانواع التي يشملها فاننا نسميه بالصوت •

وهكذا يمكن ان نقول بان الصويتم (ن) جنس يتدرج تحته انواع هي الاصوات الآتية :ـ

١ ـ النون في أول الكلمة مثل النون في « نار »
٢ ـ النون قبل الكاف مثل النون في « انكتب »
٣ ـ النون قبل الياء مثل النون في « ان يكن »
الـــخ

والصويتم « ج » كذلك تشمل الانواع ـ أو الاصوات الآتية :ـ

« الجيم » في أول الكلمة وهي صوت صلب انفجاري مجهور ، والجيم في آخر الكلمة وهي صوت صلب انحباسي مهموس (في بعض اللهجات العربية) والجيم قبل النون وهي صوت انفي مجهور وهكذا ••

وكل صوت من هذه الاصوات يشمل افرادا لا حصر لها كالجيم في كلمة « جمل » وكلمة « جلال » وكلمة « جبل » الخ •

وجميعها افــراد للصوت الذى يسمى « الجيم في أول الـكلمة » وكالجيم فى كلمة « لحج » وكلمة « موج » وكلمة « عوج » الخ وجميعها افراد للصوت الذى يسمى « الجيم فيآخر الكلمة » وكالجيم في «اجناس» وكلمة « اجنبي » وكلمة « مجنون » وكلهـا أفـراد للصوت الذي يسمى

« الجيم قبل النون » الخ •

ونحن حين نكتب وحين نكون المفردات لا نفرق بين هذا النوع من الجيم أو ذاك ، اذ اننا نكتبها جميعا بنفس الطريقة رغم الاختلاف بين نوع وآخر في النطق •

أو بعبارة أخرى فاننا نكتب الصوتيمات (الوحـــدات الصوتية) لا الاصوات •

الصرفيم :ـ

نعني بالصرفيم الوحدة الصرفية • وهي جنس كذلك مثل الفاكهة المسماة « برتقال » وجنس البرتقال يشمل انواعا مختلفة ، مثـل الصـوتيم الذى يشمل كذلك اصواتا مختلفة •

ومثال الصرفيم وزن « افتعل » وله أنواع منها :ـ

١ ـ النوع الذى يكون فاء الكلمة فيه ساكنا مفخما وهو « افطعل » بالطاء لا بالتاء مثل « اصطحب » و « اصطبر » الخ •

٢ ـ النوع الذى يكون فاء الكلمة « زاء » وهو « افدعل » بالدال لا بالتاء مثل « ازدهر » : و « ازداد » الخ •

٣ ـ النوع الذى لا يكون فيه فاء الكلمة ساكنا مفخما أو زايا وهو « افتعل » مثل « افتتح » الخ •

ويجب أن نذكر أن الصوتيم لا يحمل اى معنى بمفرده فالهمزة أو الجيم أو العين لاتدل على شيء بعينه ولكنها تدل على المعاني اذا وجـدت في مجموعات معينة • ومثال ذلك المجموعة (ك + فتحة + ت + فتحة + ب) وهي تدل دلالة مركبة من حدث وزمن وغيبه وتذكير وافراد •

وليس من الممكن ان توزع اجزاء هذه الدلالة المركبة بين الصويتمات

التي تكون المجموعة فيقال بان الحدث دلالة خاصة بالكاف والزمان دلالة خاصة بالفتحة الخ لأن هذه الدلالة المركبة لا تفهم الا من المجموعة كلها على هذا الترتيب بحيث لو نقص احدها أو اختلف ترتيبها لاختل المعنى ومثل هذه المجموعة من الصويتمات تسمى كلمة •

ولكن هناك كلمات ذات دلالة مركبة يمكن ان يختص أحد صوتيماتها أو مجموعة منها بجزء من دلالتها ، مثل الكلمة (كتبت) والكلمة (اكتب) فان الدلالة على المتكلم المفرد ترتبط بوجود التاء الاخيرة في الكلمة الاولى والهمزة في الكلمة الثانية • ومثل (ون) في الكلمة « مسلمون » ودلالة الجمع المذكر خاصة بالواو والنون ومثل (ال) في الولد ودلالة التعريف خاصة بها دون بقية الكلمة •

مما سبق يتضح ان الكلمات « اكتب » و « كتبت » و « مسلمون » و « الولد » تشترك في ظاهرة تقسيم دلالتها المركبة بين اجزائها ، ومعنى هذا ان تركيب هذه الكلمات ليس مجرد تركيب صوتي بل ان هناك تركيبا آخر يسمى التركيب الصرفي ، وهو تركيب الكلمة من اجزاء ذات مدلول • وكل جزء من هذه الاجزاء ذات المدلول يسمى بالصرفيم (morpheme)

والصرفيم على قسمين ـ حر ومقيد ـ والصرفيم الحر هو جزء الكلمة الذى يمكن استقلاله بنفسه مكونا كلمة ، أما المقيد فهو الجزء الذي يتحتم اتصاله بسواه • واليك بعض الامثلة :ـ

١ ـ مسلمون ـ تتكون من صرفيمين ـ (مسلم) وهو صرفيم حر و (ون) وهو صرفيم مقيد • ومثل (الولد) وتتكون من (ال) و (الولد)•

٢ ـ اكتب تتكون من مجموعة من الصرفيمات المقيدة هي الهمزة

التي تدل على المتكلم والمادة والوزن • وسنتحدث عن هذين الاخيرين فيما بعد •

٣ ـ عليه ـ تكون من صرفيمين مقيدين (على) ولا تستعمل مستقلة والهاء المكسورة ولا يمكن استعمالها مستقلة كذلك •

اللصـــق :ـ

لاحظنا ان الصرفيم المقيد لا يوجد مستقلا بل لابد من اتصاله ـ اى لصقه بسواه من الصرفيمات • ويسمى الصرفيم المقيد لاصقة اما الصرفيم الحر الذى يتصل به فيسمى بالاساس ، فالكلمة مسلمون تتكون من الاساس (مسلم) ومن اللاصقة (ون) • وقد تكون اللاصقة في الاول فتسمى سابقة مثل (ال) في (الولد) • وقد تكون في الاخر فتسمى لاحقة مثـل (ون) في (مسلمون) •

وقد يكون اللصق قائما بين صرفيمين مقيدين مثل (عليه) • وقـد يكون بين اساسين • وهذا النوع الاخير من اللصق احدى الوسائل التـي تستعملها بعض اللغات في زيادة مفرداتها ، حيث يمكن بواسطتـه أن تولد من الكلمة الواحدة عددا من الكلمات • والتوليد بهذه الطريقة شائع في اللغة الانجليزية اكثر من شيوعه في العربية • وفي الانكليزية عدد مـن السوابق منها :ـ

١ ـ Un و Im و In للنفي مثل : ـ
incomplete — inpossible — unlucky

٢ ـ pre بمعنى (قبل) مثل pre arrange
والاســاس فيها :ـ arrange بمعنى يرتب ، والسابقــة pre بمعنى من قبل •

٣ ـ pro بمعنى « متحيزل » و anti بمعنى « متحيز ضد » مثـــل proarab اى مناصـر للعــرب و anti arab اي خصم للعرب • والاساس في الكلمتين arab بمعنى عربي •

أما اللواحق فمنها في الانجليزية كثير ايضا مثل :ـ

١ ـ er للدلالة على فاعل الحدث مثل eater أي آكل . والاساس فيها eat

٢ ـ ed للدلالة على المضي مثل walked و ing للدلالة على الاستمرار مثل walking والاساس فيهما walk

٣ ـ less بمعنى « بدون » مثل speechless والاساس فيها speech بمعنى كلام .

وتستعمل الانجليزية واللغات الاوربية عامة طريقة اخرى من طرق اللصق هي لصق اساسين أو اكثر لانتاج كلمة ثالثة مثل frogman بمعنى (غواص) وهي مكونة من man بمعنى ضفدعة و frog بمعنى رجل .

ومثل هذه الطريقة لا تتبع في اللغة العربية ولهذا يترجم هذا اللفظ الانجليزي الى العربية بالصفة والموصوف فنقول (الرجل الضفدع) . وتستعمل اللغة الالمانية هذه الطريقة على نطاق واسع لتكوين ما يسمى فيها بالاسماء المركبة . كما تستعمل اللغات الاوربية هذه الطريقة لابتكار مسميات للمخترعات الحديثة مثل :

telephone و telegraph وهما مكونتان من الاساس tele بمعنى بعيد والاساس phone بمعنى صوت في الاولى و graph بمعنى كتابة في الثانية . ومثل automobile بمعنى سيارة ، و autograph بمعنى توقيع . وفيهما الاساس auto بمعنى ذاتي ، و mobile بمعنى متحرك و graph بمعنى كتابة .

والتركيب المزجي الذي يشير اليه النحاة أحيانا في سيبويه وبعلبك وخمارويه .... الخ من هذا النوع من اللصق . وقد نقلت هذه الكلمات على حالها هذا من لغات أخرى الى العربية . وعن اللصق ايضا نتجت الكلمات كتبخانة وبنزيخانة . والاولى من أساسين (كتب) العربية

و (خانة) التركية • والثانية من (بنزين) الانجليزية و (خانة) التركية • وعنه ايضا نتجت الكلمات (عربنجي) و (طرشجي) و (جزمجي) • وتكون من الاساس « عربة » و « طرشي » و « جزمة » واللاصقة (جي) التي تفيد النسب ، وقد اخذت من التركية وحرف نطقها في المصرية فنطقت بالجيم القاهرية • بينما توجد في اللهجة العراقية مـع نطق الجيم صوتا انفجاريا صلبا مهموسا •

الوزن او النموذج الصرفي

لو قارنا الكلمات العربية (كتب) و (يكتب) (كتابة) (كاتب) (مكتوب) •••• الخ لوجدناها جميعا تشترك في شيئين اولهما وجود الصويتمات ك ت ب بهـذا الترتيب والثاني دلالة هـذه المجموعـة من الصويتمات • ولن نكون بعيدين عن الصواب اذا قلنا بان الكلمات التـي توجد فيها هذه الصويتمات بهذا الترتيب تحتوي على هذه الدلالة المعينـة مثل كلمة (كتاب) و (مكتبة) و (كتاب) •••• الخ • وتسمى هـذه السواكن الثلاثة (ك• ت• ب) مادة قاموسية • ولو قارنا الكلمات (كتب ـ اخذ ـ ترك) ••• الخ لوجدناها تشترك كذلك في امرين احدهما الحركات التي بعد السواكن وهي (فتحة فتحة فتحة) وثانيهما دلالة معينة هي وقوع حدث في زمن مضى من مفرد مذكر غائب • وهذه الدلالة المعينة مرتبطـة بهذه الحركات • والامر كذلك بالنسبة الى (كُتِب ـ وفُهِم ـ وتُرِك) أما (مكتوب ومفهوم ومتروك) فانها لا تشترك في الحركات فقط بل في وجود ميم مفتوحة في اول الكلمة • او بعبارة اخرى اننا نجد الى جانب المادة التي تكون منها الكلمة مجموعة من الحركات ، أو السواكن والحركات وهذه المجموعة تسمى بالوزن •

وعلى هذا فانه من الممكن تقسيم الكلمة في العربية الى قسمين (مادة) و (وزن) واليك امثلة لهذا التقسيم :ـ

١ ـ الكلمة معلوم ـ المادة ع ل م • الوزن (مفتحة × × ضمةطويلة ×) وكل من هـذه العـلامات (×) يشغل مكانا يشغله فى الكلمـة أحـد صويتمات المادة فمكان العلامة الاولى يوجد الصوتيم (ع) ومكان الثانيـة (ل) ومكان الثالثة (م) •

٢ ـ الكلمة كتب ـ المادة ك ت ب والوزن (× فتحة × فتحة × فتحة او سكون) ومكان العلامة الاولى يوجد «ك» ومكان الثانية «ت» ومكان الثالثة «ب» •

٣ ـ الكلمة أشرب ـ المادة ش ر ب والوزن (همـزة × فتحـة × فتحة × باء فتحة أو سكون) ومكان الاولى (ش) ومكان الثانية (ر) ومكان الثالثة (ب) •

ولعلماء اللغة العرب طريقة خاصة في ذكر الاوزان وهي وضع (ف) مكان الصويتم الاول من المادة ووضع (ع) مكان الثاني و (ل) مكان الثالث بدلا من طريقة وضع العلامات التي استعملناها • وبهذا يكون وزن« معلوم » هو « مفعول » ووزن «كتب » هو « فعل » ووزن « أشرب » هو « أفعل » •

وهذا النوع من التحليل ينطبق على اللغات السامية وحدها ومـن بينها العربية • أما اللغات غير السامية فليس لها مواد وأوزان مثل العربية بل انها تقف عند حد الاساس واللواصق •

التبادل

لنأخذ على سبيل المثال الصيغة التي نعرفها باسم صيغة الفعل الماضي محاولين تحليلها وفقا لهذا المنهج الذى نتحدث عنه • ولنبدأ بالمثال « أخذ » • هذا المثال يتكون من صرفيم المادة وهو (ء خ ذ) وصرفيم الوزن وهو فتحة بعد الهمزة وفتحة بعد الخاء وفتحة بعد الذال عند اتصال الكلام أو سكـون عنـد الوقف • وسـنشير لهـذا الصـرفيم بهـذا الرمز

× – × – × (َْ) والعلامة (×) تشير الى أحد أصوات المادة أمـــا العلامة (–) عندما توضع فوق الخط فانها تشير الى الفتحة ، أما اذا وضعت تحت الخط فانها تشير الى الكسرة ، كما أن وضع الفتحة والسكون داخل قوسين يعني أن آخر الكلمة يقبل أحد هاتين العلامتين طبقا لكونه في آخر الكلام أو في وسطه •

أما « فهم » فانها تتكون من صرفيم المادة (ف هـ م) و صرفيم الوزن × – × × (َْ) كما تتكون « كَرُم » من صرفيم المادة « ك ر م » وصرفيم الوزن × – × و × (َْ)

وحتى يتضح الفرق بين هذه الكلمات الثلاثة نضعها على هذا الوضع :

أخذ = (ء خ ذ) + [× – × – × (َْ)] (فَعَل)

فهم = (ف هـ م) + [× – × × (َْ)] (فَعِل)

كرم = (ك ر م) = [× – × و × (َْ)] (فَعُل)

والمعنى الذي يتصل بصرفيم المادة هو الحـدث المجرد • وهو معنى يوجد حيثما وجدت مجموعة من هذه الاصوات بهـذا الترتيب بصرف النظر عن الحركات والسواكن التي تفصل بينها ، ففي الكلمات « أخـذ » « يأخذ » « مؤاخذة » « أُخذ » « آخذ » « مأخوذ » الـخ نجد الاصوات التي يتكون منها الصرفيم (ء خ ذ) على ترتيب معين فيها جميعا • كما أن بين هذه الكلمات اشتراكاً دلاليا هو الذي تسميه بحدث « الأخذ » • وما يقال عن « أخذ » يقـال أيضـا عن « فهم » و « فاهم » و « مفهوم » و « استفهم » و « استفهام » الخ وعـن « كرّم » و « اكرام » و « مكـرم » و « كريم » الخ •

وقاموس اللغة هو المرجع الذي يحدد لنا معاني صرفيم المادة •

أما صرفيم الوزن ، فاننا نلاحظ في الامثلة الثلاثة السابقة أمرين أولهما اتحادها جميعا في أداء معنى معين هو مثلا المضي والتذكير والافراد • وثانيهما اختلافها في الصيغة ، فالحركة التي بعد الاصل التالى من الكلمة فتحة في الحالة الاولى وكسرة في الثانية وضمة في الثالثة •

وهذا يعني أنه بالرغم من اختلافها في الصيغة فانها جميعا تتحد في مدلولها •

وسنجد أن اى واحد من صرفيم المادة **يمتزج مع واحد من** هذه الثلاثة ولا غير ، فبعض المواد مثل « ض ر ب » و « ش ر ح » و « ن ظ ر » الخ يأتي على صرفيم الوزن [× – × – × (َ ْ)] (فَعَل) • وبعض المواد مثل « ع ل م » و « س م ع » و « ت م ل » الخ يأتي على صرفيم الوزن [× – × × (َ ْ)] (فَعِل) • وبعضها مثل (ع ظ م) و (ق ر ب) يأتي على صرفيم الوزن [× – × و × (َ ْ)] (فَعُل) •

ومن اجل هذا يمكن القول بأن كلا من صرفيمات الوزن هذه يتبادل مع الآخر حيث انه لابد من وجود واحد منها مع صرفيم المادة •

بعد هذا نستطيع القول بأن الصيغة التي نسميها « صيغة الماضي المفرد المذكر » تكون من :

المادة + احد المتبادلات [× – × – × (َ ْ)] (فَعَل) ، [× – × × (َ ْ)] (فَعِل) ، [× – × و × (َ ْ)] (فَعُل) •

☆ ☆ ☆

كذلك نلاحظ أن صرفيم المادة قد يحافظ على أصواته كما في الامثلة

السابقة أو لا يحافظ . وذلك اذا كان أحد اصواته واو أو ياء أو همزة الخ.

فمثلا الصرفيم (و ع د) توجد كل اصواته في (وَعَد) و (وَعْد) و (موعد) ولكنها لا توجد جميعا في (عُد) و (يَعِد) حيث سقطت الواو . وهكذا يمكن أن نقول بأن صرفيم المادة ايضا يتكون من متبادلات ويمكن اجمال القول على هذا النحو .

١ - صرفيم المادة وهو يشمل المتبادلات الآتية :

أ - (س س س) مثل (ض ر ب)

ب - (و س س) مثل (و ع د)

جـ - (س و س) مثل (ق و ل)

- (س س و) مثل (ر ج و)

.... الخ .

٢ - صرفيم الوزن وهو يشمل المتبادلات الآتية :

أ - [× - × - × (َ) (ْ)] كما في الكلمة (ضَرَب)

ب - [× - × × (َ) (ْ)] كما في الكلمة (فَهِم)

-

جـ - [× - × و × (َ) (ْ)] كما في الكلمة (كَرُم)

التكامل

لو تأمنا الفعل « ضَرب » والفعل « ضُرِب » المبني للمجهول لوجدنا مضارع الاول والوصف المشتق منه يختلفان عن مضارع الثاني والوصف المشتق منه على هذا النحو :ـ

أ - ضرب يَضرب ضارب

ب - ضُرب يُضرب مضروب

في الحالة «أ» يقال بان وزن « فَعَل » و « فاعل » أوزان تتكامل في

مجموعة واحدة وأن « فُعِل » في الحالة «ب» تتكامل مع « يُفْعَل » و « مفعول » في مجموعة أخرى •

كذلك يقال بأن وزن « فَعَل » قد يتكامل على أحدى الطرق الآتية :

أ ـ « فَعَل » « يَفْعِل » « اِفْعِل » الخ مثل

ضَرَب يَضْرب اضرب •

ب ـ « فَعَل » « يفعُل » « عل » الخ مثل

أخذ يأخذ خذ •

ج ـ « فَعَل » « يفعُل » « أفعُل » الخ مثل

كتب يكتب اكتب •

د ـ « فعَل » « يفعَل » « افعل » الخ مثل

فتح يفتح افتح •

كما أن وزن « فعِل » قد يتكامل باحدى الطرق الآتية :ـ

أ ـ « فَعِل » « يفْعَل » « اْفعَل » الخ مثل

فهم يفهم أفهم •

ب ـ « فَعِل » « يفعِل » « افعِل » الخ مثل

حسِب يحسب احسب •

•••• الخ •

أما وزن (فَعُل) فانه يتكامل على النحو الآتي :ـ

أ ـ « فَعُل » « يفعُل » « افعِل » مثل كرم يكرم اكرِم •

وعلى هذا النحو سار علماء الصرف العرب وكانوا على قدر كبير من الدقة في بيان الأشكال التصريفية المتبادلة والمتكاملة ، ولم يتورطوا في هذا الجانب من جوانب دراستهم في تأويلات أو تقديرات كتلك التي وقعوا فيها في باب الابدال والاعلال أو التي يقع فيها النحاة دائما عندما يؤولون ويقدرون •

ثانيا ـ تركيب الجمل

يؤخذ مما سبق أن الكلمة عبارة عن صرفيم حر أو مجموعة من الصرفيمات التي ترتبط بعضها ببعض بطريقة اللصق والتي تكون مجتمعة صيغة حرة • ومثال النوع الأول « ولد » وهي صرفيم حر ، اي صرفيم يمكن أن يستعمل وحدة لافادة معنى كامل • ومثال النوع الثاني « عليه » وهي مكونة من صرفيمين مقيدين ، و « مسلمون » وهي مكونة من صرفيم حر « مسلم » وصرفيم مقيد (ون) ، و« المسلمون » وهي مكونة من صرفيم حر « مسلم » وصرفيم مقيد يستعمل سابقة للصرفيم الحر « ال » وصرفيم مقيد آخر يستعمل لاحقة للصرفيم الحر « ون » •

وقد يستفاد المعنى الكامل من كلمة واحدة ، مثل « أكتب » وقد يستفاد من مجموعة من الكلمات مثل « كتب محمد » • ووضع الكلمات بعضها بجوار بعض لافادة المعاني المختلفة ليس أمراً مطلقا ، بل أنه يخضع لقواعد معينة هي التي تسمى بقواعد تركيب العبارات أو علم النحو •

ووضع الكلمات بعضها بجوار بعض يعتمد على نوع الكلمة لا على الكلمة ذاتها • فالتركيب الذى يطلق عليه اسم « جملة فعلية » لا يهم أن تكون الكلمة الاولى فيه « قام » أو « خرج » أو « أكل » أو « يقوم » أو « يسافر » الخ وأن تكون الكلمة الثانية « محمد » أو « الفرس » أو « هذا » الخ • بل المهم أن تكون الاولى من النوع الذى يسمى بالفعل أو اسم الفاعل مثلا وأن تكون الثانية من النوع المسمى بالعلم أو اسم الاشارة الخ • ولهذا فمن الضرورى قبل دراسة التركيبات أن نحدد الانواع المختلفة التي تنتمي اليها الكلمات •

أنواع الكلمات :

يمكن تقسيم الكلمات الى انواع حسب صفاتها المادية أو حسب

وجودها في مكان خاص من تركيب بعينه ، فمثلا الكلمة « ولد » أو « بنت » أو « طائر » تتميز بقبول السابقة « ال » فتصير « الولد » أو « البنت » أو «الطائر » • ومثل « كتب » و « لعب » و « سافر » وهي تتميز بقبــول اللاحقة (تْ) فتصير « كتبت » و « لعبت » و « سافرت » • كذلك يمكن أن يقــال بأن من مميــزات الكلمات « ولد » و « بنت » و « طائر » امكان كونها الجزء الاول أو الثاني من التركيب المسمى بالاضافة فيقــال « كتاب الولد » أو « ولد محمد » •

ولكن الكلمات « هذا » و « الذى » يمكن أن تكون الجزء الثانى من هذا التركيب فيقال « كتاب هذا » و « كتاب الذى في المنزل » ولا يمكن أن تكون الجزء الاول : وباحدى هاتين الوسيلتين أو بهما معا يمكن تقسيم الكلمات الى انواع لا باعتبار دلالاتها بل باعتبار الصفات المادية فى العبــارة نفسها • واليك الآن بعض أنواع الكلمات فى العربية الفصحى والمميزات المادية لكل منها :

١ ـ ولد ، « بنت » ، « كرسي » ••• وهذا نوع يميز بقبول « ال » وامكان كونه الجزء الاول أو الثاني من العلاقة تسمى بالاضافة مثل « بنت محمد » و « كتاب البنت » •

٢ ـ « ضارب » ، « متكلم » ، « مستغفر » ••• وهذا النوع يميــز باشتقاقه على وزن فاعل أو الاوزان التي تتبادل معه وهو يقبل السابقة « ال » ويصح أن يكون الجزء الاول أو الثاني من العلاقة المسماة بالاضافة مثــل « ضارب الكلب » ، « عصا الضارب » •

٣ ـ « مضروب » ، « مُكْرَم » ••• وهذا النوع مشتق كذلك من مادة الفعل ولكنه على وزن مفعول أو أي وزن آخــر من الاوزان التي

تبادل معه • وهو يقبل « ال » ويصح أن يكون الجزء الاول أو الثاني من العلاقة المسماة بالاضافة •

وهكذا نستطرد فى ذكر بقية الاسماء المشتقة ، مع تحديد الصفات الخاصة لكل منها ثم ننتقل الى ما يأتي :ـ

٤ ـ « محمد » « علي » « ابراهيم » ، وهذا النوع لا يقبل اللاصقة « ال » الا اذا اتصلت بآخره اللاصقة (ان) أو (ون) فلا يقال « المحمد » ولكن يقال « المحمدان » و « والمحمدون » • وهناك كلمات قليلة تابعة لهذا النوع توجد « ال » فيها ولكن لا يصح أن تجرد منها مثل « الحسين » و « الزبير » • (اما « حسين » و « زبير » فهي كلمات أخرى ليس فيها « ال » •

٥ ـ « انا » ، و « أنت » و « هو » الخ • هذا النوع لا يقبل « ال » ولا يمكن أن يكون الجزء الاول أو الثاني من العلاقة المسماة بالاضافة •

٦ ـ « هذا » أو « هذه » و « ذلك » الخ ، هذا النوع لا يقبل « ال » ويمكن أن يكون الجزء الثاني من العلاقة المسماة بالاضافة ولكن لا يمكن أن يكون الجزء الاول منها •

٧ ـ « الذي » و « التي » و « اللذان » الخ •• هذا النوع عبارة عن صرفيمات مقيدة لابد من استعمالها قبل جملة تكملها وهو يصلح لأن يكون الجزء الثاني من الاضافة ولا يصلح أن يكون الجزء الاول •

٨ ـ « ضرب » و « أخذ » و « كتب » هذا النوع يشتق من المادة على وزن « فَعَل » أو أي وزن من الاوزان التي يتبادل معها • ومن مميزاته التحاق التاء الساكنة فى آخره للاشارة للتأنيث والتاء المضمومة للاشارة للمتكلم والمفتوحة للاشارة للمخاطب •

٩ - « يضرب » و « يأخذ » و « يكتب » هذا النوع يشتق من المادة على وزن « يفعل » أو أي وزن آخر يتبادل معه ويميز بامكان وقوعه مع الصرفيم المقيد « لن » و « لم » الخ .

هذه أمثلة لأنواع الكلمة في العربية الفصحى . ولكن هناك كلمات تمثل حالات متوسطة بين هذه الانواع مثل « ليس » وهي تقبل التحاق تاء التأنيث الساكنة بها ولكنها لا تشتق من مادة ما على أحد الاوزان الخاصة بالنوع الذى يقبل هذه التاء . وسبب هذا الاختلاف أن مثل « ليس » و « ليت » من الكلمات التي تمثل حالات متوسطة بين الانواع نتيجة تطور تاريخي اختلفت بسببه عن الاصل الذى كانت عليه ، فليس كانت فى الاصل « لا أيس » ، أي انها كانت مكونة من « لا » النافية وكلمة « أيس » بمعنى « وجود » ثم اتحدت « لا » و « أيس » فى كلمة واحدة طبقا لظاهرة تداخل الصيغ التي تحدثنا عنها . أما « ليت » ، فقد مر بك كيف أنها كانت في الاصل فعلا . ولهذا تقبل « ليس » دخول تاء التأنيث كالفعل الماضى ولكنها لا تشتق اشتقاقه ، كما تقبل « ليت » دخول نون الوقاية مع انها ليست من الافعال ودخول ياء النداء مع انها ليست من الاسماء .

العلاقات النحوية :

فى التركيب « ضرب الولد » لفظان بينهما علاقة ذات مظهرين . المظهر الاول الصلة الدلالية بينهما وتتمثل في وقوع حدث الضرب من ذات الولد . اما المظهر الثاني فيتمثل فى كون « ضرب » مشتقة على وزن معين هو الذي يسمى بوزن المبنى للمعلوم وانها تؤنث لو كانت الكلمة الثانية مؤنثا ، كما لو كان المثال « ضربت البنت » وفي كون الكلمة الثانية فى حالة رفع .

والصلة الدلالية أمر يدرك ولا يظهر في الخارج ، كما انه قد يتغير بتغير الالفاظ ذاتها ، فلو قلنا « مات الولد » لما أمكن القول بأن الصلة الدلالية بين اللفظين تتمثل في وقوع حدث الموت من الولد ، كما لا يمكن أن نقول بوقوع حدث الضرب من الولد في المثال « انضرب الولد » • مع هذا فليس ثمة فرق على الاطلاق من حيث تركيب هذه الامثلة الثلاثة فالكلمة الاولى فيها جميعا فعل مشتق على أحد أوزان صيغ الماضي وهي تؤنث اذا كانت الكلمة الثانية مؤنثة أما الكلمة الثانية فانها تحمل كذلك علامة الرفع •

ولأجل هذا فاننا بالرغم من اعترافنا بوجود دلالة لكل تركيب لا نرى من الاوفق أن نجعل الدلالة أساس دراساتنا التركيبية • بل أننا نرى ضرورة الاعتماد على الصفات المادية التي يتميز بها كل تركيب عن سواه •

أجزاء العلاقة :

تكون العلاقة النحوية من مواقع وعلامات • والموقع هو جزء من التركيب اللغوي يرتبط بجزء آخر ارتباطا تدل عليه بعض الصفات المادية التي تظهر في الكلمات التي تشغله او تشغل الجزء (أو الموقع) الذى ترتبط به • أما العلامة فهي الصفة المادية التي تدل على العلاقة النحوية القائمة بين موقعين • وسنوضح ما نريده هنا بالمثال الآتي :ـ

لو فرض أن لدينا جهازا مركبا من ثلاثة أوعية ، وعاء مثلث الشكل ووعاء مربع الشكل ووعاء مستدير الشكل ، فان كلا من هذه الاوعية يشبه ما نسميه بالموقع • وكل وعاء من هذه الاوعية يمكن أن يوضع فيه أجسام تتلاءم مع شكله فالوعاء المثلث الشكل لا يمكن أن توضع فيه الاجسام المربعة أو المستديرة ، بل الاجسام المثلثة ، سواء كانت هذه الاجسام

مصنوعة من الجبس أو الالمنيوم أو الحديد وسواء كانت حمراء أو خضراء أو صفراء ... الخ . والاجسام التي توضع فى الاوعية تشبه الكلمات ، فكما أن كل نوع من الاجسام (المثلث أو المربع أو المستدير) يوضع فى وعاء خاص فان كل نوع من أنواع الكلمات تحتل موقعا خاصا ، فالنوع الذى نسميه بحروف الجزم مثلا لا يوجد الا قبل فعل مضارع والنوع الذي يسمى بالاسم يمكن أن يوجد فى الموقع الذى يسميه النحاة موقع الفاعل أو المفعول الخ .

وليس من المهم أن يكون الحرف « لم » أو « لما » أو أن يكون الاسم « محمد » أو « علي » أو «هذا » بل المهم أن يكون من هذا النوع فحسب .

وفى الجهاز المذكور لابد من وجود جزء معين بكل وعاء يمكن بواسطته أن يوصل بالوعاء الذى يجاوره وقد يكون هذا الجزء مسمارا يربط بين الوعاءين ، وقد يكون نتوءا بارزا في أحدهما وتجويفا يوضع فيه هذا النتوء فى الوعاء الآخر . والمسمار أو النتوء والتجويف يشبهان العلامة في العلاقة النحوية ، فوزن المبنى للمعلوم ، وتأنيث الفعل لتأنيث الفاعل ورفع الفاعل اجزاء من التركيب تجعل كلا من الاسم والفعل صالحا لأن يوجد بينه وبين الآخر العلاقة التي تعرف باسم الاسناد الفعلي .

والى القارىء العلاقات النحوية في العربية الفصحى نسوقها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر .

العلاقة (١) وتتكون من موقعين :ـ

الموقع الاول تشغله احدى الكلمات التي تنتمي الى النوع رقم « ٨ » أو « ٩ » أو « ٢ » من الانواع التي ذكرناها مثل « ضرب » أو « يضرب » أو « ضارب » والموقع الثاني تشغله احدى الكلمات التي تنتمي الى النوع رقم « ١ » أو « ٢ » أو « ٣ » أو « ٤ » أو « ٥ » أو « ٦ » أو « ٧ »

من الانواع التي ذكرناها مثل « ولد » و « ضارب » و « مضروب » و « محمد » و « انا » و « هذا » و « الذي في البيت » • وبهذا يمكن أن نوجد هذه العلاقة في الامثلة الآتية :

« ضرب الولد » و « سافر الضارب » و « سافر المضروب و « ضرب محمد » و « ضربت انا » و « يضرب هذا » و « خرج الذى في البيت » و « هل ضاربٌ محمد » •

وفى الموقع الاول علامتان ، احداهما ضرورة تأنيث الكلمة التي تقع فيه اذا كانت الكلمة التي تقع في الثاني مؤنثة ، وثانيتهما كونه مشتقا على وزن من أوزان الماضى أو المضارع أو اسم الفاعل (أو ما يساويه من الصيغ كالصيغة الشبهة وصيغ المبالغة) •

وفى الموقع الثاني علامتان ايضا هي تأخره عن الموقع الاول وظهور علامة من علامات الرفع فيه •

العلاقة (٢) ، وتكون من موقعين :—

الموقع الاول تشغله أحدى الكلمات التي تنتمي الى النوع رقم « ١ » أو « ٢ » أو « م » (بشرط أن يكون متصلا بأل أو باللاصقة التي تعرف عند النحاة باسم الضمير المتصل أو أن يكون مضافا الخ ••) • أو « ٣ » أو « ٤ » أو « ٥ » أو « ٦ » أو « ٧ » من الانواع التي ذكرناها من قبل • مثل « الولد » و « الضارب » و « المضروب » (أو ولده أو ضاربه أو مضروبه أو ولد محمد أو ضارب محمد أو مضروب محمد) و« محمد » و « أنا » و « هذا » و « الذي في البيت » •

الموقع الثاني تشغله أحدى الكلمات التي تنتمي الى رقم « ١ » أو « ٢ » أو « ٣ » (دون ضرورة وجود الشرط الذى ذكر لاستعمال هذه الانواع في الموقع الاول) أو « ٤ » أو « ٥ » أو « ٦ » أو « ٧ » من الانواع المذكورة •

وهذه العلاقة توجد في الامثلة الآتية :

« الولد ضارب » و « الضارب مسافر » و « المضروب مسافر » و « محمد ضارب » و « أنا ضارب » و « الذي قدم ضارب » الخ.

ومثل « أنا أضرب » و « محمد يضرب » الخ .

وقد يوجد في الموقع الثاني « جار ومجرور" » أو « ظرف » مثل « أنا في الدار » و « محمد في الدار » الخ .

وعلامة هذه العلاقة ، هي رفع الكلمة الموجودة في الموقع الاول والكلمة الموجودة في الموقع الثاني اذا كانت علامة الرفع تظهر عليها ، واتفاق الكلمة التي في الموقع الاول مع الكلمة التي في الموقع الثاني في الجنس والعدد ، مثل « فاطمة قائمة » و « والولدان قائمان » .

واذا كانت الكلمة التي تشغل الموقع الثاني من النوع رقم « ٨ » أو « ٩ » أو « ٢ » أو « ٣ » اعتبر تأخرها عن الكلمة الاخرى من علامات هذه العلاقة لانها اذا تقدمت لم تتفق في العدد مع الكلمة الاخرى وذلك مثل :

محمد قام	المحمدان قاما	فاطمة قامت	الفاطمتان قامتا
محمد قائم	المحمدان قائمان	فاطمة قائمة	الفاطمتان قائمتان

والاتفاق هنا في العدد والجنس . وفي الامثلة :

قام محمد	قام المحمدان	قامت فاطمة	قامت الفاطمتان
قائم محمد	أقائم المحمدان	أقائمة فاطمة	أقائمة الفاطمتان

نلاحظ ان الاتفاق في الجنس دون العدد ولهذا فانها تعتبر أمثلة للعلاقة رقم (١) لا للعلاقة رقم (٢) .

ملاحظة : قد تتغير هذه العلاقة بدخول الادوات المسماة « ان

وأخواتها ، فتصير العلامة نصب الكلمة الموجـودة في الموقع الاول ورفـع الموجودة بالموقع الثاني .

العلاقة رقم (٣) وتكون من ثلاثة مواقع :

الموقع الاول ويوجد فيه احـدى الكلمات المعـروفة باسـم « كان وأخواتها » وهذه الكلمات تنتمي للنوع رقم « ٨ » أو « ٩ » أو « ٢٠ » أو « ٣٠ » الخ . (شريطة أن تكون مشتقة من نفس المادة) .

والموقع الثاني يوجد فيه احدى الكلمات التي تصلح لأن توجد فى والموقع الاول من العلاقة رقم (٢) السابقة .

اما الموقع الثالث فتوجد فيه احدى الكلمات التي تصلح لأن توجـد في الموقع الثاني العلاقة رقم (٢) السابقة .

وفى هذه العلاقة توجد خصائص العلاقتين السابقتين (رقم ١ ، ٢) وعلى هذا فسنلاحظ أن علاماتها قريبة من علاماتهما .

في الموقع الاول توجد العلامة التي في الموقع الاول من العلاقة رقم « ١ » فالكلمة على الوزن المسمى بالمبنى للمعلوم ، كما انها تؤنث اذا كانت الكلمة التي تشغل الموقع الثاني مؤنثة . وكما نقول « قامت فاطمة » نقول « كانت فاطمة .... » ، « قام الولدان » و « كان الوالدان .... » .

وفى الموقع الثاني توجد علامة الرفع .

اما الموقع الثالث فعلامته أن يتفق في العدد والجنس مع الموقع الثاني كما يتفق الموقع الثاني مع الموقع الاول فيهما فى العلاقة رقم (٢) ، وأن يكون منصوبا . وكما نقول « محمد قائم » نقول « كان محمد قائما » ، « فاطمة قائمة » و « كانت فاطمـة قائمـة » ، الوالدان قائمان » و « كان الوالدان قائمين » ، « البنات قائمات » و « كانت البنات قائمات » .

ونلاحظ فى هذه الامثلة اتفاق الموقع الثالث والثاني في العلاقة رقـم

٣ فى العدد والجنس ، كما يتفق الموقع الثاني والاول فيهما فى العلاقة رقم ٢ ٠

العلاقة رقم ٤ وتكون من ثلاثة مواقع :ـ

الموقع الاول وتشغله احدى الكلمات التي تعرف باسم « ظَنَّ وأخواتها » ٠

الموقع الثاني وتشغله احدى الكلمات التي تشغل الموقع الثاني فى العلاقة السابقة رقم ٣ أو التي تشغل الموقع الاول فى العلاقة رقم ٢ ٠

الموقع الثالث وتشغله احدى الكلمات التي تشغل الموقع الثالث فى العلاقة السابقة رقم ٣ أو التي تشغل الموقع الثاني فى العلاقة رقم ٢ ٠

وعلامات هذه العلاقة هي نفس علامات العلاقة السابقة رقم ٣ فيما عدا أن كلا من الكلمتين اللتين تشغلان الموقع الثانى والثالث تكون منصوبة٠

هذه أمثلة للعلاقات في العربية الفصحى نكتفي بذكرها لمجرد التمثيل لا للحصر ٠

العلامات :

العلامة صفة مادية في التركيب توجد عندوجود علاقة ما وتنعدم عند عند انعدامها ٠ وقد مر ذكر عدد من العلامات التي تميز العلاقات التي تعرضنا لها ٠ وقد تكون العلامة واحدة لا تتغير بتغير أنواع الكلمات التي تشغل الموقع ٠ وقد تكون متغيرة بتغير هذه الانواع ٠

ومن أمثلة العلامات التي لا تتغير ، علامة العلاقة التي يسميها النحاة بنائب الفاعل وهي رفع الاسم وبناء الفعل للمجهول وتأنيثه ان كان الاسم مؤنثا ٠

وأغلب العلامات في العربية الفصحى من النوع المتغير ٠ وقد أصاب النحاة حين جعلوا الاعراب (أى العلامات التي تدل على العلاقات) أما

بالرفع أو بالنصب أو بالجر أو بالجزم . وقد يكون الرفع ضمة فى آخر الكلمة أو واواً كما في المذكر السالم أو الفاً كما في المثنى أو نوناً كما فى الافعال الخمسة الخ .

وقد يكون النصب بالفتحة أو بالكسرة كما فى جمع المؤنث السالم أو بالياء الممدودة كما فى جمع المذكر السالم أو بالياء الساكنة كما فى المثنى الخ . وقد يكون الجر بالكسرة أو بالفتحة كما في الممنوع من الصرف أو بالياء الممدودة كما فى جمع المذكر السالم أو بالياء الساكنة كما فى المثنى الخ . وقد يكون الجزم بالسكون أو بحذف النون كما في الافعال الخمسة أو بحذف حرف العلة كما في الفعل المضارع المعتل الآخر الخ .

وقد اقتصر النحاة على الرفع النصب والجر والجزم علامات للاعراب . أما نحن فلا نقف عند هذه العلامات بل اننا نعتبر وزن الفعل وترتيب الكلمات بل النغمة التي تقال بها العبارة أو جزء منها من العلامات التي تميز علاقة عن علاقة أخرى . وقد اتضح فيما مر كل هذا .

الموضع :

نود أن نحذر القارىء من الخلط بين الموقع والموضع ، فبالرغم من تشابه اللفظين في المعنى الا اننا نعني بهما أمرين مختلفين . والموقع هو جزء من العلاقة أما الموضع فهو المكان الذى يوضع فيه هذا الجزء الذى نسميه بالموقع . وقد سبق أن شبهنا الموقع بوعاء ذي شكل معين يمكن أن توضع فيه الاجسام التي يتفق شكلها وشكله . ومن الممكن أن تتصور الوعاء المثلث مثلا وقد وضع قبل الوعاء المربع أو بعده . وفي مثل هذه الحالة أو تلك لا يتغير الوعاء ولا علاقته بالوعاء الآخر بل موضعهما فقط . ولنمثل لكل هذا بأمثلة لغوية .

العبارة « ضرب محمد عليا » ، فيها علاقتان علاقة « ضرب » بمحمد

و علاقة « ضرب » بعليا • أو بعبارة أخرى يمكن أن يقال بأن « ضـرب » تشغل فى العلاقة الاولى موقعا ، جرى العرف النحوي على تسميته بالفعـل المسند ، وأن « محمد » يشغل في نفس العلاقة موقعا جرى العرف على تسميته بالاسم المسند اليه • وتشغل « ضرب » في نفس الوقت موقعا من علاقـة ثانية ، بينما تشغل « عليا » الموقع الثاني من هذه العلاقة الثانية •

ولكننا نلاحظ أن من الممكن أن توضع العبارة على هـذا الوضع : « عليا ضرب محمد » أو على هذا الوضع « ضرب عليا محمد » ونلاحظ أن ذلك لا يعني أي تغيير فى علاقات « ضرب » و « عليا » ولا فى العلامات التي تميز كلا من طرفي هذه العلاقة • ولهذا نحكم بأن الفرق بين « ضرب محمد عليا » و « ضرب عليا محمد » و « عليا ضرب محمد » ليس فى العلاقات ولا في المواقع أو العلامات التي فى العلاقات بل فى ترتيب المواقع ولا اكثر • وبالتالى نقول بأن الاختلاف بينها اختلاف فى الموضع الذى يوجد فيه الموقع الذى تشغله « علياً » •

النمـوذج والتركيب :

النموذج هو الشكل العام الذى تكون عليه علاقة نحوية أو أكثـر تكوّن تعبيرا كاملا • وبناء على هذا يمكن القول بأن العبارة « ضرب محمد عليا » والعبارة « عليا ضرب محمد » والعبارة « ضرب عليا محمد » انما هي في الواقع نماذج ثلاثة مختلفة لشيء واحد • ولكن هذه النماذج الثلاثة لم تختلف فى عدد العلاقات التي تتكون منها وإن كانت قد اختلفت في ترتيب المواقع الي تتكون منها هذه العلاقات • ولهذا يمكن أن نقول بأنها نمـاذج مختلفة لتركيب واحد • وهذا التركيب عبارة عن علاقتين كل منهما تتكون من موقعين • وقد شغلت الكلمة « ضرب » الموقع الاول من كل من هاتين العلاقتين بينما شغلت الكلمة « محمد » الموقع الثاني من العـلاقة الاولى والكلمة « عليا » الموقع الثاني من العلاقة الثانية • والنماذج المذكورة هي :

نموذج ١ ـ الموقع الاول من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الثانية (ضرب محمد علياً) .

نموذج ٢ ـ الموقع الاول من العلامة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الثانية + الموقع الثاني من العلاقة الاولى (ضرب علياً محمد) .

نموذج ٣ ـ الموقع الثاني من العلامة الثانية + الموقع الاول من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الاولى (علياً ضرب محمد) .

لدينا اذن عدد من المصطلحات التي نراها ضرورية لدراسة قواعد اللغة العربية وسنلخص تعريفاتها فيما يلي :ـ

١ ـ التركيب هو علاقة نحوية أو اكثر تكون ّن حدثا لغويا كاملا .

٢ ـ النموذج هو الشكل الذى ترتب به مواقع العلاقات في تركيب معين .

٣ ـ الموضع هو المكان الذى يشغله الموقع في التركيب .

٤ ـ الموقع هو جزء من العلاقة النحوية يتميز بعلامة معينة .

٥ ـ العلامة هي صفة مادية في التركيب ترتبط بموقع معين من علاقة معينة .

٦ ـ العلاقة رابطة تركيبية قائمة بين جزئين أو أكثر من أجزاء تركيب معين . تدل عليها العلامات المادية التي تظهر في هذه الاجزاء .

ثالثا ـ الصيغة والمعنى

اعتمدنا في تعريف العلاقات التركيبية على المميزات المادية التي تظهر في صيغها لا على المعاني المستفادة منها . وليس سبب هذا اننا نتجاهل عنصر المعنى في التعبير اللغوي ، وانما هو أن الصيغة الواحدة قد تعبر عن أكثر من معنى واحد احيانا وأن المعنى الواحد قد يعبر عنه بأكثر من صيغة واحدة . ومثال ذلك وزن « فَعَّل » في العربية وهو قد يفيد كثرة وقوع الحدث كما في « قَتَّل » أي أكثر القتل ، وقد يفيد التعدية ، أي جعل الغير يوقع الحدث كما في « علّم » أي جعل سواه يتعلم . كذلك نلاحظ أن وقوع الحدث على شخص ، يستفاد من اسناد الفعل المبنى للمجهول الى من وقع عليه الحدث كما فى « ضُرب محمد » أو اسناد الفعل الذى على وزن انفعل اليه كما في « انضرب محمد » أو اسناد اسم المفعول اليه كما في « أمضروب محمد ؟ » الخ . ولهذا السبب يرى علماء اللغة المحدثون ضرورة الاعتماد على الشكل (أي الصيغة) فى دراسة قواعد اللغة ، أما المضمون (أي المعنى) فان من الأدق أن يدرس دراسة مستقلة عن دراسة القواعد .

وكل من الصيغة والمعنى أمر مستقل عن الآخر ، وذلك بالرغم من تكاملهما فى أداء الوظيفة اللغوية ، فالصيغة أصوات مرتبة ترتيبا خاصا ، أما المعنى فصور ذهنية تدل عليها هذه الاصوات ، وقد تستدعيها أمور خارجية أخرى كما سبق ، أن أشرنا[1] . وعلى من يدرس معنى تعبير لغوي أن يدخل فى اعتباره ضرورة التفريق بين المعاني التي تثيرها الظروف الخارجية والعقلية المحيطة بالمتكلم والسامع وبين المعاني التي ترتبط أساسا بالتعبير اللغوي ذاته . وهذه الاخيرة وحدها هي المعاني التركيبية التي تهم اللغوي

(١) انظر ص ٢٨ ـ ٣٠ و ٤٤ ـ ٤٦ .

بصفة أساسية ومعنى الكلمة مركب من معنى المادة ومعنى الوزن. والقواميس هي المرجع الذى يبين معاني المواد اللغوية ، أما معاني الاوزان فان من واجب من يدرس قواعد اللغة أن يبينها بعد حصر هذه الاوزان .

والى القارىء هذا المثال :ـ

المادة « ض رب » معناها القاموسي الحدث المسمى بالضرب ، المادة « ءخ ذ » معناها القاموسي الحدث المسمى الاخذ الخ[1] . وهذه المواد تأتي على الاوزان الآتية :

١ ـ فَعَل أو فَعِل أو فَعُل .

ومعنى هذه الأوزان انتهاء الحدث ونسبته الى متكلم أو مخاطب أو أوغائب مذكر أو مؤنث مفرد أو مؤنث أوجمع حسب اللواصق التي توجد في نهايته (مثل « فَعَلَتْ أو فَعَلْتُ أو فعلا الخ) .

وتفيد هذه الاوزان كذلك وقوع الحدث على شخص قد يذكر الاسم الدال عليه مثل (ضرب محمداً) ولكن « فَعُل » لا تفيد هذا المعنى بل ان الحدث فيها صفة ذاتية للشخص الذى صدر منه مثل « كرم محمد » وبهذا لا يقع على سواه .

الخ

٢ ـ فاعل ، مُفعِل ، مُفَعِّل الخ .

معنى هذه الأوزان شخص صدر منه حدث مثل « قائم » و « مكرِم » و « مُكَرِّم » . وذلك في العربية الفصحى ومختلف لهجاتها .

وليس في هذه الاوزان دلالة زمنية محددة ولكن من الممكن التعبير

---

(٢) قد يذكر القاموس المعنى بذكر اللفظ الدال عليه فى لغة اجنبية أو لهجة خاصة كما لو قيل بأن « الضرب » هو « البسط » فى العراقية مثلا .

عن الزمن باستعمال « كان » في مختلف صيغها مع الكلمات التي على هـذا الوزن مثل « كان قائما » و « سيكون قائما » الخ •

اذا كانت هذه الأوزان مشتقة من مادة تفيـد الحركة أفادت معنى الاستقبال في الفعل الذى يليها وذلك فى اللهجة المصرية مثـل « أنا نازل آكل » ، والأكل هنا مستقبل بالنسبة للنزول •

« أنا مسافر اشتري كتب » والشراء مستقبل بالنسبة للسفر •

اذا كانت مشتقة من أفعـال تفيد الاستقرار أفادت استمرار الحدث الذي يعبر عنه الفعل الذى بعدها ، وذلك بالنسبة للهجة المصرية مثل :

أنا آعد (قاعد) آكل ، والاكل هنا مستمر •

أنا وائف (واقف) أشوفه والرؤية هنا مستمرة •

الخ •

وهكذا يستمر الدارس في ذكر كل وزن من الأوزان ويعدد المعاني المختلفة التي تستفاد من الكلمات التي تأتي على قياسها •

☆ ☆ ☆

أما بالنسبة لتركيبات اللغة ، فعلى الدارس أن يحصر العلاقات النحوية المختلفة وأن يعين المعاني التي تؤديها هذه العلاقات وذلك مثل :ـ

١ ـ العلاقة بين الكلمة الاولى والثانية في مثل + « ضرب محمد » (تتميز بعلامات معينة سبق ذكرها) •

تستفاد منها المعاني الآتية :

أ ـ صدور حدث من محدث مثل (ضرب محمد)

ب ـ اتصاف الشخص بالحـدث مثل (مات محمد)

ج ـ وقوع الحدث علىشخص مثل (انضرب محمد)

الخ •

٢ ـ العلاقة بين الكلمة الاولى والثانية في مثل « محمد اخوك » (سبق ذكر العلامات التي تتميز بها هذه العلاقة) .

وتستفاد منها المعاني الآتية :

أ ـ اذا كان كل من الاسمين غير مشتق أفادت النسبة الثابتة مثل « محمد اخوك » .

ب ـ اذا كان الجزء الثاني من العلاقة ظرفا أو جارا ومجروراً فقد تفيد النسبة الثابتة مثل « الشمس في السماء » أو النسبة المتغيرة مثل « محمد في البيت » .

ج ـ اذا كان الثاني « اسم فاعل » أو « فعلا » مبنيا للمعلوم أفادت وقوع الحدث الذي تعبر عنه الكلمة الثانية من الشخص الذي تعبر عنه الكلمة الاولى مثل « محمد ضارب » أو اتصاف الشخص بالحدث مثل « محمد ميت » أو وقوع الحدث على الشخص مثل « محمد منضرب » ، ومثل « محمد ضرب » و « محمد مات » و « محمد انضرب » .

د ـ اذا كان الثاني اسم مفعول أو فعلا مبنيا للمجهول أفادت وقوع الحدث على الشخص مثل « محمد مضروب » و « محمد ضُرِب » الخ .

ومن هذه الامثلة يظهر اننا لا نُغْفل جانب المعنى في التعبير اللغوي بل ندرسه منفصلا عن دراسة الصيغة . وليس هنا مجال الحديث عما يسببه الخلط بين هذين الجانبين من مشاكل[1].

---

١ نحيل القارىء الى كتابنا « دراسات نقدية فى النحو العربى » وقد تعرضنا لهذه المسالة فى تفصيل عند عرض قواعد اللغة العربية .

التطور في القواعد

كما تتطور اصوات اللغة ومفرداتها تتطور كذلك قواعدها . وقد مر بك أمثلة لتطور الوظيفة النحوية لبعض الكلمات ، مثل « ليت » التي تحولت من الفعل « رأيت » الى اداة تفيد التمني وتدخل على الجملة الاسمية فتؤثر تأثيرا نحويا خاصا ومثل « بعد » في العراقية و « أصل » في المصرية ، ومثل « رايح » في المصرية والعراقية التي أصبحت مجرد أداة استقبال وفقدت وظيفتها النحوية التى كانت تشارك فيها اسماء الفاعل ، وهكذا .

وتطور القواعد أبطأ في الحدوث من تطور الاصوات والمفردات ، ومن ثم فانه يلاحظ على أوضح صورة عندما تقارن اللغة الفصحى في عصرها القديم باللهجات المعاصرة . وسنقدم للقارىء عددا من الامثلة لتطور القواعد في هذا المجال .

اولا ــ بناء الكلمة :

لم تلتزم اللهجة المصرية ، مثلا ، بجميع الموازين الصرفية التي كانت في العربية الفصحى ، بل لقد تخلصت من بعض هذه الموازين وغيرت بعضها الآخر وزادت موزين جديدة لم تكن في الفصحى كما سترى .

١ ــ تخلصت المصرية من صيغة المبني للمجهول اكتفاء بوزن « انفعل » . ولا يقال في المصرية « ضُرِب » بل يقال « انضرب » ولا يقال « أُكِل » بل يقال « اتاكل » ولا « شُرِب » بل « انشرب » . وليس فيها من صيغ المبنى للمجهول سوى بعض أمثلة قليلة غير مضطردة مثل « البلدي يوكل » أي « يُؤكل » وهذه الصيغة لا تقال في غير هذا المثال فلا تستعمل مثلا في عبارة « اللحم يوكل » .

٢ ــ اصبحت بعض الافعال المبنية للمجهول في الفصحى ، افعالا

لازمة في المصرية ، بعد تغيير حركاتها ، مثل « غُلْب » المصرية وهي تناظر « غَلِب » الفصحى و « أُطْع » ، وهي تناظر « قَطِع » . وقد شاع هذا الوزن في المصرية (فُعْل) وهو زن لم يكن موجودا من قبل في العربية الفصحى وأتت عليه طائفة كبيرة من الافعال اللازمة التي تعبر عن صفة ثابتة في الفاعل مثل « زُهْؤ » بدلا من « زهِق » الفصحى و « كُبْر » بدلا من « كَبِر » الفصحى و « صُغْر » بدلاً من « صَغُر » الفصحى .

٣ ـ تحول وزن « افتعل » في الفصحى الى وزن « اتفعل » في المصرية بتأثير ظاهرة القلب المكاني التي مرت بك[١] .

٤ ـ جد في المصرية طائفة من الافعال على وزن « فَنْعل » مثل « زنهر » أي وقف معتدل القامة و « زنجر » اي استعصى و « أنعَر » أي تكبر (وهذه الكلمة تقال أيضا على هذه الصور « اتأنْعَر » فتكون على وزن « اتفنعل ») و « جنزر » بمعنى أصابه الصدأ الخ .

٥ ـ جد في المصرية نوع جديد من النسب الى الاسماء وذلك باضافة اللاصقة « جى » بالاضافة الى ياء النسب الفصحى . وفي المصرية اقتصرت اللاصقة « جى » على الالتحاق ببعض الاسماء للدلالة على حرفة غير كريمة مثل « عربجي » و « جزمجي » و « بلطجي » . ومن هذه الكلمة الاخيرة ولدت المصرية فعلا جديدا من الفعل « بلطج » وهو فعل ليس عربي الاصل .

وقد فعلت العراقية ما فعلت المصرية فاحتفظت باللاصقة الفصحى (ياء النسب) وأضافت اليها « جى » التركية[٢] مثل شايجي (أي بائع الشاي) .

---

(١) انظر ص ١٧٦ .

(٢) الجيم فى اللاصقة المصرية جيم قاهرية اى ساكن رخو انفجارى مجهور أما فى اللاصقة العراقية فهي ساكن صلب انفجارى مهموس .

ومن امثلة استعمال يـاء النسب في اللهجتين « عراقي » « مصري » « شامي » الخ .

٦ ـ المثنى في العربية الفصحى صيغة تأتي عليهـا الاسماء والصـفات دون قيد أما في اللهجات الحديثة فانها لا تأتي في غير الاسماء الجامدة . ولهذا فعندما يقع الاسم المثنى في اللهجات الحديثة مبتدأ او موصوفا ،فان الخبر او النعت لا يكون على صيغة المثنى بل على صيغة الجمع ومثال ذلك .

١ ـ فيـه ولدين كبار (بالمصرية) وأكو ولدين كبار (بالعراقية)

٢ ـ الولدين كبـار (بالمصريـة) و الولدين كبار (بالعراقية)

أما في العربية الفصحى فيقال

يوجد ولدان كبيران و الولدان كبيران .

والفرق واضـح ، فالصفة والخبر في الفصحى عـلى صيغة المثنى لكون الموصوف والمبتدأ على صيغة المثنى ، أما في اللهجين العراقية والمصرية فانهما على صيغة الجمع بالرغم مـن كون المبتدأ والموصوف عـلى صيغة المثنى .

٧ ـ اداة التأنيث فى العربية الفصحى هـاء التأنيث كما في « بقرة » أو الالف المقصورة كما في « حبلى » والالف الممدودة كما في «حمراء» . أما فى المصرية والعراقية فان هذه الاداة لا تكون غير الهاء ، فنقول « بقرة » و « حبلة » و « حمرة » بلا تفريق .

٨ ـ نون التوكيد الثقيلة والخفيفة ونون النسوة ، مـن اللواصق التي تلحق آخر الفعل في العربية الفصحى . وقـد تخلصت المصريـة والعراقية والسورية ـ وبقية اللهجات الحديثـة فيمـا اعتقد ـ من نون التوكيد . أما نون الاناث فقد تخلصت منها المصرية ولكنها بقيت في العراقية

جنبا الى جنب مع واو الجماعة التي للمذكر • وفي السورية تستعمل النون للجمع مطلقا سواء كان مذكرا أو مؤنثا •

٩ ـ استعمال اللاصقة « ات » في اللهجات الحديثة في جمع الاسماء الاجنبية المقترضة ، مثل « تليفونات » و « تلغرافات » و « ويرات » (في العراقية بمعنى اسلاك) و « موتورات » الخ • والمعروف ان هذه اللاصقة في العربية الفصحى تستعمل لجمع الاسماء المؤنثة الخ •

ثانيا ـ التراكيب :

١ ـ سقوط العلامات الاعرابيـــة من اللهجات الحديثـــة ولزوم اواخرها السكون • وهذا يشمل المثنى وجمع المذكر السالم ، حيث لم تعد اللاصقة التي تلحق بهمـا تتراوح بـــين الالف والنون في المثنى والواو والنون في الجمع في حالة الرفع والياء الساكنة والنون في المثنى وياء المد والنون في الجمع فيحالة النصب والجر • وقد اقتصرت اللهجات الحديثة على استعمال كسرة طويلة ممالة بعدها نون ساكنة ، لاصقة لازمة للمثنى وكسرة غير ممالة بعدها نون ساكنـة ، لاصقة لازمة للجمع ، في جميـع الحالات ولم تفرق في ذلك بين موقع وآخر • ولهذا يمكن ان نعمم الحكم الذي قلنا به من أن سكون أواخر الكلمات يشمل المثنى والجمع السالم •

ومع هذا فان اللهجات الحديثة قد تزيد حركة بعد الاواخر الساكنة للكلمات فى بعض الحالات • وقـــد تسقط الحركات التى تلى السواكن الاولى • ولكن زيادة الحركات وسقوطها على هذا النحو ليس معتمدا على مواقع الكلمات في التركيب ، بل على تركيبها المقطعي وموضع النبر فيهـا وغير ذلك من الاعتبارات الصوتية • ولهذا فان مجال دراسة هذه الظاهرة هو علم الاصوات لا علم التراكيب (النحو) • واليك مثلين من العراقيـة والمصرية •

أ ـ « الرئيس عبدالرحمنِ مْحمد عارف » • وفي هـذا المثال نلاحظ زيادة كسرة بعد نون « الرحمن » وسقوط الحركة التي بعد الميم في « محمد » في العراقيـة • ولو نطق المثـال نفسه باللهجة المصرية لـكان « عبدالرحمنْ مِحمد » بسكون النون وكسر الميم •

ب ـ « سعدِ مْحَمد » • وفي هذا المثال كسرت الدال الاخيرة في « سعد » والكسرة هنا زائدة وسقطت الكسرة التي بعد الميم في « محمد »•

والحركة الزائدة في هذين المثالين لا تتناقض مع ما قررناه من لزوم السكون أواخر الكلمات ، لانها قد أتت لمجرد بعض الاعتبارات الصوتية كما ذكرنا •

٢ ـ بسقوط الحركات الاعرابية من اللهجات الحديثـة انقرضت المفردات التي كانت في الفصحى عوامل اعرابية يرتبط وجودها بوجـود هذه الحركات • ولهذا انقرضت من اللهجات الحديثة في عمومها أدوات الجزم مثـل « لم » و « لما » و لا م الأمر وانقرضت أدوات نصب الفعـل مثل «لن» و « أن » وأدوات نصب الاسم ورفعه مثل « ليس » و « لعل » و « كأن » و « أن » الخ •

وبطبيعة الحال بقيت بعض هذه الأدوات لتؤدي وظيفة أخـرى في تركيب العبارة غير الاعراب مثـل « إن » التي تستعمل استعمال « أن » المفتوحة في تأويل مصدر ومثل « ما » التي أصبحت اداة النفي في اللهجات الحديثة بصورتها هذه او بعد تغير معين في كل لهجة[١] •

٣ ـ سبب سقوط الحركات الاعرابية كذلك لزوم التراكيب ترتيبا ثابتا • والمعروف أن العربية الفصحى لا تلتزم بترتيب الكلمات في العبارة

(١) انظر مقالنا « النفي في العربية » المنشور بمجلة كلية الشريعة بغدادا العدد الاول سنة ١٩٦٥ •

ترتيبا معينا حيث تستعين بالحركات الاعرابية على تمييز الفاعل من المفعول مثلا . ولذا يمكن أن تقول « زيداً ضرب علي » أو « ضرب زيداً علي » أو « ضرب علي زيداً » معتمدا في تعيين كل من الفاعل والمفعول على رفع أحدهما ونصب الآخر . وبما ان اللهجات الحديثة لا ترفع ولا تنصب فانه من المحتم أن يلتزم كل من الفاعل والمفعول موضعا معينا لا يتغير ، فنقول « زيد ضرب علي » بتقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه .

كذلك نتج عن لزوم الكلمة موضعا خاصا من التركيب امتناع كون خبر المبتدأ جملة فعلية ، حيث ان الاسم المتقدم على الفعل يكون فاعلا له ولا غير ، ضرورة أنه لا يصح أن نقول « ضربْ على » و « على ضرب » مع اتحاد المعنى في المثالين لأن المثل الاول يعني أن « علي » مفعول أما الثاني فيعنى أنه فاعل .

٤ ـ في العربية الفصحى ، يتحتم تقديم الخبر اذا كان ظرفا او جارا ومجرورا وكان المبتدأ نكرة ، مثل « في الدار رجل » . وهذه القاعدة لا وجود لها في اللهجات الحديثة (على الأقل في العراقية والمصرية) والعراقية تستعمل الكلمة التى ابتكرتها لتؤدى معنى « كان » التامة وهي « أكو » فتقول « أكو رجَال بالدار » بينما تستعمل المصرية « فيه » لنفس الغرض فتقول « فيه راجل في البيت » .

٥ ـ عدم استعمال أن المصدرية قبل الفعل حتى تكون وما بعدها مفعولا لفعل أو اسم مشتق سابق ، كما هو المفروض في العربية الفصحى في مثل « أريد أن اسافر » .

وفي العراقية تكون الجملة « أريد اسافر » وفي المصرية تكون «عاوز أسافر » دون وجود أن المصدرية .

أما فيما يتعلق بأن المفتوحة التي تستعملها الفصحى لتأويل الجملة

الاسمية بمصدر فان اللهجات الحديثة تستعمل « إن » المكسورة بدلا منها ولذا يقال في الفصحى « عرفت أن محمداً مسافر » . وتقال هـذه العبارة في العراقية « عرِفت إن محمد مسافر » وفي المصرية « عِرفت إن محمد مسافر » باستعمال « إن » المكسورة فيهما . الخ ..

نكتفي بهـذا القدر من الامثلة لتطور قواعد بناء الكلمة وتركيب العبارة في اللغة . وأمام الباحث مجال واسع لتتبع هذه الظواهر بالدراسة الوافية .

خاتمة

قصدنا بكل ما ذكرناه من قبل أن نؤكد ضرورة دراسة اللغة من جانبين مستقلين ، دراسة واقعها أي ظواهرها المختلفة في عصر معين وكيف يكمل بعضها بعضا ، وهي الدراسة التي يطلق عليها اسم (Synchronic) ودراسة تاريخ كل ظاهرة على حدة وهي التي يطلق عليها اسم (Diachronic)

ومثال الدراسة الاولى ' دراسة الانواع المختلفة للكلمة في العربية الفصحى في العصر الحديث مثلا وكيف تتركب منها الجمل • أو دراسة أصوات اللهجة العراقية وما يمكن منها أن يقع في اول الكلمة دون آخرها وما يحدث لها بجوار الاصوات المفخمة الخ •

ومثال الدراسة الثانية دراسة ظاهرة التثنية ، كيف كانت في السامية الاولى وكيف كانت في اللغات السامية القديمة ثم في العربية ولهجاتها الحديثة الخ[١] • أو دراسة ظاهرة التفخيم في السامية الاولى واللغات السامية والعربية ولهجاتها الخ •

كذلك قصدنا أن نؤكد أن اللغة ظاهرة واحدة تتكامل فيها اللغة الفصحى ولهجاتها جميعا • وقد يتوجس البعض خيفة من أن دراسة اللهجات قد تؤدي الى اضعاف الفصحى • ونحن هنا نفرق بين الدعوة لاستعمال اللهجات الحديثة في مجالات الثقافة والعلم وبين دراسة هذه اللهجات • وعالم الاجتماع يدرس الرذائل ولكنه لا يدعو اليها • وكل ما نريد أن نؤكده في هذه الخاتمة هو أن اللغة الفصحى تمثل جانبا واحدا من جوانب العربية ولن يكتمل فهمنا لاسرار لغتنا الا بالاحاطة بها في جميع

---

(١) انظر « بحث مقارن فى التثنية » ص ٧٦ ـ ٩٥ من دراسات فى اللغة للدكتور ابراهيم السامرائى بغداد ١٩٦١ •

مظاهرها • ومن ثم فان الضرورة ملحة في أن تتعاون الجامعات العربية ومجامع اللغة ومختلف الهيئات العلمية في جمع التراث اللغوي في اللهجات المعاصرة ودراسته ومقارنته بالتراث اللغوى الذى بقى لنا في لغة القرآن والحديث والشعر ، حتى تتم الصورة الكبرى للغتنا العربية •

ولا تزال المكتبة العربية فقيرة في مثل هذه الدراسات التي ينبغي أن نهتم نحن بها بعض الاهتمام الذي يوليه المستشرقون اياها • ليس للعربية قاموس لتاريخ الالفاظ حتى اليوم ، وليس لاغلب اللهجات العربية قواميس او قواعد سوى ما كتبه عنها بعض المستشرقين • واصوات العربية الفصحى لم تدرس حتى اليوم ، بل إن قواعدها لم تعالج بعد بقلم ناقد •

ومثل هذه المجالات الواسعة لا تزال تنتظر البحث والدراسة • واني أرجو أن أكون بما قدمت في هذه المحاضرات ، قد ألقيت بعض الضوء على جوانب المشكلة وأوضحت الطريق بعض الايضاح أمام من يريد اتباع المنهج التحليلي الحديث •

أهم المراجع[1]

اولا ــ المراجع العربية :

١ ــ ابن الاثير (المبارك بن محمد بن محمد الجزري) النهاية فى غريب الحديث .

٢ ــ ابن الجوزى (ابو الفرج) غريب الحديث

٣ ــ ابن الجوزى (ابو الفرج) لحن العامة

٤ ــ ابن الخراط (عبد الحق الاشبيلى) معجم غريب القرآن والحديث فى ٢٥ جزءا

٥ ــ ابن الشعيب (يعقوب الجمحي) كتاب الالفاظ

٦ ــ ابن جني (ابو الفتح عثمان) الخصائص

٧ ــ ابن دريد (محمد بن الحسن) الملا حن (في الكلمات التي تنصرف الى معنى ولها فى اللغة معنى آخر أراده المتكلم)

٨ ــ ابن سيده (علي بن اسماعيل) المخصص

٩ ــ ابن فارس (ابو الحسين احمد) الصاحبي في فقه اللغة

١٠ــ ابن كمال باشا ، غلطات العوام

١١ــ ابو عبيدة (معمر بن المثنى) لحن العامة

١٢ــ احمد تيمور باشا معجم اللغة العامية (مخطوط بالخزانة التيمورية)

١٣ــ احمد تيمور باشا الامثال العامية طبع ١٩٤٩

١٤ــ احمد تيمور باشا ، الكنايات العامية طبع سنة ١٩٥٤

---

(1) نذكر هنا أهم المراجع العربية والافرنجية التى قد يحتاج اليها من يريد الاستزادة من الدراسات التى تعرضنا لها فى هـذا الكتاب . والمراجع العربية فى عمومها خاصة بالبحث فى اللغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة . أما المراجع الافرنجية فان أغلبها خاص بمناهج البحث فى اللغة ، أصواتها ومفرداتا وتراكيبها . وقد استفدنا فى ذكر المراجع العربية بما ورد فى كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي .

١٥- الانباري (ابو بكر محمد القاسم) كتاب الاضداد
١٦- الثعالبي (ابو منصور عبدالله بن محمد) فقه اللغة
١٧- الجواليقي (ابو منصور موهوب بن احمد) المعرب من الكلام الاعجمي ، طبع دار الكتاب القاهرة
١٨- الجواليقي (ابو منصور موهوب بن احمد) التكملة فيما تلحن به العامة
١٩- الحلبي (محمد التهالى) شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل .
٢٠- الدمشقي (محمد الامين المحبى) قصد السبيل فيما فى العربية من الدخيل
٢١- الدينوري (ابن حنيفة احمد ابن داود) لحن العامة
٢٢- الزبيدى (ابو بكر محمد بن الحسن) لحن العامة
٢٣- الزمخشري (ابو القاسم محمود) الفائق فى غريب القرآن
٢٤- السجستاني (سهيل بن محمد) غريب القرآن
٢٥- السجستاني (سهيل بن محمد) لحن العامة
١٦- السامرائى (دكتور ابراهيم) دراسات فى اللغة بغداد ١٩٦١
٢٧- السامرائي (الدكتور ابراهيم) الاعلام العربية بغداد ١٩٦٤
٢٨- السعران (دكتور محمود) علم اللغة - مقدمة للقارىء العربي ، دار المعارف - القاهرة
٢٩- السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) المزهر في علوم اللغة وانواعها
٣٠- الصباغ (ميخائيل الصباغ السورى المتوفى سنة ١٨١٦) اللغة العربية العامية فى مصر والشام
٣١- العسكري (ابو هلال حسن بن عبدالله) لحن الخاصة
٣٢- الفغالى (ميخائيل) دروس في سريانية لبنان وعربيته العامية ، طبع باريس ١٩١٨

٣٣- الكسائي (ابو الحسن حمزة) لحن العامة
٣٤- المغربي (الشيخ عبدالقادر) الاشتقاق والتعريب
٣٥- النوري (محيى الدين) تهذيب الاسماء واللغات
٣٦- الياس بقطر القبطي معجم في اللغات العامية لمصر والشام والمغرب وتونس (طبع في مصر سنة ١٨٧٢)
٣٧- أنيس (دكتور ابراهيم) من اسرار اللغة
٣٨- أنيس (دكتور ابراهيم) الاصوات اللغوية
٣٩- أنيس (دكتور ابراهيم) في اللهجات العربية
٤٠- ايوب (دكتور عبدالرحمن) اللغة بين الفرد والمجتمع ، القاهرة ١٩٥٤
٤١- ايوب (دكتور عبدالرحمن) دراسات نقدية في النحو العربي ، القاهرة ١٩٥٧
٤٢- ايوب (دكتور عبدالرحمن) أصوات اللغة ، القاهرة ١٩٦٢
٤٣- ايوب (دكتور عبدالرحمن) التطور اللغوى ١٩٦٤
٤٤- ايوب (دكتور عبدالرحمن) النفي في العربية (مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد العدد الاول ١٩٦٥)
٤٥- حسان (دكتور تمام) مناهج البحث فى اللغة ، القاهرة
٤٦- حسان (دكتور تمام) اللغة بين المعيارية والوصفية ، القاهرة
٤٧- حسن توفيق (المتوفى سنة ١٨٩٩) أصول الكلمات العامية
٤٨- حفني ناصف مميزات لغة العرب وتخريج اللغات العامية عليها
٤٩- زيدان (جورجي) الفلسفة اللغوية
٥٠- علي عبدالواحد وافي علم اللغة
٥١- علي عبدالواحد وافي فقه اللغة
٥٢- ولفنسن (الدكتور اسرائيل) تاريخ اللغات السامية
٥٣- يوهان فك ، العربية ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١ .

ثانيا – المراجع الافرنجية :

Bach, "An Introduction to Transformational Grammars", U. S. A., 1964.

Birkeland, H., "Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect" (English Translation), Oslo, 1952.
"Stress Patterns In Arabic", Oslo, 1954.

Bloch, B., and Trager, G. L., "Outline of Linguistic Analysis", Baltimore, 1962.

Bloomfield, L., "Language", London, 1962.

Chomsky, N., "Syntactic Structures", the Hague, 1956.
"The Logical Structure of Linguistic Theory", (Mimeographed), Georgetown, 1955.

Cowan, W. G., "A Reconstruction of Proto-Colloquial Arabic", London, 1960.

Delattre, P., "The Physiological Interpretation of Sound Spectrograms", U. S. A., 1951.

Dixon, R. M. W., "Linguistic Science and Logic", the Hague, 1963.

Elson, Benjamin, and Pickett, Velma, "An Introduction to Morphology and Syntax", Calfornia, 1964.

Ferguson, Charles, A., "The Arabic Koine", Published in "Language", 1959.

Firth, "Papers on Linguistics", Oxford, 1957.

Fletcher, Harvey, "Speech and Hearing in Communication", Princeton, 1953.

Garbell, I., "Remarks on the Historical Phonology of An east Mediterranean Dialect", Published in "Word".

Gardener, Allen, "Speech and Language", Oxford, 1960.

Gimson, A. C., "An Introduction to the Pronunciation of English," London, 1962.

Gray, L. H., "Foundation of Language", New York, 1958.

"Introduction to Semitic Comparative Linguistics", New York, 1934.

Greenberg, J. H., "Essays in Linguistics" Chigago, 1958.

"The Patterning of Root Morphemes in Semitic", Published in "Language".

Harrell, Richard, S., "The Phonology of Colloquial Egyptian Arabic", New York 1957.

Harris, Z. S., "Methods in Structural Linguistics", 1952.

Heffner, R. M. S., "General Phonetics" Wisconsin, 1949.

Hjelmstev, L., "Prolegomena to A Theory of Language", Baltimore, 1953.

Hockett, C. F., "A Manual of Phonology", U. S. A., 1955.

(International Journal of American Linguistics).

International Phonetic Association, "The Principles of The International Phonetic Association", London, 1949.

Jakobson, R., Fant, C. G. M., Halle, M., "Preliminaies to Speech Analysis", Massachusetts, 1952.

Jespersen, Otto, "Language, Its Nature, Development and Origin", London, 1959.

"Mankind, Nation and Individual", London, 1946.

Jones Daniel, "An Outline of English Phonetics", London, 1956.

"The Phoneme; Its Nature and Use", London, 1950.

Joos, M., "Accoustic Phonetics", 1948.

"Readings in Linguistics", New York, 1958.

Lehmann, Winifred P., "Historical Linguistics: An Introduction", U. S. A., 1963.

MacCarthy, P. A. D., "English Pronuciation", London, 1952.

Martinet, A., "Phonology as Functional Phonetics", London, 1949.

"Economies des Changements Phonetiques", Berne, 1955.

Merrifield, W. R., Naish, C. M., Bensch, C. R., Story, G., "Laboratory Manual for Morphology and Syntax", California, 1962.

Mitchell, T. F., "Egyptian Colloquial Arabic", London, 1960.

Pedersen, "The Discovery of Language", Harvard, 1962.

Pike, K, L., "Phonetics", Michigan, 1943.

Rabin, C., "Ancient West Arabian", London, 1951.

"The Beginnings of Classicat Arabis", Studia Islamica, No: IV, Paris, Mclmv.

Sapir, Edward, "Language", New York, 1921.

Saussure, F. de, "Cours De Linguistique Générale", Paris, 1949.

Troubetzkoy, N. S., "Principes De Phonologie", Paris, 1949.

Vandryes, "Language", (English Translation) London, 1959.

Wright, "Arabic Grammar", London, 1955.

Yushmanov, N. V., "The Structure of The Arabic Language" (English Translation) Washington D. C. 1961.

موضوعات الكتـاب

تخفيف الصيغ ١٨٨ ـ ١٩٥

الدافع الاجتماعي والدافع التركيبي ـ الصيغ المخففة وتخفيف الصيغ ـ « أكو » فى العراقية ، « فد » فى العراقية ، « رايح » و « ح » فى العراقية والمصرية •

تداخل الصيغ ١٩٦ ـ ١٩٩

« زأل » في المصرية ـ « عأ بالك » في المصرية ـ « وياك » فى المصرية والعراقية ـ « مال » فى المصرية والعراقية والسورية ـ « جاب » فى المصرية والعراقية وسواهما •

القرض اللغوى ٢٠٠ ـ ٢٠٩

أمثلة لاقتراض العربية الفصحى من الفارسية واليونانية والحبشية وسواها ـ مفردات عربية في اللغات الاروبية ـ تأثير المفردات المقترضة في اللغة ـ تأثر المفردات المقترضة ، أمثلة من المصرية والعراقية ـ اقتراض اللهجات من اللغة الفصحى ـ القرض المركب •

ثالثا قواعد اللغة :

بناء الكلمة :

الفرد والنوع والجنس ـ الصوت والصوتيم ـ الصرفيم ـ اللصق ـ الوزن أو النموذج الصرفي ـ التبادل ـ التكامل (أمثلة لكل ما ذكر من قواعد بناء الكلمة فى العربية) •

تركيب الجمل :

أنواع الكلمات ـ العلاقات النحوية ـ اجزاء العلاقة ـ أمثلة للعلاقات من قواعد اللغة العربية ـ الموقع ـ العلامة ـ الموضع ـ النموذج ـ التركيب • الصيغة والمعنى •

التطور فى القواعد :

اولا ـ بناء الكلمة (أمثلة من اللهجات الحديثة) •

ثانيا ـ التراكيب (أمثلة من اللهجات الحديثة) •

خاتمـة •